معركة المياه مع الصهيونية

بقلم سليم اليافي

منذ ان قامت الحركة الصهيونية ، وتغلغلت في كثير من المجتمعات والدول ، حصرت اهدافها في انشاء الدولة اليهودية وراحت تنشر الدعوة الى ان اليهود امة واحدة ينقصها ارض الوطن ومقومات الدولة وتأييد الدول الكبرى وغيره من المال .

ولهذا عمل اليهود على جمع المهاجرين من شتى انحاء العالم باستغلال العقيدة الدينية واستثمار ما اصاب اليهود من تنكيل واضطهاد واستثمار رغبـــة بعض الدول في التخلص منهم . ولاستيعاب هؤلاء تم طرد العرب ، اهل البلاد الاصليين .

وحملت بريطانيا لواء التأييد للصهيونية وبذلت جهودا جبارة لضرب العرب في فلسطين وجوارها وحذت الولايات المتحدة الاميركية حذوها ، فلم تجد المقاومة العربية والثورات العربية . . .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان ان ظهرت اسرائيل الى حيز الوجود .

ووقف الرئيس ترومان في الخامس عشر من أيار ١٩٤٨ ليعرب عن سعادته القلبية الصادقة بوجود اسرائيل كما اعربت بريطانيا عن سعادتها لوجود دولة موالية لها في جوار مصر وقناة السويس لتفصل بين اجزاء الوطن العربي وتحول دون تلاحمها وتقاربها وحتمية وحدتها .

واصبحت اسرائيل القائمة في قلب العالم العربي ، مقرا للاستعمار وممرا له تغذيها المساعدات الاميركية والبريطانية ، وتتدفق عليها اموال يهود العالم كله .

ورغم هذه المساعدات الكبيرة ، عانت اسرائيل عجزا مستمرا في ميزانها التجاري والاقتصادي وفي ميزانيتها المالية ، ولهذا اخذت تسعى لتصبح دولة ذات اكتفاء ذاتي فوضعت خططا متعددة تباركها بالطبع بريطانيا والولايات المتحدة .

ومن هذه الخطط :

محاولات لعقد صلح بين العرب واسرائيل وفي نفس الوقت رفضت عودة اللاجئين الى ديارهم ورفضت بالتالي تنفيذ قرارات الامم المتحدة .

ثم حاولت القيام بضغط عسكري وسياسي واقتصادي على البلاد العربية شاركتها فيه الدول الغربية الكبرى الا انها اخفقت ، كما اخفق العدوان الثلاثي على مصر ، اذ كان منطق الاستعمار والصهيونية خرق الوحدة الجغرافية والحتمية للعالم العربي ، لتقيا في وسطه قاعدة يهددان منها الامة العربية ، ودليل اخفاق هذا العدوان وهذا الضغط هو الوحدة التي جابهته في كل قطر عربي بل ان العرب استمدوا من هذا العدوان قوتهم ...

وحاولت ايضا تقديم مشاريع التنمية الاقتصادية ورفع مستوى بلدان الشرق الاوسط ومن نماذجه اقامة مشروعات رئيسية لاستغلال الثروة المائية المشتركة بين اسرائيل والدول العربية المحيطة بها .

وبرز عام ١٩٥٣ مشروع جونستون ، ثم قدم هامرشولد مشروعه عام ١٩٥٩ الذي حاول فيه ايجاد حل نهائي لقضية اللاجئين وبالتالي للقضية الفلسطينية كلها عن طريق الاغراء بالتنمية الاقتصادية لبلدان الشرق العربي ، واتبع ذلك باغراء مالي آخر ، الا ان الدول العربية رفضت هذين المشروعين وغيرهما من المشروعات التي قدمت على التوالي منذ عام ١٩٤٨ وهدف هذه المشروعات ايجاد تعاون اقتصادي بين البلاد العربية وعدوها وهو تعاون ينهي مشكلة اللاجئين لا بعودتهم الى فلسطين بل باستيعابهم في حياة هذه البلاد الاقتصادية .

وبالرغم من صمود العرب وتصميمهم واستعدادهم وردودهم لم تتوقف الخطط والبرامج ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فقد تبنت اسرائيل خطة جديدة ، وتعتمد هذه الخطة الحالة الاقتصادية الراهنة في اسرائيل وزيادة عدد سكانها بجلب اكبر عدد ممكن من اليهود في الخارج .

وتمهيداً للزيادة المنتظرة في السكان قررت استصلاح اراضي النقب وتحويل مياه نهر الاردن اليها بحيث تستوعب هذه المنطقة الجديدة ملايين من اليهود الوقوف في وجه العرب وتصديهم اذا ماحاولوا استرداد الارض المغتصبة .

وتعود هذه الخطة الى عام ١٩٢٨ عندما حصل اليهود من بريطانيا على امتياز لاستغلال مياه نهري الاردن واليرموك وانارة فلسطين بالكهرباء ، كما حصلوا على امتياز آخر لاستغلال نهر العوجا بالقرب من يافا .

وفي عام ١٩٣٨ بدأت دراسات مائية يهودية تشير الى اهمية جر المياه من الشمال لري النقب في الجنوب ولم يأت عام ١٩٤٦ حتى قررت الاوساط الصهيونية البدء بالعمل لتنفيذ الفكرة ثم ظهر بعد النكبة ان اليهود يتمسكون بالنقب لدى مناقشة كل المشاريع التي وضعت لتسوية قضية فلسطين . وقد قتل برنادوت عام ١٩٤٨ نتيجة لتوصيته باعطاء النقب للعرب ، كما ان اسرائيل انشأت ميناء ايلات على البحر الاحمر من الطرف الجنوبي الشرقي لتشق الطريق امام علاقاتها التجارية عبر البحر الاحمر لتصل الى افريقيا وآسيا دون المرور بقناة السويس ولتعمل على تصريف منتجاتها وتوسيع تجارتها في حال اتمام التحويل وبالتالي تتحدى المقاطعة العربية .

وانصب اهتمام اسرائيل على تحويل مياه الاردن لاعمار النقب ولزيادة استيعاب الارض من السكان ليبلغوا ١٥ مليونا منتظرة من ذلك نتائج هامة وخطيرة .

وقد وقف العرب صفاً واحداً للحيلولة دون بلوغ اسرائيل اهدافها ، كما اجتمع الملوك والرؤساء العرب في شهر كانون الثاني ١٩٦٤ استعداداً لكل طارىء بشكل موحد والحيلولة دون توسع اسرائيل ، اذ أن هذا التوسع لن يكون الا على حساب العرب .

هذه هي حقيقة المعركة .

ولكي نعرف اسبابها وملابساتها يمكن تلخيص الخطة الصهيونية التي اوجدت هذه المعركة بما يلي :

المعروف ان البلاد العربية ، وطن واحد يكمل اجزاؤه بعضها بعضا ، فسهوله وجباله ووديانه وانهاره وبحاره واغواره تمثل كلها وحدة الوطن العربي الغالي في اتصالها وتلاقيها . ولنأخذ نهر الاردن مثلا ، انه ينبع من السفوح الجنوبية الغربية لجبل الشيخ ... انه ينبع في قطعة ، ويجري في قطعة ، ويروي قطعة ، هذه القطع كلها ، يتكون منها وطن واحد ، ينقل اليه هذا النهر بمياهه وروافده الخير والمحبة والاخاء .

ان هذا النهر يتكون من ثلاثة فروع ، احدها الحاصباني وينبع في لبنان ، وثانيها الدان

وينبع في تل القاضي في المنطقة المغتصبة . وثالثها بانياس وينبع في القطر السوري . وتجتمع هذه الفروع لتشكل نهر الاردن الذي يخترق بحيرة الحولة ثم يتابع سيره الى طبريا ثم يجتازها ليلتقي عند جسر المجامع مع نهر اليرموك الذي ينبع في اماكن متعددة من جنوب حوران ، ويتابع الاردن مجراه الى ان ينتهي في البحر الميت . ويبلغ طول هذا النهر ٢٥٢ كيلو متراً .

وعندما تآمرت الصهيونيـــة العالمية والاستعمار على الوطن العربي باغتصاب جزء من اعز اجزائه ، حسبا ان هذا الجزء قادر على الحياة بمفرده ، وظنا انهما قادران على توفير عناصر الحياة ومقومات الوجود واسباب البقاء له . فراحوا يعدون الدراسات ويضعون الخطط ، لاغتصاب الماء بعد اغتصاب الارض ، فنشبت معركة المياه الحالية .

والمعركة القائمة الآن حول تحويل الاردن ليست مجرد نزاع حول نهر من الانهار ، بل هي مظهر من مظاهر الصراع الدائم بين الكيان الغريب الذي اقيم في هذه المنطقة باسم اسرائيل وبين العرب.

ومنذ عام ١٩٣٨ قام الصهيونيون بالدراسات الفنية لتأمين الري في الارض المغتصبة، ووضعوا عدة مشاريع في مقدمتها مشروع السنوات السبع من عام ١٩٥٤ الى عام ١٩٦١ وهو يرمي الى زيادة الارض المروية ثلاثة اضعاف لاستيعاب مليونين من السكان، ويهدف المشروع الى استغلال ١٧٣٠ مليون متر مكعب سنويا من الماء عام ١٩٦١ للري ولغيره من الاغراض — منها ٩٣٠ مليون متر مكعب للري — كما انه يهدف الى ري مساحة اضافية تقدر بمليون وثلاثماية واربعة عشر الف دونم عام ١٩٦٠ وبذلك تصبح مجموع الاراضي المروية ٢٠٠٢٨٥٠ دونم ، مع العلم بان اسرائيل استغلت في عامي ١٩٥٢/١٩٥٣ — ٨٠٠ مليون متر مكعب للري وغيره . ولذلك فقد وضعت ثلاثة برامج للري في ذلك الحين لجعل الكمية ١٧٣٠ مليون متر مكعب في عام ١٩٦١ مع تحقيق كمية اضافية تبلغ ٩٢٠ مليون متر مكعب . وتقضي هذه البرامج بالاستمرار في المشاريع الاقليمية والمحلية التي تعتمد على المياه الجوفية ، وانجاز مشاريع الري وتجفيف البحيرات — ومشروع الحولة احدها — وتحويل الاردن — والمرحلة الاولى منه — تضيف الى شبكة مياه اسرائيل ٤٢٠ مليون متر مكعب وذلك بتحويل المياه من الاردن ومن بحيرة طبريا . وكان مشروع السنوات السبع قد نص في صلبه على ان العمل في التحويل يجب ان ينتهي عام ١٩٦٤ .

وينص مشروع التحويل على ضرورة تحقيقه على مرحلتين :

الاولى وتشمل انشاء قناة كبيرة تمتد من جسر بنات يعقوب لتحمل الماء الى بحيرة طبريا حيث تقام محطة كهربائية بقوة ٢٥ الف كيلوواط . ثم تنساب المياه من قناة فرعية الى النقب تمر اولا بمحطة — البطوف — التي تضخ الماء الى خزان كبير . ومن هذا الخزان تمتد قناة من الاسمنت قطرها ٢٧٥ سنتيمترا تنقل الماء الى مسافة ١٤٠ كيلومترا ، حيث تقع الفالوجة في شمال النقب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن هناك يوزع الماء الى انحاء النقب بواسطة انابيب نهر البركون ، ويكاد العمل بهذه القناة التي يستوعب ٢٠٠ مليون متر مكعب من الماء ان ينتهي . اما شبكـة خزان بنات يعقوب ـ سهل البطوف ـ فتستفيد ٣٤٠ مليون متر مكعب سنويا من الاردن وهي الان قيدالانشاء والتنفيذ .

وتشمل المرحلة الثانية انشاء قناة ـ كنيرت ـ بيسان ـ التي تمتد من بحيرة طبريا الى بيسان ومن شأن التحويل ان يستنفد ٨٧٠ مليون متر مكعب سنويا من بحيرة طبريا .

ولقد وضع مشروع السنوات السبع على اساس تقدير عدد السكان عام ١٩٦٠ بمليوني نسمة ولما كانت الصهيونية العالمية تعمل لزيادة عدد السكان وزيادة مساحة الارض فقـد وضعت مشاريع جديدة منها مشروع (الري للقطن) الذي قدمه وزير زراعة اسرائيـل عام ١٩٥٤ ويشمل جميع مرافق الانهار ونهر الليطاني في لبنان . وهذا المشروع ينطوي على تحويل مياه الحاصباني ودان وبانياس واليرموك . ويعطي مشروع الري للقطن لاسرائيل ١٢٩٠ مليون متر مكعب سنويا من انحدار مياه الاردن الليطاني مقابل ٥٤٠ مليون متر مكعب يعطيها مشروع السنوات السبع او ٤٢٧ مليون متر مكعب بموجب مشروع جونستون .

وتلتقي اهداف مشروع الري للقطن مع مشروع جونستون ، في تحويل الحاصباني ودان وبانياس الى شمالي اسرائيل وتخزين مياه اليرموك في بحيرة طبريا ، ولكنه يختلف مـع مشروع جونستون في ناحيتين هامتين :

الاولى ـ الاستفادة من مياه اعالي الاردن لا للري فقط في واديه بل للتخزين ايضا .

والثانية ـ تحويل نصف مياه نهر الليطاني تقريبا لتخزينها في خزان سهل البطوف، ويتميز هذا المشروع بانه يؤمن ايجاد تموين القنوات التالية بالمياه :

١ ـ قناة اعالي الاردن ـ البطوف وتستوعب ٧٤٠ مليون متر مكعب .

٢ ـ قناة الاردن السفلى ـ البطوف لتحويل ٢٠٠ مليون متر مكعب من بحيرة الحولة و ٢٠٠ مليون متر مكعب اخرى من نهر الاردن الى خزان سهل البطوف .

٣ ـ قناة رئيسية من سهل البطوف الى النقب .

٤ ـ قناة كنيرت ـ بيسان وتمتد من بحيرة طبريا الى الحدود الاردنية .

٥ ـ تخزين مياه اليرموك في طبريا .

٦ ـ سد ارتفاعه ٨٣ مترا على اليرموك عند المقارن يتسع لتخزين ٧٣ مليون متر مكعب على ان يبلغ ارتفاعه بعد ذلك ٩٥ مترا ليتسع لتخزين ١٩٥ مليون متر مكعب .

٧ ـ تشييد قناة شرقي الغور .

٨ ـ انشاء ١٧ محطة كهربائية مجموع طاقتها ٢٦٦٫٥٠٠ كيلوات بما في ذلك محطة كهرباء الطابغة ومحطة المدسية .

هذه هي بعض المشاريع التي تعتمد عليها اسرائيل لخوض معركة المياه مع العرب ، هـــذه المعركة التي اتخذت عدة اشكال ، منها الشكل المحلي الذي تقوم به اسرائيل ، ومنها الشكل الدولي الفني التي تمثل فيه مشروع جونستون ومنها شكل التحرش العسكري الذي تقوم به اسرائيل حيناً بعد حين لالهاء المجاورين لها عمـــا تفعله في الداخل ، ولاستغلال هذه الاعتداءات في الدعاية لها في الخارج .

ولقد حاولت اسرائيل عام ١٩٥٣ القيام بعمليات التحويل من المنطقة المجردة فاوقفها كبير المراقبين الدوليين بناء على الشكوى السورية ولكن اليهود لم ينفذوا أمر التوقيف ، فعرضت سورية الموضوع على مجلس الامن ، فاظهرت اسرائيل امتثالها لقرار كبير المراقبين الا انها عملت على تنفيذ مخططاتها داخل الارض المغتصبة .

واليوم وقد مر احد عشر عاما على هذا الحادث فماذا تم في مشروع التحويل ؟

لقد اوشكت المرحلة الاولى ان تنتهي ، وكانت ٦٠ مليونا من الدولارات ، وبدىء بتنفيذ المرحلة الثانية وستكلف مائة وعشرون مليونا من الدولارات ولكن الخطر يكمن في محاولة وصل مجرى نهر الاردن بالانفاق التي اقيمت عند بحيرة الحولة ، فهناك وصلة يبلغ طولها حوالي كيلومترين تقع في المنطقة الحرام بين الحدود الجنوبية السورية وبين المنطقة المغتصبة ، وبدون هـــذه الوصلة لاتستطيع اسرائيل ان تحصل على المياه بشكل طبيعي . وقد حاولت مرات متعددة في السنوات الاخيرة ان تتم هذه الوصلة ولكن محاولاتها باءت بالفشل .

ARCHIVE

ويتضح الان ان محاولة التحويل هي بمثابة امتحان جديد للعرب بعد مضي ١٦ عاما على كارثة فلسطين ، وللتحويل صلة مباشرة بسعي اسرائيل للتغلب على مشاكلها الاقتصادية وفي مقدمتها الحصار الاقتصادي المضروب حولها وتنفيذ نياتها العدوانية والتوسعية ، فقد قال بن غوريون عام ١٩٤٢ قبل قيام اسرائيل ، « ان الصهيونية قد انتهت من وضع مخططاتها النهائية ، وهي ان تصبح فلسطين دولة يهودية . وان اليهود لايستغنون عن اى قسم من فلسطين حتى قمم الجبـــال واعماق البحار » .

بينما قال بعد ذلك بست سنوات : « ان الانتصارات العسكرية الاخيرة هي احدى المقومات لتنفيذ اهداف اسرائيل البعيدة . فعلى الشعب اليهودي ان يكتل قواه للوصول الى الهدف الثاني في بناء الدولة اليهودية وجلب يهود العالم جميعاً اليها .

اما الدولة اليهودية التي اشار اليهـــا بن غوريون ، فقد وصف بنتويتش احد زعماء الصهيونية حدودها بقوله :

« لاحاجة لان تكون فلسطين المستقبل محدودة بحدودها التاريخية في امكان الدولة اليهودية الامتداد الى جميع البلاد التي تطمح اليها من البحر المتوسط حتى الفرات ، ومن لبنان حتى النيل » .

وقد نص البند الثاني من مقررات مؤتمر بال الصهيوني عام ١٨٩٧ على ان تكون مساحة البلاد كافية لحاجات خمسة عشر مليونا من اليهود . وعلى هذا الاساس قال مناحيم بيجن زعيم عصابة ارغون ان اسرائيل بوضعها الحالي لاتمثل الا خمس ماتيجب ان تكون عليه ارض الآباء وانه يجب العمل على تحرير الاربعة اخماس الباقية » .

ويتضح مما تقدم ان التحويل هـذا يؤمن لاسرائيل كسبا عسكريا ويعدل الوضع الحالي للمنطقة المجردة وينقل مجرى النهر الى غرب خـط الهدنة اي الى داخل الاراضي المغتصبة الامر الذي منعته اتفاقية الهدنة وبالتالي يؤدي الى تثبيت سيادة اسرائيل على منطقة عربية جديدة .

ولا ننس المكاسب الاقتصادية المائية والكهربائية والصناعية التي تجنيهـا اسرائيل نتيجة لهذا التحويل . الامر الذي يجعلها تفكر بالتوسع لتحقيق دولتهـا من الفرات الى النيل وبالتالي التغلب على كل مشاكلها الاقتصادية والداخلية .

هذا ولابد لنـا اخيراً من ان نلخص المشروعات العديدة التي وضعت من خارج اسرائيل لمساعدتها في تحقيق خططها واهدافها وتأمين ديمومتها ومنها :

١ ـ البيان الثلاثي لضمان كيان الدولة اليهودية .

٢ ـ ايفاد لجنة جوردون كلاب للاستقصاء الاقتصادي في الشرق الاوسط .

٣ ـ احداث وكالة الامم المتحدة لاغاثة اللاجئين الفلسطينيين العرب وتشغيلهم .

٤ ـ البيـان الاميركي عام ١٩٥٤ الذي اشار الى ان اميركا سترسل مبعوثا خاصا الى الشرق العربي ليبحث مع حكومات المنطقة الخطوات المنتظرة لتنمية موارد المياه المشتركة .

ووصل اريك جونستون المبعوث الاميركي وقام باتصالاته مع حكومات المنطقة ووضـع مشروعا باسم الانماء الموحد لموارد مياه وادي نهر الاردن رفضته الدول العربية .

ويتلخص مشروع جونستون في انه ينفذ على خمس مراحل مدة كل مرحلة سنتين اوثلاث سنوات ويكلف ١٣٠ مليون دولار ينفق ٣٠ بالمائة منها على توليد الطاقة الكهربائية ويصار الى انشاء خزان على نحو ٢٠ ـ ٣٠ ك من ملتقى الحاصبـاني بنهر الاردن شرق قرية ابل السقي اللبنانية . وانشاء سد على ملتقى مياه نهر دان بالقناة الرئيسية في الجليل لتحويل مياه نهر دان الى تلك القناة وانشاء سد آخر بالقرب من قرية عين الحمراء في فلسطين المحتلة لتحويل مياه نهربانياس الى قناة ري منطقة الجليل . وانشاء قناة اساسية طولها ١٢٠ ك م . تتحول اليها مياه نهر بانياس ونهر دان ومنابع تل القاضي ومياه القسم الذي يقع تحت السد من نهر الحاصباني وتستغل هذه المياه في ري جبال الجليل ومرج ابن عامر . وتجفيف المستنقعات شمالي بحيرة الحولة . وزيادة مترين في ارتفاع السد القـائم على نهر الاردن عند خروجه من بحيرة طبريا . وانشاء قناتين من سد بحيرة

طبريا لري اراضي الغور الغربي والغور الشرقي . وانشاء قناة تبدأ من سد نهر اليرموك لري اراضي الغور الشرقي . وانشاء سد على نهر اليرموك قرب قرية العدسيـة الاردنية . وانشاء سد ومحطة كهربائية على مياه اليرموك قرب قرية المقارن الاردنية وكلا السدين يغذي خزان المياه في بحيرة طبريا.

وعلى اثر صدور مشروع جونستون قررت حكومات سورية ومصر ولبنان والاردن تشكيل لجنة فنية من خبراء الري ومهندسيه لدراسة المشروع .

وقد رفضت لجنة الخبراء العرب مبدأ تخزين مياه اليرموك في بحيرة طبريا . كما اعترضت على انشاء سد المقارن الذي يقترح مشروع جونستون جعله بارتفاع ٥٨ مترا لحجز ٧٣ مليون متر مكعب وطالبت بانشائه على نهر اليرموك بارتفاع ١٥٠ مترا لحجز ٤٠٠ مليون متر مكعب للاستفادة منها في ري الاراضي العربية وكهربتها .

كما اعترضت لجنة الخبراء العرب على تأجيل بناء محطة توليد الكهرباء في العدسية بالاردن وطالبت بسرعة انشائها . واعترضت اللجنة ايضا على انشاء محطة توليد قوة كهربائية من ميـاه الحاصباني في مستعمرة تل حي وطالبت بانشاء هذه المحطة في الاراضي اللبنانية . كما رات اللجنة ان المشروع يحرم سورية من ري قسم كبير من اراضيها من مياه اليرموك ويحول دون استفادتها من مياه بانياس ودان ومنابع تل القاضي ، وهو يحرم في نفس الوقت الاراضي اللبنانية من الاستفادة من نهر الحاصباني .

ودلت اقتراحات الخبراء العرب على الحرص على زيادة كمية المياه التي يستفيد منها العرب في ري اراضيهم وزيادة القوة الكهربائية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولاريب في ان مشروع جونستون مشروع استعماري يهودي ، لان جونستون رمى الى قيام تعاون وتفاهم بين الدول العربية ذات العلاقة واسرائيل واعتبار ذلك مقدمة لتسوية مشاكل اسرائيل .

كما ان المستر دالاس وزير الخارجية الاميركية السابق اعترف بوجود علاقة وثيقة بين تنفيذ المشروع وايجاد حل للمشكلات القائمة بين العرب واليهود . وقال ان تنفيذ المشروع خطوة عملية نحو حل تلك المشكلات .

وفي نفس الوقت قامت اميركا بمساع كبيرة رافقها الضغط والتهديد لحمـل العرب على قبول المشروع .

وفي الرابع عشر من مايس ١٩٥٥ قال بن غوريون في خطابه بمناسبة ذكرى تأسيس الدولة اليهودية :

« ان اليهود اليوم يخوضون معركة المياه ضد العرب . وان مصير الكيان اليهودي في فلسطين يتوقف على نتيجة هذه المعركة ، فاذا لم ننجح فيها فكأننا لم نعمل شيئاً في فلسطين ويجب علينا ان نعترف بالفشل » .

ولقد تجاوز المستر جونستون في دعايته للمشروع حدود الاقناع بالحجة والدليل الى حد الاجتراء على القانون الدولي والمعاهدات الدولية بالنسبة للانهار الاقليمية وحقوق الانتفاع بها . وقد دحض العرب بالقانون الدولي والاجتهادات الحقوقية مزاعمه لان مشاكل المياه لم تعد مقتصرة على الملاحة بل تعدتها الى الصرف والصيد وتوليــد الكهرباء والصناعة ، كما ان القانون الدولي العام لاتوجد فيه قواعد عامة تصلح لان تطبق على حالة اي نهر يجري في اقاليم متعددة ، واذا لم يكن هناك اتفاق او معاهدة خاصة ، فكل دولة ترعى مصالحها على ان تكون علاقاتها مع الدول الاخرى سليمة .

فضلا عن ان نهر الاردن عربي من منبعه الى مصبه يربط لبنان وسورية وشرقي الاردن وجزءاً من الاراضي الفلسطينية المغتصبة التي ماتزال عربية لان احدا لم يعترف بالاغتصاب ولايمكن ان يقره احد بل ان الجميـع يعملون لتصحيح هذا الوضع المنحرف الغريب .

وبعد هذا العرض الموجز لمراحل قضية التحويل والمعركة التي اشتد اوارها يحب ان نتساءل ماذا تملك البلاد العربية حيال هذه المشكلة .

هل تكتفي برفض المشروع واتخاذ الموقف السلبي ... ام انها تستطيع القيام بعمل ايجابي؟ وماهو حكم القانون على هذا العمل ؟.

ان احتلال اليهود بالقوة لجزء من حوض الاردن عمل اجرامي استوجب استمرار حالة الاعتداء الاسرائيلي وبالتالي عدم اعتراف العرب بوجودها او بقانونية هذا الوجود .

ومن المعروف ان لاوربا قانونا دوليا اوربيا وضعته المصالح المشتركة ، كما ان لاميركا مثل ذلك ، افلا يجب ان يكون للعرب قانون دولي عربي مستمد من وحي مصالحهم ومحنتهم في فلسطين يفرض عليهم كل مامن شأنه افقار اسرائيل وتقويض بنيانها الاقتصادي وتجويعها حتى تختفي وتزول؟

لقد اخذت اسرائيل تعبث بمجرى الاردن وتعمل على تحويله لمضايقة العرب وقتلهم ، فلا احق من ان يقوم العرب بمقابلة هذا العمل بمثله .

ان خطر التحويل يهدد البلاد العربية جميعها وليس في القانون الدولي العام اي التزام يفرض عليهم قبول هذا المشروع ولو من حيث المبدأ ، بل ان القواعد العامة في هذا القانون تستوجب رفضه برمته بسبب حالة العلاقات القائمة بين العرب واسرائيل . وفي نفس الوقت ليس في القانون مايمنع العرب من القيام بمشروع عربي صميم ينظم استغلال لبنان وسورية والاردن لانهارها واتخاذ كل مامن شأنه عدم تسرب اي نفع من المشروع العربي لاسرائيل .

والى جانب ذلك فان القانون الدولي العام يقف الى جوار العرب يساندهم في اعتراضهم وممانعتهم في تحويل مجرى نهر ينبع من الاراضي العربية ويسير مع روافده في ارض اكثر من دولة عربية قبل ان يمر باسرائيل .

وقد نشأ في القانون الدولي العام فرع هام يتعلق بالانهار الدولية التي تمر في اكثر من دولة او تتاخمها اكثر من دولة . وقد اصبح الان لهذا الفرع من القانون قواعد راسخة تطبقها الجهات القضائية الدولية .

وينص هذا الفرع على ان من واجب الدولة ان لاتتدخل في الجريان الطبيعي للنهر على وجه يضر بالدول الاخرى التي يمر بها هذا النهر .

ويوجب القانون الدولي مسؤولية من يقوم من هذه الدول لتحويل مجرى المياه تحويلا يصيب الدول الاخرى بالضرر .

والمعاهدات الدولية المختلفة تقضي بان حق الدولة التي يجري فيها النهر الدولي ليس حقا مطلقا بل هو مقيد بوجوب احترام حقوق الدول الاخرى التي يجري حوض النهر في اراضيها وتبعا لذلك لايجوز تحويل المجرى الطبيعي للنهر دون موافقة الدول التي يجري فيها .

ان التاريخ ، ومختلف المعاهدات الدولية المتعلقة بمياه الانهار المشتركة تحترم المبادىء التي اشرنا اليها فيما سبق ، الا ان اسرائيل بدفعها الاستعمار ، مازالت تعمل على عدم احترام القانون، فعلى العرب ان يفرضوا بالقوة ، حقهم وقانونهم .

ان اسرائيل وهي تشرع بتحويل مجرى الاردن انما تخترق التزاما صريحا يرتبه عليها القانون الدولي وتضرب عرض الحائط بكل القواعد الحقوقية الدولية . وبالتالي فان الدول العربية كلها بصفة عامة والتي يمر باراضيها نهر الاردن بصفة خاصة على حق كامل الحق في منع اسرائيل من ارتكاب المخالفة الصارخة بكل الوسائل الممكنة .

وبعد ....

فان الكثيرين يتساءلون عن العلاج الذي نستطيع به ايقاف محاولة اسرائيل لتحويل مجرى النهر المقدس ...

والكثيرون ينتظرون هذا العلاج من الامم المتحدة ...

ويقولون بانه لابد وان تتحمل الامم المتحدة مسؤولياتها ، تجاه فلسطين وشعبها العربي وتعمل على تنفيذ مقرراتها القاضية بعودة النازحين الى ديارهم ، ويرون انه بامكان الامم المتحدة ان تعيد الى هذا الشعب الباسل حقوقه ، ذلك الشعب الذي واجه في القرن العشرين محنة لم يسمع بمثلها في اظلم عصور التاريخ .

هؤلاء يرون ان الامم المتحدة تعرف الكثير من سوء احوال اللاجئين وتعرف الكثير عن رغبتهم في العودة الى وطنهم بعد ان طردوا من وطنهم وسلبوا املاكهم ، بل سلبوا حياتهم .. الا انهم لم ينسوا وطنهم وارضهم وديارهم ....

هؤلاء لم يعرفوا ان الامم المتحدة نسيت ميثاقها وتجاهلت مبادئها ... نسيت مسؤولياتها المتعلقة بحقوق شعب فلسطين ، نسيت واجباتها واستسلمت لوعد قطعه الاستعمار ونفذه لآخرين لم يكونوا اصحاب الارض والوطن ..

ولهذا فان العلاج لايكمن في الامم المتحدة ..

العلاج هو ان تعود الامور الى سيرتها الاولى... وذلك بالرجوع الى ماقبل نقطة البداية ، عودة اصحاب الارض الى ارضهم ووطنهم .

واذا ماجال في تصور اي انسان ان طريق الرجوع صعب المنال وان الامر الواقع كما هو وكما تفعل اسرائيل الان يصلح ليكون اساسا لاصلاح الموقف فان تجربتنا وآلام العرب وآلام المنطقة التي نعيش فيها والجراح التي خلفها الغدر الصهيوني سوف تؤدي الى سلسلة لانهاية لها من الاخطار والجراح والاعتداءات ...

العلاج هو محاربة اسرائيل بنفس الاسلحة التي تحاربنا بها .

واسلحتها : القوة والعمل والعلم والسياسة والدعاية والاقتصاد

والعرب يعرفون ماذا تفعل اسرائيل ويعرفون الكثير مماتلقـــاه من تأييد سري وعلني ومادي ومعنوي ...

ان الخبراء العرب والفنيين العرب يدرسون الوسائل الفنية التي تمنع الماء عن اسرائيل ولديهم الآن مشاريع ستنفذ قريبا . كما يدرس الساسة الطرق التي توقف المحاولة عند حدها ، ويدرس رجال الاعلام الطرق التي يجب ان تفهم الرأي العـام العالمي حقيقة الموضوع والاخطار التي تتهدد العرب ، كما يعمل رجال الاقتصاد على توثيق المقـاطعة ... ويقف العسكريون بالمرصاد يقظين ، مستعدين هدفهم التضحية والثأر واعادة الحق الى نصابه .

ولقد شاء القدر ان يجعل موارد المياه في ايدينا وان يجعلنا قادرين على ان نحرم اسرائيل ذلك الكيان الغريب القائم في بلادنا العربية من شريان هو من اهم الشرايين التي يعتمد عليها في تأمين حياته وتحقيق اهدافه وغاياته وتنفيذ مشاريعه التوسعية والعدوانية .

ان الامة العربية في كل قطر من اقطارها تؤمن ان العلاج الحاسم لمنع التحويل يكون بالعمل الحازم لازالة اسرائيل والقضاء عليها .

ان القانون مع العرب ، والحق مع العرب ، والقوة التي كثيرا ماتعين على اقرار الحق والقانون موجودة لدى العرب .

وقد درس العرب في مؤتمر القمة اهم القضايا العربية واقدسهـــا ، درسوا قضية فلسطين برمتها وقضية التحويل بشكل خاص ... لقد درسوا الطريق الى تحرير فلسطين وتحرير الانسان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العربي . وكانت دراستهم واقعية وخالصة لوجه القضية العربيـــة ، وكانت مقرراتهم منسجمة مع مايطلبه العرب من حكوماتهم ورؤسائهم وملوكهم .

ان التفاؤل في هذا المؤتمر كان واضحاً ، والتفاؤل الحقيقي انما يتم في اليوم الذي توضع فيه مقررات مؤتمر القمة موضع التنفيذ ويتوصل العرب الى النتائج التي يريدونها .

ان العرب مصممون على تنفيذ الخطط العربية بكل عزم وقوة ، هـذه الخطط الرامية الى تحرير فلسطين .

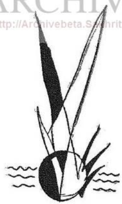
ان اسلحة اسرائيل وخطط اسرائيل اصبحت واضحة فعلينا ان نحارب اعداءنا بنفس اسلحتهم ولسوف يقاتل العرب جميعا من اجل ذلك بضراوة وايمان تنفيذاً لأمر الله تعالى :

وقاتلوهم ، يعذبهم الله بأيديكم ، ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين .

ولأن العرب يريدون الحياة ...

خصوصا وانهم اعتصموا بحبل الله جميعاً ولن يتفرقوا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



مع بني عبّاد في إشبيلية

بقلم سامي الكيالي

... كثيراً ماتثير زيارة المدن في نفس زائرها ذكريات التاريخ ، ولا سيما اذا كان ماضيها يعج بالأحداث ، فقد يهمل حاضرها ليعيش فترات مع غابرها .

وهذا ماجرى لي وانا في اشبيلية عروس المدن الاسبانية ، فما كدت أدخلها وأغوص في ازقتها القديمة وشوارعها الجديدة ، وأزور معالمها وأثرياتها وحدائقها وقصورها ، من قصرها الملكي القديم الذي لايزال يحتفظ باسمه العربي الكازار al - Cazar الى الكاتدرائيـــة العظيمـــة التي تعتبر من أفخم كاتدرائيات العالم والتي بنيت على النمط القوطي بعد ان أقيمت على انقاض الجامع الكبير الذي لم يبق منه غير مأذنته ـ المأذنة الشهيرة المعروفة اليوم بالجيرالدا ـ اقول بعد ان طوفت بمهجاتها الحديثة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومعالمها القديمة واستنفدت أكثر ما فيها رأيتني اعيش فترات مع الماضي - ماضينا المبهج والمؤلم معاً - مع بني عباد ، وقد انهالت على خاطري ذكرى ملوكهم وامرائهم والدور الذي لعبوه مدة حكمهم ، فذكرت حروبهم وجهادهم في القضاء على الفتن التي كانت تفت في عضد المملكة نتيجة العصبيات الطاغية الشرهة ، ثم ذكرت ترفهم وبذخهم ولهوهم والأساة التي نزلت بآخر ملوكهم ، بالمعتمد البطل الشاعر الذي تميزت حياته بالكثير من الفارقات .

ولا علينا ان نقص قصة هذه الاسرة التي كان لها شأنها في التاريخ الاندلسي لما تجر وراءها من عظات وعبر .

فالواقع ، ان اظهر عصور اشبيلية وأهمها من الوجهة السياسية هو العصر الذي تلا سقوط الخلافة العباسية لما اصبحت حاضرة بني عباد المستقلين منذ عام ٤١٤ هـ — ١٠٢٣ م .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويتفق المؤرخون على ان مؤسس هذه الاسرة هو ابو القاسم محمد الاول .

ولما توفي عام ٤٣٤ هـ خلفه ابنه ابو عمر عباد المعروف بالمعتضد الذي حكم ستاً وعشرين سنة امتازت بالقسوة والعنف . ثم خلفه ابو القاسم محمد الثاني الملقب بالمعتمد الذي اشتهر بمواهبه وتذوقه الشعر . فأصبحت اشبيلية في عهده ملتقى الفحول من علماء عصره ..

وبالنظر للاحداث الخطيرة التي مرت خلال الفترات التي حكم فيها المعتضد وابنه المعتمد وعاشا في اعاصيرها فاننا نوجزها في خطوط قصيرة ، بقدر الامكان :

عاش المعتضد حياته في صراع وكفاح مريرين .

قاد الجيوش في عهد أبيه وبعد وفاته فأظهر من الحنكة والشجاعة والحزم ما جعله ينتصر في أكثر من معركة - انتصر على بني الافطس واستولى على شلب

وشنت بريه Santel - Maria ولبله Nieblo وشلطيش Soltes وجبل العيون Silves وغيرها وغيرها . واقام عليها الولاة والحكام من قبله . Gibraléon

وبعد ان استولى على المناطق الواقعة غرب الاندلس ، فكر بالاستيلاء على جزيرة الاندلس كلها ، وكان غرضه الاول ، اعادة سيطرة الحكم الاسلامي ، بعد ان كثرت مطامع الملوك والامراء وفرقتهم العصبيات والاهواء ، ولاسيما وقد اقام بعضهم نفوذه وحكمه بالتعاون مع العدو والافادة من قوته وسلطانه .

ولكي يقضي « المعتضد » على هذه الميوعة والتفسخ ، ويرمز الى قوتـــه وسلطانه ولكي يعطي ابلغ درس لاعدائه الطبيعيين من الاسبان ومن اليهم ممن ضعفت نفوسهم ووهنت قواهم في الجهاد ـ لجأ الى سياسة البطش والعنف ، فكان لا يرجع من حرب وقد انتصر وظفر برأس ملك من الملوك ، او برئيس من الرؤساء الذين خانوا قومهم وآثروا العمل مع العدو ـ الا واخذ يشهرهم بطريقة غريبة تلقي الرعب والفزع في نفس كل من يتجرأ على اقتراف هذا الاثم الذي يمس القومية والدين في الصميم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ماهذه الطريقة الغريبة التي لجأ اليها ؟

لقد نصب في ساحة قصره خشبا جللها برؤوس الملوك والرؤساء عوضا عن الاشجار ؟

وعلق في آذانها الرقاع باسماء اصحابها ارهابا لاعدائه !

كما اتخذ من جماجم اعدائه الذين اذاقهم الحتوف اصصا ، يزرع فيها الزهر ، ويزين بها حديقته ، ويتلذذ بتأملها ، كما يتلذذ البخيل ، كما يقول المستشرق الاسباني بالنيثا ، بالنظر الى ماله !

وتصف كتب الادب والتاريخ ما يشير اشارة واضحة الى اصطناعه هذه

السياسة التي كانت تدخل الرعب الى قلوب اعدائه والى المارقين من ابناء جلدته (١) .

قصة الاخشاب التي نصبت في حديقة قصره التي جللت برؤوس الملوك والرؤساء عوضاً عن الاشجار التي تزين الحديقة ، وقصة الجماجم التي اتخذ منها أصصاً يزرع فيها الزهر ــ هذه القصص التي رواها المؤرخون هي التي حفزتهم ان يصفوا حكمه بالقسوة والغدر .

فما مبررات غدره وقسوته ؟

رأى الكيان الاندلسي الذي بناه الفاتحون في شبه تفكك وانحلال ، وان اعداء البلاد يتآمرون عليه وعلى دولة بني عباد الفتية التي وطد دعائمها ابوه ، كما رأى أن بني قومه يتصلون بالاعداء ويحيكون الدسائس والمؤامرات فما كان منه إلا أن فرض سياسة البطش والقوة ليصون هذه المملكة الفتية التي أرادها ركيزة لاعادة المجد الاسلامي . هذه المملكة التي قامت شابة قوية وسط الزعازع والاعاصير والتي اخذت تنتابها الاطماع من كل طرف .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

أكان عليه ان يلجأ الى الرحمة والتسامح واللين مع اعدائه ، وان يعفو عن المتآمرين ؟

أليس في تغاضيه وتسامحه تمكين لسيطرة الاسبانيين وعودتهم الى حكم هذه المناطق ؟.

(١) راجع في هذا الصدد كتاب مطمح الانفس للفتح بن خاقان . وقد وصفه الشاعر ابن اللبانة وكان من معاصريه بقوله : لم تخل ايامه في اعدائه من تقيد قدم ، ولاعطل سيفه من قبض روح وسفك دم . حتى لقد كانت في باب داره حديقة لاتثمر الا رؤوساً ولاتنبت الا رئيساً ومرؤوساً ..

والنتائج معروفة وهي اخضاع المسلمين الى اعنف الوان القتل والافناء والتهجير .. لذلك، عمد الى سياسة البطش دون مهاودة او رأفة حتى مع اقرب الناس اليه.

فحين علم ان ابنه الاكبر اسماعيل يأتمر به ، وهو ولي عهده وخليفته من بعده ، تخلى عن عاطفة الابوة وسجنه في قصره .

واخذ يرقب الامور عن كثب ، وقد هاله ان يتآمر عليه بعض وزرائه الذين زينوا لابنه بريق السلطان ولألآء الحكم فسار معهم دون ان يفكر بالعاقبة !..

* * *

كانت المؤامرة تحاك في قلب القصر .

وحين تحقق للمعتضد ان المتآمرين هم صفوة من اعتمدهم وفي طليعتهم وزيره وأبنه ، لم يتريث في فرض العقوبة الصارمة ، وسرعان ما أحضر ابنه وقتله بيده ، كما قتل جميع الذين دبروا خيوط هذه المؤامرة .

وبذلك استطاع ان يطهر المملكة من كل متآمر يفكر بالاقدام على مس كيانها ، وظل شعاره ، خلال مدة حكمه ، البطش ، ولا شيء غير البطش .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واستطاع ، بهذه السياسة الدموية الرهيبة ، ان يفرض حكمه وسلطانه ، وان يرهب خصومه واعداءه ، وان يضم بعض المناطق الى مملكة بني عباد ، فدام حكمه ستاً وعشرين سنة لم تكن كلها في الحروب والقتال بل كانت مرموقة بالتنظيم والاصلاح ورعاية الادباء والشعراء ، وهذا مانريد ان نشير إليه إلى النـــاحية المشرقة من حياته .

— ٢ —

يصف ابن بسام ملامح المعتضد الجثمانية ومواهبه الفكرية بقوله :

« .. وكان قد أوتي ايضاً من جمال الصورة وتمـــام الخلقة وفخامة الهيئة

وبساطة البنان وثقوب الذهن وحضور الخاطر وصدق الحدس مافاقه نظراءه ..

« ونظر مع ذلك في الادب، قبل ميل الهوى به الى السلطان ، أدنى نظر، بأزكى طبع ، حصل منه لثقوب ذهنه على قطعة وافرة علقها من غير تعمد لهـا ، ولا امعان النظر في غمارها،ولا اكثار من مطالعتها ، ولا منافسة في اقتناءصحائفها أعطته سجية على ذلك ماشاء من تحبير الـكلام ، وقرض قطع من الشعر ذي طلاوة ظاهرة في معان أمدته فيها الطبيعة ، وبلغ فيها الارادة ، واكتتبها الأدباء للبراعة ، جمع هذه الخلال الظاهرة ، الى جود كف بارى السحاب بها »

ان ّ ميله للأدب وقرضه للشعرجعلاه يرعى الشعراء ويخصهم بالكثير من عطاياه ونفحاته . وربما كانت أحلى سويعات العمر حين يلقي الشعراء قصائدهم بين يديه .

كان يستمع الى اماديحهم بعد ان يعود من احدى معاركه ، وقد انتصر على خصومه واعدائه ، فيشعر ، وهو القائد الشاعر ، بالزهو والفخر . . تماما كما كان يستمع سيف الدولةالى المتنبي و الى اماديح شعرائه بعد ان يعود من احدى معاركه وقد انتصر على خصومه

وقـــد ضم المتضد الى قصره الكثير من الشعراء واستوزر ابن زيدون واعتمـده في تصريف شئون المملكة مدة عشرين سنة حتى لقب بذي الوزارتين وهو من نعلم قدره ومكانته بين الادباء والشعراء .

ولا مجال للحديث عن ابن زيدون هنا فحسبنا القول ان اماديحه في المتضد كانت غاية في الصدق والدقة .

فمن بعض شعره فيه :

هُمامٌ يَزينُ الدهرَ منه وأهلَه مليكٌ فقيـــهٌ كاتبٌ متفلسف

يتيـــه بمرقاه سرير ومنبر ويحمد مسعاه حسام ومصحف

جحيم لعاصيه يشب وقوده وجنة عدن للمطيعين تزلف

طلاقة وجه في مضاء كمثل ما يروق فرند السيف والحد مرهف

على السيف من تلك الشهامة ميسم وفي الروض من تلك الطلاقة زخرف

سجايا لمن والاه كالأري تجتنى تعود لمن عاداه كالشري يُنقف

يراقب منه الله « معتضد » به يد الدهر يقسو في رضاه ويرأف

يقول المستشرق الاسباني انخل بالنثيا في كتابه « تاريخ الفكر الاندلسي » :

« .. كانت للمعتضد ذاكرة واعية، وقريحة شاعرية طيبة ، جعلت معاصريه يضعونه في صفوف المبرزين من الشعراء ، وقد احاط نفسه بهالة من الشعراء جعلت همها مديحه ، وافرغ عليها الاموال فبدا في هيأة خلابة من العظمة ».

وكثيرا ما كان يفخر باعماله الحربية وبالامنيات العذبة التي خالجت ضميره، وقصارى هذه الامنيات ضم اجزاء الاندلس المتفرقة تحت حكمه واعلان سيادته المطلقة عليها بعد ان اصبحت طعمة لضعاف الملوك والرؤساء .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فمن شعره الذي يرمز الى ذلك قوله :

هذي السعادة قد قامت على قدم وقد جلست لها في مجلس الكرم

فان أردت إلهي بالورى حسناً فملكني زمام العرب والعجم

فأنني لاعدلت الدهر عن حسن ولا عدلت بهم عن اكرم الشيم

أقارع الدهر عنهم كل ذي طلب واطرد الدهر عنهم كل ذي عرم

وقد ظل في دست الحكم مهيب الجانب ، ذا سطوة ونفوذ ، الى ان توفي بالذبحة الصدرية سنة ٤٦١ ﻫ بعد ان حكم ، كما قلنا ، ستة وعشرين عاما ، استطاع خلالها ان يصون المملكة من الانهيار .



جامعات تاريخية قديمة [1]

للدكتور عبد الحليم منتصر

استعملت كلمة « جامعة » بمفهومها الحديث منذ القرنين الثالث عشر والرابع عشر ، لتدل على مركز المشتغلين بالعلم والتعليم من طلاب واساتذة ، الذين اتحدت اهدافهم في الاستزادة من المعرفة ، والبحث عن الحقيقة . شأنهم في ذلك ، شأن كثير من المراكز والهيئات والجاليات ، التي توجد رابطة بينهـــا لتعمل على تحقيق اهدافها .

ARCHIVE

وقد كانت تستعمل للدلالة على جمعية او هيئة بصفة عامة ، وعندما خصصت للدلالة على هيئة علمية وتعليمية ، احتاج الامر في اغلب الاحيان لاضافة كلمة او كلمتين لتوضيح هذا الغرض أما الاصطلاح القديم الذي كان يستعمل في اوروبا للدلالة على مكان اجتماع ومركز نشاط هذه الهيئة او الجمعية للعلم والتعليم ، فكان « الاستاد » او « الاستاد العام » .

وقد عرف العرب منذ صدر الاسلام ،المسجد الجامع ، والصلاة الجامعة ، وكانت المساجد انما هي مراكز العلم والتعليم

(١) دراسة في نشوء فكرة الجامعة العلمية ، ومكانتها ، للدكتور منتصر استاذ العلوم ، الذي يشغل حاليا منصب مدير جامعة الكويت ..

وقد اشتهرت مساجد كثيرة بكونها مراكز للعلم والتعليم . مثل مسجد قبـــاء ، وجامع المنصور في بغداد ، والجامع الازهر بالقاهرة ، والجامع الاموي بدمشق ، وجامع القيروان بتونس وغيرها . بل ان بعضها كان يتخذ أصلا للتدريس وتصلى به صلاة الجمعة فقط . فكانت هذه المساجد انما هي جامعات اسلامية بالمعنى الحديث ، خاصة أنه لم تكن تدرس بهـا العلوم الدينية وحدها من فقه وحديث وما أشبه ، وانما كانت تدرس بها علوم اخرى كالطب والفلك .

وكذلك كانت المساجد والكنائس والصوامع والبيع وغيرهـا من دور العبادة انما هي مراكز هذه الهيئات العلمية ، التي يعمل اعضاؤها من رجال الدين وتلاميذهم ومريديهم في البحث والدرس ، وارتبطت الدراسات العلمية بالدراسات الدينيـة ، وكان رجل الدين هو في الوقت نفسه رجل العلم ، المسؤول عن تقدم العلم ونشره وتطوره .

واغلب الظن أن الحال كانت كذلك ، قبل المساجد والكنائس ، فدور العبادة هي دور العلم في الحضارات القديمة من مصرية فرعونية ، وآشورية وبابلية وصينية ، وهندية ، فكان رجال الدين هم القائمين على شؤون العلم والتعليم ، فكان الرباط بين العلم والدين وثيقاً .

ARCHIVE

جامعة أون او عين شمس

ولا نكاد نعلم الكثير عن « جامعة أون » أو « عين شمس » التي قيل انهـا وجدت في مصر الفرعونية منذ الفين من السنين قبل الميلاد ، والمعروف أنها كانت توجد في ضاحية عين شمس بالقرب من القاهرة ،وليس من شك في أنه كانت تدرس بها علوم الطب والهندسة والتشريح والفلك والرياضيات ، مما اشتهر به المصريون القدماء ، وبقيت آثارهم دالة على علو كعبهم في هذه العلوم .

. . .

كذلك لا نكاد نعلم شيئا عن مقر خاص ، بعيد عن دور العبادة او منازل العلماء ، يتخذ مركزا للنشاط العلمي والتعليمي في عصر الاغريق قبل افلاطون واكاديميته المشهورة ، فلاطاليس ولاابقراط ولاسقراط ممن شهروا بالعلم والطب والفلسفة قد عرف له مقر خاص للتعليم . وانما عرف عن سقراط انه كان يعلم في الشارع او الطريق ، فيلتف حوله مريدوه ليحاورهم ويناقشهم في العلم والفلسفة ، بل انه كان يحاور ويناقش تلاميذه وانه لفي سجنه ، بعد ان حكم عليه بالموت بالسم ، بل قيل انه ظل يفلسف ويحاور وان السم ليسري في بدنه ، حتى كف لسانه عن الحركة بفعل السم القتال .

اكاديمية او جامعة افلاطون

اما افلاطون الذي تتلمذ على سقراط ، فهو اول من ابتاع او استأجر مكاناً ظليلا في اثينا عرف بالاكاديمية يلتقي فيه طلابه ومريديه في مواعيد منتظمة ، ليعلمهم الحكمة والفلسفة ، ويمكن اعتبار اكاديمية افلاطون أول جمعية او جامعة لها تاريخ معروف ، وكان ذلك في القرن الرابع قبل الميلاد ، وقدظلت رئاستها اليه طيلة حياته ، وعاشت من بعده قرونا متطاولة ، وان اختلفت مقارهـا ، وتباينت مناهجها ، ثم اندثرت آثارهـا في القرن السادس الميلادي بعد ان عُمّرت زهاء الف عام .

وقد مرت اكاديمية أفلاطون بخمس مراحل. الاولى هي الاكاديميةالقديمة في القرن الرابع قبل الميلاد ، وتولى رئاستها بعـــد افلاطون « سبيسبس » ، ثم « زينوكراتس » و « قتليمون » ، و « كرايتس » على التتابع ، وكان من اشهر اساتذتها « فيليبس » و « هرقليدس » و « يودوكسيس » و « كرانافور » وقد اشتهرت في هذا العهد بالدراسات الهندسية والنفسية والفلسفية ونظريات الاعداد .

أما المرحلة الثانية ، وانها لتمتد على طول القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد وقـــد تطورت من محاورات افلاطون الى طريقة اخرى منهجيه تحت رئاسة « ارسيلوس » حتى « كارنياس » ، ومع ذلك فقد ظلت متسمة بطابـع افلاطون في دراستها وبحوثها .

وتبدأ المرحلة الثالثة للاكاديمية مع مطلع القرن الاول قبل الميلاد ، تحت رئاسة « فيلو » وتبلغ أوجها في عهد « انتيكوس » ، حـــين تشعبت الدراسات الفلسفية والطبيعية والمنطقية والاخلاق وماالبها .

وتمتد المرحلة الرابعة طوال القرن الثاني الميلادي وتمثل مايسمى بالافلاطونية الوسطى كما تمتد المرحلة الخامسة والاخيرة ، على طول القرون الثالث والرابـــع والخامس الميلادي ، الى ان تتلاشى مع عشرينيات القرن السادس (٥٢٩م) . ومن علماء المرحلة الاخيرة « بلوتارك » و « سريانوس » و« بروكليس » و«دمايسيوس» وكان الاخير ذا شهرة فائقة ، وقد سميت المرحلة الاخيرة بالافلاطونية الجديدة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فأكاديمية أفلاطون ، هي جامعة بالمعنى الحديث ، اليست مكانا يجتمـع فيه العلماء ومريدوهم للدراسة والبحث ؟ صحيح انها في العصر الحاضر تتميز بالطابع العلمي البحت ، ويستعمل الاصطلاح الآن للدلالة على جمعيات علميـة أو مدارس لدراسات معينة .

ليسيوم أرسطو

لقد كان أرسطو ، يطمع في أن يلي رئاسة الاكاديمية ، بعد وفاة استاذه افلاطون ، فلما آلت الى غيره ، اختار المعلم الاول « الليسيوم » بجوار معبد«ابولو» في اثينا ، وجعل منه معبدا علميا ممتازا ، وقد غدا الاسم علما على دور العلم والفلسفة في كثير من البلاد ، واطلقه الفرنسيون على المعاهد الثانوية الممتازة الـتي تشرف

عليها الدولة ويسمونها « ليسيه » الا أنه في مفهومه الارسطي انما هو جامعة او جمعية يتعاون اعضاؤها في البحث والدرس .

جامعة الاسكندرية القديمة

وقد سميت كذلك أكاديمية الاسكندرية أومتحف الاسكندرية أومكتبة الاسكندرية ولعلها كانت كل أولئك ، أوتشتمل على كل ذلك ، ولا مراء في أنها كانت في طابعها العام مشابهة لاكاديمية أفلاطون ، انشئت في اوائل القرن الثالث قبل الميلاد في عهد بطليموس الاول ، حين اجتمع عدد من علماء الاغريق وعلماء الشرق يقومون بدراسة الوان مختلفة من العلوم والمعارف ، وقد لعبت جامعة الاسكندرية دورا رائعا في تقدم العلم ، وقام علماؤها بتأليف عدد من الكتب والمراجع .

ومن اشهر علماء جامعـــة الاسكندرية ، أرشيميدس صاحب النظريات والقواعد المشهورة ، وبطليموس الفلكي ، وهيرون أول من قال بنظرية الصواريخ التي تطورت مع الزمن الى ان وصلت الي صورتها الحاضرة في العصر الحديث ،وان مبدعها لهيرون العالم الاسكندري الاشهر ، ثم « جالينوس » وتلقبه العرب بالفاضل لما اشتهر به من علم وفضل ، وغير هؤلاء من اعظم علماء هذه الحقبة الزاهرة في تاريخ العلم والتي ازدهرت بها الاسكندرية على سائر بلدان العالم آنئذ ، حين سطعت في سماء الحضارة العلمية والانسانيـة مدى خمسمائة عام ، حتى نهاية القرن الثاني الميلادي ، حين أتى عليهـا الحريق المشهور الذي دمرها وعاق تقدمهـا ردحا طويلا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد كان لمكتبة الاسكندرية مكانتها العلمية العالية ، أن كانت تحوي اعظم مجموعة من الكتب ، واذا استثنينا المكتبات الآشورية والمصرية القديمـة ، وكانت

الاولى على قوالب الطين ، والثانية على أوراق البردى ولفائفه ، فان مكتبة الاسكندرية هي أولى مكتبات العالم القديم ، انشأها بطليموس الاول (سنة ٣٢٣ — سنة ٣٠٩ ق.م) ملحقة بجامعة الاسكندرية ، وزاد فيها بطليموس الثاني (٣٠٩ — ٢٤٦ ق.م) وجمع لها كتبا كثيرة من جميع الامصار حتى بلغ عدد مابها من كتب نحو مائة الف من المجلدات ، كما قيل أنه كان بها عندما أتى عليها الحريق الشهير نحو ٥٠٠ - ٧٠٠ الف مجلد . وكان ذلك سنة ٤٧ ق.م حين ثارت الاسكندرية على قيصر وكان احراق هذه المكتبة خسارة علمية وأدبية لم يصب العالم بمثلها . قيل ان الثوار أحرقوها حين حاصروا قيصر فيها وقيل ان قيصر نفسه أحرقها لينجو . على ان انطونيوس الذي خلف قيصر أهدى كليوباطرة جميع كتب مكتبة « برجامون » من آسيا الصغرى ، وكان بها نحو ٢٠٠ الف مجلد ، فعوض بعض الخسارة ، واستردت مكتبة الاسكندرية بعض مكانتها ولما ظهرت المسيحية ، وكثرت التآليف فيها ، زاحمت هذه التآليف الوثنية ، وفي ابان حكم الامبراطور تاودوسيس ٣٧٨ — ٣٩٥ م وكان متطرفا في مسيحيته ، أمر بهدم معابد الوثنية ، وآثارها ، وكانت مكتبة الاسكندرية قد انتقلت الى هيكل سيرابيس المجاور لها ، فدمر بين مادمر ، وبذلك ضاعت مرة أخرى كنوز العلوم والفنون والآداب التي نجت من نيران قيصر ، وما نقله انطونيوس من «برجامون» وما ألفه نوابغ الوثنيين الرومان . وبذلك لم يتبق على مكتبة الاسكندرية شيء بل اندثرت معالمها جميعا . ويقول « اروزيس » ان منظر الرفوف الفارغة بعد ذلك بعشرين سنة كان مما يهيج شجون محبي العلم . ولقد اينعت المكتبة بعد ذلك بالكتب الدينية المسيحية والكتب اللغوية ، وكان اكثرها متعلقاً بالخلافات بين البيزنطيين والاقباط عن طبيعة المسيح . وكان البيزنطيون يستبعدون كتب مخالفيهم في العقيدة ، وعندما فتح العرب مصر ، انجلى البيزنطيون عن الاسكندرية

مصطحبين معهم من الكتب ما أعجبهم ، فلما وضع العرب أيديهم على المكتبة لم يجدوا بها الا كتب المهاترات الدينية مكتوبة باللغة اليونانية ، وكانت بغيضة الى نفوس الاقباط لما عانوه من تعنت وظلم البيزنطيين ، فكانوا متشوقين للقضاء عليها ، ولم ير المقوقس وأصحابه بأساً من اتلافها وحرقها وتوزيعها على حمامات الاسكندرية وقوداً لنيرانها . ولو قد كانت لديهم رغبة في الابقاء على هذه الكتب أو بعضها لفعلوا . وهناك رواية مدسوسة نقلها القس ابو الفرج المالطي تقول بأن عمرو بن العاص هو الذي أحرق المكتبة بأمر من عمر بن الخطاب ، وهو قول بادي السخف ، لم يقم عليه دليل .

وقد أشتهر من بين أمناء مكتبة الاسكندرية ، الذين قاموا على تبويبها وتنسيقها عدد من العلماء المبرزين من أمثال ديونوديتس الفيلسوف ، وكلماخوس الشاعر . كما اشتهر من علماء جامعة الاسكندرية عدد من أعاظم المفكرين من امثال جالينوس وارشميدس وبطليموس وغيرهم .

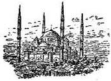
جامعة ومكتبة برجامون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انشئت في آسيا الصغرى في برجامون ، أنشأها أمينيس الثاني (سنة ١٩٧ — ١٥٨ ق‌م) كي تنافس جامعة ومكتبة الاسكندرية عاصمة مصر في ذلك الوقت. ويذكر المؤرخ « بليني » ان بطليموس حاول ان يعرقل مشروع أمينيس ، فمنع تصدير البردى من مصر ، فلجأ « أمينيس » الى مادة أخرى يستعملها في الكتابة وهي جلود الضأن والماعز ، ونجح في ذلك الى أقصى حد . وقد ازدهرت مكتبة برجامون ايما ازدهار ، وعمرت نحو قرن ونصف قرن من الزمان ، الى أن أهداها انطونيوس الى كليوباطرة لتضم الى مكتبة الاسكندرية ليعوضها عما أصابها في حريق سنة ٤٧ ق.م . وقد حدث بلوتارك ، أنه كان بمكتبة برجامون نحو مائتي الف مجلد ، نقلت جميعاً الى مكتبة الاسكندرية بأمر من انطونيوس ، ويقول انها كانت مركزاً علمياً ممتازاً تجمع فيه عدد من العلماء النابهين .

لقد لعبت هذه الجامعات التاريخية القديمة ، دورها في قيادة الحركة العلمية في هذه العصور الموغلة في القدم على خير وجـه . ثم انتقلت الكرة الى العرب ، فتداولوها أبرع مداولة ، وظهرت في العواصم العربية في بغداد ودمشق والقاهرة والقيروان وغيرها من مدائن ، مراكز علمية ، ليس من التجوز الكبير أن نسميها جامعات بالمعنى الحديث، كان لها في نشر العلم والمعرفة شأن أى شأن . وعن العرب نقلت اوروبا في عصر النهضة . وها هي ذى الجامعات العربيـة ، تنتشر في الوطن العربي من أقصى شرقيه الى اقصى غربيه ، تدفع العرب لمواكبة ركب الحضارة العلمية العالمية ؛ والاسهام في الاضافة الى المعارف البشرية ، في سبيل نشر نور العلم والعرفان لخير الانسانية جمعاء .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



في الاشتراكية

للدكتور نوري جعفر الحافظ

القسم الثالث

نقد الفلسفة الماركسية(١) :

حري بنا ان نتذكر ان مئات الملايين من البشر في العصر الحاضر ينظرون الى الافكار التي نادى بها (ماركس) ومن جاء بعده من الانصار والمؤيدين على انها حقائق ازلية .ورغم ذلك فقد انتقدت هذه الفلسفة انتقاداً مراً لاذعاً . فما هي الانتقادات التي وجهت اليها ؟

١ ــ هناك اولا نظرية ماركس الاساسية حول القيمة.فهذه نظرية تخلى عنها الاقتصاديون منذ زمن طويل ، لانها تحاول ان تفسر الاسعار على ضوء كلفة انتاج محدودة وخاصة . ويعتبرها الاقتصادي العصري نظرية قديمة تضع الامور في غير نصابها . وليست هذه النظرية كلها مغلوطة ولكنها لم تعد تفيدنا في شيء . وكل ماتتميز به هي انهـا صوت مدو ضد الظلم والاجحـاف والتعسف الذي يسود النظام الرأسمالي القديم ، فهي ضيقة لانها قد صورت البراجوزية ــ الطبقة الوسطى ــ تصويرا جامدا محدودا كما كان الحال في القرون الوسطى . وعليه فهي فجة مليئة بالمتناقضات وعدم الاستقرار .

٢ ــ وتنتقد نظرية (ماركس) في القيمة الفائضة . اذ ان هذه النظرية تعتمد على اعتقاد (ماركس) بان العمل هو البضاعة الوحيدة القادرة على ايجاد منتوج يزيد على كلفتها . ولكن يستطيـع المرء من الناحية المنطقية ان يختار اية بضاعة اخرى ــ كالقمح والحديد والفحم والآلات ويزعم لها نفس هذه القدرة ويستنتج ان مالكيها مظلومون ومستغلون .

٣ ــ ان نظرية (ماركس) عن التنازع الطبقي تبسط الاوضاع تبسيطا كبيراً عندماتقسم

(١) القسم الثالث والاخير من مقـال الدكتور نوري الحـافظ الاستاذ في جامعة بغداد تم نشر القسمين الاول والثاني في العددين الماضيين ،٢٤و٢٥من المعرفة .

كلهم الى كتلتين متعاديتين ، فهي لاتعطي صورة صادقة للظروف القائمة . فلدينا طبقة رأسمالية وطبقة عمالية . هذا امر مفروغ منه ، ولكن هناك طبقة اخرى ذات اهمية كبيرة جدا الى درجة قد تحفظ التوازن في القوى بين الطبقتين الا نعني الذكر والتي لاتميل او تشايع طبقة على حساب طبقة اخرى . وهل ننسى مكان موظف الشركات ، الذي يتكون كسبه من راتب يأخذه من شركته ؟ انه ليس من البورجوازيين لانه لايمتلك وسائل الانتاج . فهل هو من العمال كاسبي الاجور . وبالتالي ممن يخضعون للاستغلال ؟ ولكن من الواقع انه ليس مظلوما وانه لايكسب مجرد الكفاف . وماذا نقول عن اصحاب الحرف وموظفي الحكومة والمزارعين الذين يملكون مزارعهم وادواتها ؟

وبالاضافة الى ذلك فلدينا طبقات اجتماعية اخرى منقسمة ومنفصلة بعضها عن بعض ولكن ليس بسبب الثروة الكبيرة والدخل المرتفع . وقد تنتظم طبقة العمال وطبقة الرأسماليين طبقة واحدة يؤلفها رباط اللون او الجنس او العنصر ، وان هذه الروابط نفسها قد تفرق بين جماعات العمال انفسهم او بين جماعات الرأسماليين .

هذا ولم يتحقق الا القليل من التنبوءات التي تنبأ بها ماركس عن الرأسمالية في منتصف القرن التاسع عشر . وان من اهم مآثر (ماركس) في علم الاقتصاد نظرية التركيز التي قال بها والتي يقصد منها نظرية الاحتكار . الا انه بالغ هنا ايضا بعض المبالغة ، لانه قال ان التركيز هو اتجاه عام وانه يحصل في جميع اجزاء الاقتصاد ، ولكن لاتزال الوحدات الصغيرة تعمل الى اليوم في حقول الزراعة وصناعة الملابس والطباعة .

وقد انقضى مايقرب من مئة عام منذ ان اعلن (ماركس) قانون تناقص نسبة الربح ، وتزايد شقاء العمال . ولكن الارباح زادت في هذه الفترة ولم تنقص ، ويصعب علينا ان نكتشف اي اثر لوجود اتجاه هبوطي للارباح في الاجل الطويل . اما بالنسبة الى العمال في النظام الرأسمالي ، فان مركزهم لم يتدهور ابدا بل تحسن تحسنا عظيما منذ منتصف القرن التاسع عشر . بل الواقع اننا لو حللنا اقوال (ماركس) لوجدنا فيها تناقضاً صارخاً ، اذ ان قوله بتزايد شقاء العمال يتناقض منطقيا مع قوله بتناقص نسبة الربح ، الا انه لم يلاحظ هذا التناقض .

على ان الانصاف يقضي علينا ان نقول ان وصف ماركس للرأسمالية ينطبق من نواح عديدة على الاحوال التي كانت سائدة في زمانه . ولكن تطورات كثيرة طرأت على الرأسمالية ذاتها منذ ذلك الحين .

فلقد اصبح للنقابات مكانة مهمة في الاقتصاد . ولعبت التشاريع المالية وقوانين الضمان الاجتماعي دورا عظيما في حماية العمال ، وفرضت المراقبة الحكومية على حقول كثيرة .

ولو اننا طبقنا نظرية (ماركس) على الرأسمالية السائدة في ايامه لوجدنا فيها بعض المبالغة، ولكننا اذا طبقناها على رأسمالية هذه الايام فانها تبدو صورة كاريكاتورية لا اكثر .

صحيح ان المساحة الجغرافية التي تسودها الرأسمالية اليوم اصغر مما كانت عليه سنة (١٩٠٠) ، ولكن هذا راجع الى التطور البطيء في المراقبة الحكومية . بل ان السبب الاهم هو التغيرات السياسية العميقة التي حصلت نتيجة الحربين العالميتين . فان الرأسمالية لاتستطيع ان تعيش الا في مجتمع يسوده الاستقرار السياسي ، وتقوم فيه حكومة تحكم بموجب القوانين ويتسنى له اطار من المؤسسات الديمقراطية .

المدارس الاشتراكية المختلفة

لقد لاحظنا من دراستنا لموضوع الاشتراكية وجود مدارس اشتراكية متعددة تختلف في الاساليب التي تتبعها في تحقيق هدفها المشترك . وهي تتراوح من جهة اخرى بين الاعتدال والتطرف في عرض فلسفتها والسعي الى تحقيقها . وقد رأينا ان تقتصر دراستنا في عرض اهم هذه المدارس وابرزها لالتقائها في كثير من النقاط رغم وجود بعض الاختلافات بينها . ولعل اهم هذه المدارس في رأينا هي :

١ ـ الاشتراكيون الطوبائيون

٢ ـ الاشتراكيون الفابيون

٣ ـ الاشتراكيون الاصلاحيون

٤ ـ الاشتراكيون النقابيون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١ ـ الاشتراكيون الطوبائيون :

كان معظم الاشتراكيين الفرنسيين والبريطانيين حتى ثورات سنة ١٨٤٨ من الاشتراكيين الطوبائيين . وقد حاول هؤلاء الاشتراكيون ايجاد مجتمعات تقوم على المبادىء المنزهة من الانانية الفردية في المجتمع . وكانوا يكرهون العنف ، وقد حاولوا تحقيق اهدافهم بالعقل والاقناع . ولذلك يسمون بالاشتراكيين العقليين تمييزا لهم عن الاشتراكيين التطوريين والاشتراكيين العلميين . وكان الكثير منهم شديدي التدين ، فاخذوا يدعون الى مناهجهم باعتبارها منبثقة عن التعاليم المسيحية . اما الناحية الاشتراكية من تعاليمهم فتقوم على رغبتهم في انشاء مجتمعات تقوم على المساواة ، ويجري الانتاج فيها لمصلحة المجتمع بمجموعه لا للربح الفردي . وقد قاموا بتجارب عديدة في الحقل الاشتراكي .

ويضم الاشتراكيون الطوبائيون بين صفوفهم اولئك الافراد الذين قد افزعتهم شرور النظام وأقضت مضاجعهم مساوئه . هــذا النظام الذي يعتمد على المزاحمة الحرة . فهم يدعون الى الملكية الجماعية لوسائل الانتاج كعلاج جذري لمساوىء النظام القائم . ان مثلهم مثل الطبيب الذي يضع الوصفة اللازمة عند علاجه لمريضه . ويأتي هؤلاء الاشتراكيون بكثير من الامثلة والشواهد ليبرهنوا للناس بان الامور ستسير بصورة طبيعية رخية هنية اذا ماتجهنا في تطبيق نظام (الملكية الجماعية) للاراضي ورأس المال .

يرسم الاشتراكيون الطوبائيون صورة مثالية تخيلية للمجتمع الذي يريدون أن يعيشوا فيه . انه المجتمع السليم الذي يدفع افراده الى السلوك السليم المعتمــد على الفكر النير والذي سيعمل للقضاء على الشقـــاء الدائم والظلم المتحكم . ان الاشتراكيين الطوبائيين يدعون الى اعادة تشكيل الطبيعة البشرية وصوغها بالشكل الذي يرفعها عن مستواها في الحياة . ويعتقد البعض الاخر من هؤلاء الاشتراكيين ان كثيراً من اخطاء الناس في الوقت الحاضر تعود الى النظام الاقتصادي الجائر الحالي والى مساوىء النظام الاجتماعي التقليدي . وان الكثير من هــذه الاخطاء ستزول بزوال هذا النظام وبزوال مؤسســاته القائمة بيننا .

وكنموذج حي لهــذا الصنف من الاشتراكيين نستطيع ان نضع (روبرت اوين) في المقدمة . لقد عاصر (روبرت اوين) الثورة الصناعية في بريطانيـــا ، وكان هو نفسه من ارباب الصناعات الناجحين وقد لمس بنفسه مساوىء المزاحمة المطلقة وشرورها ، وقد آمن بالاخلاص بضرورة تحسين احوال الطبقة العاملة وتخليصها من شرور هذا النظام . وعلى الرغم من ان (روبرت اوين) يعتبر من الاصلاحيين الذين يريدون اصلاح حالة العمل ومن دعاة التعـــاون الاختياري بين العمال واصحاب العمل ، الا انه لايرى في هذه الاصلاحات الحلول الجذرية اللازمة لتحقيق الاغراض المنشودة . فهو يرى أنه لابد من اصلاح الطبيعة البشرية منذ الطفولة المبكرة بالتدريب الدقيق والتوجيه السليم في جو يسود فيه روح التعاون التام والترابط المتين والخروج من الجو القائم الذي تسوده الانانية الضيقة وحب الذات والتفكير التجاري . لقد انفق (روبرت اوين) ثروته الكبيرة المضي في محاولاته وتحقيق آرائه الاصلاحية في اعادة بنــاء المجتمع من جديد وفقاً لفلسفته . ولقد كانت امريكا الشمالية اهم مسرح لتجارته . ومن مشاريعه المعروفة انه قد اوجد مستعمرة في هارموني الجديدة في انديانا في الولايات المتحدة خالية من الملكية الفردية ونظام المزاحمة فيها . وبعد كفاح مرير دام عامين ، انتهت تجربته بالفشل التام .

ومن اصحاب (روبرت اوين) ومدرسته الاشتراكية نستطيع ان نضع (سنتسيمون) (وفورييه) ، (كابت) ، (بلامي) وغيرهم . كما ان (لويس بلانك) يمثــل مكاناً وسطاً بين هذا الصنف من الاشتراكيين الطوبائيين وبين الحركات الاشتراكية الاخرى التي جاءت من بعدها .

٢ ـ الاشتراكيون الفابيون :

قام عدد من الاشتراكيين البريطانيين البارزين في اواخر القرن التاسع عشر (١٨٨٩) بتأسيس جمعية سموها (الجمعية الفابية) . وكان بين هؤلاء الكاتبان الشهيران جورج برناردشو، هـ . ج ويلز . كما كان بينهم سدني وب وعقيلته السيدة بتاريس وب وكراهــام والاس . وقد اقتبسوا اسم الجمعية من اسم القائد الروماني (فابيوس) الذي حارب (هنيبعل) واستخـدم في حربه معه اساليب التـأخر حتى انهكه وهد قواه . وقد اختارت الجمعية هذا الاسلوب ـ اي اسلوب التطور لا الثورة ـ سلاحاً لها . وكان للمقالات والكتب التي نشرها الفابيون تأثير كبير في تكوين الآراء التي يعتنقها اليوم حزب العمال البريطاني .

وقد اعتقد الفابيون بان قيام الاشتراكية امر لامفر منه ، رغم ان الاساليب التي بنوا عليها هذا الاعتقاد يختلف عن الاساليب التي ارتكز عليها (ماركس) . اذ انهم كانوا يرون ان نمو المراقبة الحكومية البطيء ، سيؤدي بالتدريج والتطور الداروني ، الى قيام الاشتراكية .

وكان الفابيون مخلصين في اعتقادهم بالديمقراطية والتطور السياسي السلمي ، وهم يختلفون من هذه الناحية عن ماركس واتباعه . وتذهب النظرية الفابية الى ان تحقيق الاشتراكية يجب ان يتم بواسطة قوانين يصدقها البرلمان .

وعندما تأسست هذه الجمعية لاول مرة لم يكن عدد اعضائها يتجاوز بضعة آلاف ومعظمهم من المثقفين . وكان لها تأثير كبير على تقدم الفلسفة الاشتراكية وانطلاقها وعلى الحركة العمالية وعلى السياسة البريطانية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان اعضاء الجمعية الفابية الانكليزية يلخصون عقيدتهم الاشتراكية ، التي يدعون لها تحت اسم (الاشتراكية الادارية) ، بالقضاء على الملكية الفردية للارض ، ونقل رأس المال الصناعي للادارة العامة لكي يدار بصورة اشتراكية والتي تتميز بالكفاءة والحزم . بالاضافة الى وجود منهاج تشريعي للعمال ونظام لاصلاح الضرائب الذي يؤكد على الضريبة التصاعدية وبعبارة اوضح ان العقيدة الفابية تؤمن بالتربية والتوجيه والتعاون والتغيير التاريخي بدلا من الثورة والعنف في تحقيق مناهجها الاصلاحية .

٣ ـ الاشتراكيون الاصلاحيون :

لقد عاصر نشوء الجمعية الفابية حركة اشتراكية ظهرت في القارة الاوروبية ، وانشأهـا بعض اتباع ماركس بعد ان عدلوا افكاره وانتزعوا جانبا من عنفها . وهؤلاء هم الاصلاحيون او الاشتراكيون الديمقراطيون . وقد اختلفوا عن ماركس في انهم اعتقدوا بامكان قيام اشتراكية بواسطة الوسائل التطورية الديمقراطية . وقد حصل الديمقراطيون على مقاعد في البرلمان الالماني

واشتركوا في الاجراءات التشريعية وحاولوا الحصول على الاكثرية البرلمانية وكانوا مع ذلك يعتبرون انفسهم ماركسيين .

وقد انقسم الماركسيون في كل مكان إثر الثورة البولشفية الروسية الى فريقين : فريق الشيوعيين ، وفريق الاشتراكيين الديمقراطيين . فانتهج الاول طريق ماركس ولينين ، وسيطرت عليه الى حد كبير السياسة الروسية الرامية الى تحقيق الشيوعية الدولية . اما الاشتراكيون الديمقراطيون فانهم مع اقرارهم بفضل ماركس اخذوا يعملون لتحقيق الاشتراكية في بلادهم بواسطة المؤسسات الديمقراطية فاستجلبوا لانفسهم بذلك سخط الشيوعيين ومعارضتهم .

٤ — الاشتراكيون النقابيون

ظهرت الاشتراكية النقابية في مطلع القرن العشرين ، وهي عبارة عن مزيج من الحركة النقابية والشعارات الماركسية ، وكانوا اكثر شيوعا في البلاد اللاتينية : فرنسا ، ايطاليا ، اسبانيا وظهرت في امريكا ايضا حركة اشتراكية نقابية قامت بها منظمة العمال الصناعيين في العالم.

وابرز افكار النقابية قولها ان النقابة هي في آن واحد اداة لتحطيم الرأسمالية وخلية لمجتمع المستقبل النقابي . ويكره النقابيون الحكومة في جميع اشكالها ويعتبرونها اداة للظلم . ولذا فهم ينادون بزوال الحكومة من العالم النقابي . ويحبذ النقابيون قيام هجومات عنيفة على الحكومة وبخاصة بواسطة الاضرابات . هذا وقد اختفت النقابية من العالم بعد الحرب العالمية الاولى والتحق الكثير من اتباعها بصفوف الماركسية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهنالك انواع اخرى من الاشتراكية المعتدلة — اذا جازت لنا هذه التسمية — ورغم ان معظمها ينظر الى التوسع في الوظائف الاقتصادية للدولة ، فانهم في الوقت نفسه يرون انه بالامكان تحقيق النظام الاشتراكي عن طريق تغيير اشكال الحكومات القائمة اليوم باشكال اخرى جديدة . فالبلاد الاشتراكية — كما يرونها — ستخضع لحكم العمال وتصبح على مر الايام دولة لامركزية ، وان اجهزتها الادارية والتشريعية تصبح اكثر ديمقراطية وتخف من حدة قوتها الالزامية واجراءاتها القهرية التعسفية . لان معظم الاشتراكيين يؤمنون بضرورة تغيير النظام الاقتصادي القائم بنظام جديد يحرر المواطنين من التعسف والاكراه .

كما ان بعض المدارس الاشتراكية ترى امكان وجود حكومة ثنائية تنهض احداهما بالامور السياسية وتتولى الثانية الاشراف على المشكلات والقضايا الاقتصادية وتوجيهها .

وفي الحقيقة ان مصطلح (اشتراكية الدولة) كثيرا مايستعمل ليعكس افكار اولئك المفكرين الذين يدعون الى توسيع الوظائف الاقتصادية للحكومات القائمة . واذن فان اشتراكية الدولة تشير الى مدى تدخل الدولة الاقتصادي ودرجته . فدعاة هذه الفلسفة يضعون بين صفوفهم

اولئك الطراز من الاشتراكيين الذين يؤمنون بضرورة توسيع سيطرة الحكومة وهيمنتها وزيادة رقابتها واشرافها على القطاع الخاص .

اما الاشتراكيون الماركسيون المتطرفون فهم يعارضون – بوجه عام – اشتراكية الدولة على اساس ان هذا الاتجاه يقوي النظام الرأسمالي القائم .

ومن هنا نلاحظ ان عناصر التشابه اكثر من عناصر الاختلاف بين هذه المدارس الاشتراكية اي ان معظم المدارس الاشتراكية ذات الاجنحة المعتدلة تلتقي في كثير من النقاط الاشتراكية واستناداً الى هذه الحقيقة ان كثيرا من الماركسيين الاشتراكيين يعتقدون ان بعض المعتقدات الماركسية – وبخاصة تنبؤاته المشؤومة – تحتاج الى بعض التعديل والتحوير . والاكثر من ذلك اخذ البعض منهم يصرح بانه بدلا من الانتظار الطويل المرير لتحقيق الثورة المنشودة ، بالامكان تحقيق بعض الاصلاحات الاجتماعية عند سنوح الفرص والمناسبات التي يجود بها الزمان . وهكذا فان الاصلاحات الجزئية التي يمكن تحقيقها من وقت لآخر – حتى لوكانت على أيدي الدولة الرأسمالية – هي خير من الانتظار الطويل للفرصة الوحيدة والتي قد لايجود بها الزمان .

وفي الحقيقة ان آراء كثير من الاشتراكيين المحافظين لاقطار مختلفة لاتختلف بعضها عن بعض اختلافاً بيناً الا باختلاف الظروف المحلية والمشكلات القومية والوطنية التي تعرقل عملية التطبيق . ان الفلسفة الاشتراكية التي يسير على ضوئها الحزب الديمقراطي الاشتراكي في المانيا لاتختلف في جوهرها عن الفلسفة السياسية التي يسير بموجبها النقابيون في بريطانيا .

واخيرا فان النازعات الاشتراكية التي تدور حول المناهج الاجتماعية والاقتصادية في الوقت الحاضر تدور حول مسألتين مهمتين : موقف هذه المناهج من القطاع الخاص – اي من الرأسمالية – وموقفها من الحكم الديمقراطي .

ويعادي الشيوعيون النظام الرأسمالي طبعا ويصفون نظامهم الشيوعي بانه نظام ديمقراطي الا ان مفهوم السوفييت للديمقراطية يختلف عن المفهوم الغربي التقليدي لها . ويعتقد الاشتراكيون الديمقراطيون بضرورة امتلاك الحكومة للصناعة ، ولكن ضمن اطار من الاساليب الديمقراطيـــة التقليدية ويؤيد القائلون ببقاء النشاط الخاص مفهوم الحكم الديمقراطي .

قوة النظام الاشتراكي

مما لامراء فيه ان كثيرا من الاصلاحات في التشريعات الاجتماعية الحديثة كانت اما نتيجة مباشرة لانجازات الفلسفة الاشتراكية في الدولة ، او انها نتيجـــة غير مباشرة لها ، اولقوتها وصمودها امام التيارات الفلسفية الاخرى المناوئة لها .

ان الاحزاب السياسية الاشتراكية ، على اختلاف درجاتها وقواها ، كانت قد تشكلت

في كثير من الدول الحديثة ، وانها في كثير من الاحيان تسيطر على جهاز الدولة وتحكمه وتوجهه. ففي روسيا السوفيتية طبقت التجربة الاشتراكية على نطاق واسع . وان جميع الدول اليوم تقوم باعمال ووظائف ذات طبيعة اشتراكية . هذا وان الميل الى توسيع فعاليات الدولة في السنوات الاخيرة يبدو واضحا جليا . ولقد كانت الحربان العالميتان الماضيتان الدافع والمحفز لهذا الاتجاه . فقد اضطرت الحكومات المتحاربة الى ادارة كثير من الفعاليات الاقتصادية والسيطرة عليها والتي لامناس منها لضمان الانتصار في الحرب .

وحتى الدول الرأسمالية كالولايات المتحدة الامريكية مثلا ، حيث نجد ان جذور النظرية الفردية في الحكم بعيدة الغور في عقول المواطنين راسخة الاركان ثابتة البنيان ، نجد ان مشاعر كثير من الناس وعواطفهم تحبذ تدخل الدولة وتطلب توجيهاتها للعمـــل في سبيل الصالح العام . فالخوف من الحكومة القوية والايمان العميق بالمزاحمة الحرة غير المقيدة قد استعيض عنهما ،وبشكل سافر ، بحكومة مسؤولة ذات صلاحيات واسعة لتنظيم المزاحمة غير المشروعة وغير المقبولة والتي ستؤدي بدورها الى رقي المجتمع ورفاهيته وازدهاره . في جميع الدول الغربية ذات الانظمة الديمقراطية العريقة ، نجد ان هذا النظام الجديد قد عزز ، لانه يهدف الى تحقيق العدالةالاجتماعية والذي يجب ان يسير متوازيا مع الحياة العصرية المعقدة المجهدة والـــتي لابد من تخفيف وطأتها والحد من غلوائها .

وهناك بعض الدول الحديثة والتي لاتعتبر اشتراكية في فلسفتها تميل الى السيطرة على الصناعات الثقيلة لـكي تصبح ملـكا لها وتدار من قبلها ، وان ماتنتجه من بضاعة يجب ان يوزع عن طريق التنظيم الجماعي المشترك . ان هذا التوسع في فعالياتهـا الاقتصادية وفي القطاع العام بوجه خاص سيساعد على تحقيق المساواة والرفاه الاجتماعي وتكافؤ الفرص . ان التوسع في فعاليات الحكومة لايقصد منــه زيادة اهمية الدولة فحسب بل يهدف في الاساس الى اتاحة الفرص امام المواطنين لـكي يحققوا مايصبون اليه من عدل وحرية وكرامة .

وبصورة عامة ان الدول والحكومات التي تميل الى تطبيق النظرية الاشتراكية ترى انه بالامكان تحقيق ذلك بصورة تدريجيـة وبطرق سلمية لاتعتمد على العنف والاكراه او الثورات الدامية المخربة .

وبعد اين تبدولنا قوة النظام الاشتراكي كما جاء على لسان معتنقيه ؟ لعل اقوى الادعاءات التي يستند اليها النظام الاشتراكي هي : —

١ ــ التنظيم العلمي والتخطيط الموضوعي للقوى الانتاجية في المجتمع .

٢ ــ التوزيع العادل للدخول في المجتمع .

وقد قيل ان الانتـــاج الحالي للبضائع الاقتصادية يبدو زهيدا جدا بالنسبة لازدياد عدد

السكان . ويجيب الاشتراكي على هذا الاعتراض : بأن الانتاج كاف جدا لتحقيق حاجات الناس وتطمينها ، ولكن المزاحمة هي التي تسبب كل هذا التلف فتؤدي الى الكفاف والندرة . فبدلا من ان نسير قطارين للركاب ، نستطيع ان نسير قطارا واحـــدا يفي بالحاجة ، وفي هذه الحالة لسنا بحاجة الى ان نبني سكتي حديد . وبدلا من ان ننشيء ثلاثة افران لتوزيع الخبز على الناس في المدينة الواحدة ، بامكاننا ان نبني فرنا واحدا يفي بحاجه الناس .

ولننظر الى المخـــازن المنتشرة في انحاء المدينة ، بالجملة والمفرد ، لنشاهد الجهود البشرية الضائعة والتي لامبرر لها . فلو تخلينا عن هذه المزاحمة ، سنتمكن من توحيد هذه المخازن الصغيرة في مخزن واحد كبير الحجم يتسع للبضاعةالكثيرة ، والذي يسد حاجة المستهلكين وبقليل من الجهود والتي قد لاتزيد عن ثلث تلك الجهود المصروفة .

ويعود الاشتراكيون ليقولوا « بانهم لوعكسوا هـــذه النظرة على جميع الطبقات المتبلدة والكسولة في مجتمعنا الحديث ، لوجدوا ان النظـام الاشتراكي سيدفع كل فرد لان يعمل بجد ونشاط ويجعله يعتمد كليـــا على مايبذل من جهود وتضحيات في تحقيق نجاحه .وستنطلق قواه وطاقاته الـكامنة للعمل والانجاز .

ويقول الاشتراكيون ايضا ان النظام الرأسمالي يتميز بالغش والتلاعب والخداع والتضليل بيـنما الحال معكوسة تحت ظل النظام الاشتراكي الذي يؤكد ان مهمة صاحب البضاعة هو ان يساعد المستهلك فيما هو بحاجة اليه . اما في النظام الرأسمالي فمن مصلحة صاحب البضاعة ان يقنعك بشراء ما انت في غنى عنه ولست بحاجة اليه لكي يجني من ورائه اعلى الارباح . ان روح التزاحم بالنسبة للاشتراكي لاتعدو ان تكون حرباً سافرةلا هوادة فيها . وان الاموال والجهودالمخصصة للصناعة لم يكن الغرض منها توفير البضاعة وانتاج السلع الكافية ، بل لايجاد الاسواق اللازمةلها.

اما بالنسبة لموضوع العـدل الاجتماعي فان الاشتراكيين ، رغم تأكيدهم له ، فانهم لازالوا مختلفين حول تفسيره ولم يتفقوا على رسم الخطوط العامة لتحقيقه . وليس لديهم رأيواضح صريـح محدد حوله وعن الاساليب المؤدية اليه . فبعض الاشتراكيين يدعون الى المساواة التامة في توزيع الدخول ولكن معظمهم في الوقت الحاضر لا يعيرون اهميـة كبرى لقضية تحديد دقيق مضبوط لتوزيع الدخول . ولكنهم متفقون جميعا بان النظام القائم للتوزيع نظام جائر لايقره الضمير الانساني . فالعـــمال والميكانيكيون المهرة والمخترعون والشعراء والمؤلفون والمهندسون ومدراء المصانع هم المنتجون الحقيقيون ولكنهم لايحصلون على الاجور العادلة التي تتناسبوجهودهم الفنية .

وفي الحقيقة تكاد تكون قصة العدل الاجتماعي اقوى حجة تدعم الاشتراكيين في موقفهم وتعزز دعواهم . ولا نستطيع أن نزعم ان دخل كل مواطن في الوقت الحاضر يتناسب وما يقدمه من خدمات للانسانية .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

ان تحقيق العدل الاجتماعي مطلب عام ويجب ان لايكون وقفا على النظام الاشتراكي وحده ان جميع الناس الخيرين يساندون الاشتراكيين ويدعون للقضاء على الاحتكارات والسيطرة عليها، وعلى اصلاح نظام الضرائب وعلى تنظيم نظام الارث وعلى وضع التشريعات العمالية الجديدة . وفي الحقيقة ان الفرق بين الاشتراكي وغيره من الناس ، هو انه يختلف عنهم في السبل التي يريد ان يسلكها لتحقيق اغراضه ومثله العليا .

الاعتراضات الموجهة للنظام الاشتراكي :

يوجه خصوم النظام الاشتراكي له الضربات القاسية المتلاحقة والانتقادات المرة . ولعل اهم هذه الضربات وتلك الانتقادات يمكن ان تتلخص بما يلي :

١ ـ يقول خصوم النظام الاشتراكي انه رغم قوة التهم الموجهة للنظام الرأسمالي في الوقت الحاضر ، فاننا لانستطيع ان نستدل من هذه التهم ان النظام الاشتراكي المرتقب سيكون البديل الطبيعي والضروري له . ويمضون في القول بان العصر الآلي الحديث لازال في نمو وازدهار ولم يمض في سيره الا شوطا قصيرا لان عمره لايزيد عن قرن واحد ، وان بعض اوجهه المهمة لازالت بدورها حديثة العهد . هذا وان التنبؤات المرعبة التي جاءنا بها (كارل ماركس) وانصاره الكثيرون حول قوة بعض الظواهر القديمة للنظام الصناعي وجمودها لم تبل بعد . كما ان مساوىء النظام الحالي يمكن التخلص منها والتخفيف من حدتها دون الاضطرار للابتعاد عن المؤسسات والنظم الاساسية القائمة .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

والخلاصة ان نقطة الضعف في النظام الاشتراكي هي ان هذا النظام يسعى ويحاول ان يتنبأ بطريق التطور الاقتصادي بصورة مسبقة جدا . ويدعي خصوم الاشتراكية بانه من المحتمل اننا سنحصل على توزيع عادل للثروة في المستقبل ، واننا قد نتخلص من كثير من مساوىء التبذير في الانتاج في الوقت الحاضر ، ولكن كون التغير سيكون مصحوبا بنظام اشتراكي دقيق متقن يبدو امراً بعيد الاحتمال جداً . ويمضون في القول بأنهم يرغبون من صميم قلوبهم ان تكون لهم مثل واهداف سامية يجدون في الوصول اليها والعمل على تحقيقها ، ولكنهم في الوقت نفسه لايستطيعون التخلي عن فلسفتهم القائمة في سبيل الوصول الى هدف جديد لايضمنون تحقيقه في المستقبل . ويقولون ان الاشتراكية في احسن صورها ، فلسفة متحررة غير واضحة المعالم ويصعب تحديدها . لان التقدم الحقيقي يشمل في الواقع خطوات محددة ثابتة معينة تمضي به قدما الى الامام، يصعب تحقيقها مرة واحدة بل لابد من تحقيقها بصورة تدريجية بين حين وآخر .

٢ ـ ويقول خصوم النظام الاشتراكي مرة اخرى : ان الاشتراكيين لايقدرون النظام الحالي حق قدره ولايضعونه في المكان اللائق به والجدير باحتلاله . وان النظام الاشتراكي يحقق

في ادراك مزايا النظام الصناعي في الوقت الحاضر ويتفهم جوانبــه المشرقة والتي تعكس التعاون الاقتصادي بأجلى صوره والذي كان نتيجة طبيعية للفرص الواسعة التي يجود بها النظام الفردي الحر. ويعترفون بانهم تحت ظل نظامهم القائم يلمسون اسرافا وتبذيرا في الجهود والاموال التي تسبب لهم الخسارة ولكنهم في الوقت نفسه ينتجون الشيء الكثير الذي يفوق كثيرا ما يصرف عليه من جهد. أما ان النظام الاشتراكي سينتج البضائع الاستهلاكية الوفيرة ، فأمره لايمكن البرهنة عليه ويكاد يكون بعيد الاحتمال .

كما ان النظام القائم يقدم الخدمات الكثيرة المستمرة لابناء الشعب ، كما ان مستوى معيشتهم يرتفع بشكل ملحوظ وبصورة مستمرة . وعلى هذا الاساس ان العالم الرأسمالي ، بصورة عامة، هو العالم الافضل . ويذهب خصوم الاشتراكية الى القول بان الاشتراكي كثير التشاؤم بالنسبة للنظام القائم ، فهو لايرى الا شبح المجاعات والبؤس المجسد ، والترف والاسراف والتبذير فحسب ، ويمر مر الكرام بملايين الدور المريحة المنتشرة في ارجاء الاقطار الرأسمالية . وهم لايقرون ويعترفون بان العالم مليء بالفرص المواتية للجيل الصاعد الطموح . هــذا رغم ان الفرص محدودة امام الفرد العادي لــكي يمتلك مصنعا كبيرا بصورة مستقلة ، ولكن الاشياء التي يستطيع ان يتمتع بها وينعم بخيراتها وبخاصة اذا كان من ذوي الذكاء المتوسط والقابلية المحدودة ، هي كبيرة جداً كما ونوعاً بالنسبة لما كان عليه وضعه من قبل وفي عصور التاريخ المختلفة .

٣ ـ ويقول خصوم النظام الاشتراكي ايضـــا : ان الاشتراكيين لايعطون كبير اهمية للمسؤولية الفردية التي يجب ان يمارسها المواطن الحر . في الوقت الحاضر يجابه الرجل الطموح حقيقة لامناص من مواجهتها وهي ضرورة شقه لطريقه في الحياة بصورة مستقلة وتدبير اموره بنفسه دون الاتكال على الاخرين . وان لهذه المحاولة اكبر الاثر في تكوين سلوكه الاجتماعي .

وبصورة عامة نجد ان الشخص الكسول المتبلد عديم الكفاءة سوف يعجز عن الصمود في خضم الحياة الزاخر وسيجرفه تيارها العارم ويصفي في النهاية . فالنباء الوروث ، وعدم التدريب السليم وعدم توافر الفرص المناسبة ستؤدي كلها الى الدمار والافلاس الاقتصادي المحتم .

٤ ـ ويعود خصوم النظام الاشتراكي ليقولوا لنا بان انصار هذا النظام لايتفهمون اهمية الاقتصاد الحر في عالم الصناعة ودنيا المعامل .

فاذا اعتقــد شخص ما بانه باستطاعته ان ينهض على انشاء مصنع سيحقق حاجات النــاس ومطاليبهم الاساسية في المستقبل ، فانه لايحتاج واحالة هذه الى اذن من السادات الرسميـــة او اشعار بتأييدهم وتزكيتهم لــكي يمضي قدما في تجربته هذه . وعليه لابد من ضمان الامكانات الضرورية المستمرة لتأسيس المصنع وصيانته من القيود والتحديدات الحكومية الروتينية التي قد

تحول دون ادارته وتشغيله على الوجه المطلوب . وبالاضافة الى ذلك ان النظام الاقتصادي الحر رغم سعيه الحثيث ومحاولاته الكثيرة لضمان الربح الوفير الا انه في الوقت نفسه معرض الى الخسارة الفادحة في كثير من الاحيان . ولكن الاشتراكي يتجاهل عامل الخسارة القاصمة للظهر ويذكر الارباح التي يجنيها صاحب المصنع نتيجة لنجاحه في عمله وتقدمه فيه . والخلاصة ان الاشتراكي كثيرا مايغفل مزايا النظام الرأسمالي الحر صلفا وتعنتا ولا يعيرها كبير اهمية .

٥ ـ ولعل اهم الاعتراضات التي توجه ضد النظام الاشتراكي هي تعرض الحرية للخطر تحت وطأته وتحكمه . ففي ظل النظام الاشتراكي تبرز مشكلة الاستخدام بشكلها العام . ففي هذه الحالة يتعرض العمال للمخاوف عند اخفاقهم في تحقيق الرغبات العامة المنتظرة والتي تعتمد كليا على مجهوداتهم وعلى مقدار مايقدمونه من خدمات للجمهور ، حيث يخضعون لسيطرة الرأي العام الذي لايرحمهم في كثير من الاحيان . وفي هذه الحالة سيضطرون للخضوع والاستسلام للشروط الجائرة التي كثيرا مايفرضها الرؤساء الاداريون للمصنع الذي يعملون فيه . حيث يصبحون مجرد الات مسيرة لاحول لهم ولا قوة في رد الظلم والتعسف الذي يحيق بهم .

ويرد الاشتراكيون على هذه النقطة عندما يقولون ان هذا الاعتراض الذي يتصل بالحرية هو في الحقيقة اعتراض يمس الناحية السلبية من الحرية ، ان هذا النوع من الحرية هو الحرية في عدم التدخل والتوجيه البناء ، ولم يقصد منه الحرية بصورتها الايجابية التي تتصل بالقدرة على التملك والحصول على البضاعة التي تطمئن رغباته وترضي حاجاته . وعلى كل حال هنالك مايبرر التخوف من تسلط الاكثرية وتحكمهم في الرقاب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فان اولئك الاشخاص الذين يقبضون في ايديهم القوية على السلطتين السياسية والاقتصادية في آن واحد ستكون لديهم الحرية المطلقة في التصرف سواء اكانوا منتخبين ام معينين .

وكمستهلكين في النظام الرأسمالي ، يملك المواطنون كامل حريتهم في الاختيار والعمل والتي هي في الواقع نتيجة حتمية لاسلوب التزاحم بين المنتجين والتجار وارباب العمل . وهذا شيء لايمكن التغاضي عنه او الاقلال من اهميته . فالمزاحمة الحرة ، مهما تكن مجحفة غير عادلة فهي تعطي الحرية للمواطن بوصفه منتجا او بوصفه مستهلكا .

اما الاشتراكية فتقدم بديلا لهـــذا النظام الطبقي نظاما آخر للحياة رتيب النغمات شبيهاً بالنظام العسكري حيث يخضع فيه الفرد كليا لسيطرة الدولة ومشيئتها التي لاتقهر . فالاشتراكية في جوهرها تعتمد على القسر والاكراه . اما النظام الرأسمالي ، رغم بعض مساوئه فهو يعتمد بشكل بارز على الادارة الحرة غير المقيدة . وكما كان الحال في الماضي بالنسبة للامور الدينية ستجد الحال بالنسبة للامور الاقتصادية في المستقبل تتعارض والطبيعة البشرية اذا ما اعتمدت على التعاون الاجباري المفروض من الخارج .

٦ ــ ويوجه النقد الى الاشتراكيين الماركسيين بسبب الاهمية العظمى التي يعطونها للتفسير الاقتصادي للتاريخ ويرد انصار النظام الرأسمالي على ذلك حين يقولون ان الاقتناع بهـذا التفسير الضيق لايعني بالضرورةالاقتناع بالنظريةالاشتراكية . وحتى اذا آمن الناس بأن حياتهم الاجتماعية هي في الواقع انعكاس صارخ لفعالياتهم الاقتصادية ، فهذا لايعني بالضرورة ان التطور الاقتصادي يؤدي حتما للوصول الى النظام الاشتراكي المرتقب .

٧ ــ ومن الاعتراضات الاخرى على النظام الاشتراكي ظهور الصعوبات الادارية الكبيرة تحت ظل النظام الاشتراكي . ويبدو ذلك بصورة جلية في توزيع العمال بين دوائر الصناعةالمختلفة، وفي تحديد قيمة ماينتج ، وصعوبة قياس كفاءة العامــل ، وكمية البضاعة التي يجب ان تنتج سواء أكانت بضائع استهلاكية ام بضائع غيراستهلاكية ، وفي توزيع الدخل . ان جميع هذه المشكلات قد نجحت ، بصورة اعتباطية،عن طريق قانون العرض والطلب . وان جميع هذه المشكلاتالمعقدة التي يحاول الاشتراكيون تكييفها بشكل اصطناعي مفتعل يحتاج الى قابلية ادارية خارقة . هذاوان الاشتراكيين يبالغون كثيرا في كفاءة الدولة وقابليتها للقيام بهذه المهمة . ان التجارب الكثيرة قد اثبتت ان اجراءات الدولة بطيئة وميكانيكية يعوزها الابداع والرغبة في القيام بالتجربة . واذا ما ازلنا الدافع الى المزاحمة والامل في المكافأة والربح ، فان التطور والتحسن سيذوبان وان الابداع الفردي سيقف في مكانه دون ان يخطو خطوة واحدة الى الامام . وعندما نحاول التخلص من عدم المساواة فقد يظهر خطر جديد آخر وهو تحويل الحياة الحية الزاخرة الى حيــاة رتيبة راكدة . فتحت ظل سيطرة الدولة سيفقد المسؤولون في دوائر الحكومة الرغبة الصادقةفيالعمل . وان الانتاج سيضمحل وسينحدر الجميع الى هاوية الفاقة والفقر .

٨ ــ وهنالك خطر يكمن في النظام الاشتراكي وهو وجود المحاولات الواسعة للغش والفساد والاحتيال والتآمر والتفسخ الاخلاقي . وفي الحقيقة ان الروابط بين ارباب العمــل واصحاب المصالح والتجار من جهة وبين رجال السياسة في النظام الرأسمالي منجهة اخرىتعتورها المساوىء والشرور الكثيرة في الوقت الحاضر . على ان تقوية هذه الروابط ودعم ذلك الاتصال حتى يصبحا متلازمين متماسكين ، وتحت وطأة الظروف الاخلاقية المشبوهة ، يندر ان تؤديالى الازدهار والتحسن . كما ان ازدياد تحكم الرؤساء وسيطرتهم في الدولة الاشتراكية ، سيحول دون المعارضة والمقاومة لرد الظلامات واشاعة روح العدل والانصاف .

ويرد انصار النظام الرأسمالي على دعوى الاشتراكيين بان نظامهم الاشتراكي هو نظام ديمقراطي بان نظامهم على العكس من ذلك سيؤدي حتما الى اشاعة روح الاستبداد والتحكم والى سيطرة النظام الديكتاتوري بابشع صور . فالحكومة التي تمارس مثل هذه السلطة الواسعة ، كما يتطلب النظام الاشتراكي ، لايمكن ان تخضع لرقابة الشعب . فهي ستميل ، في الغالب ،الىممارسة

ARCHIVE

البيروقراطية ولاتشعر بالمسؤولية الملقاة على عاتقها . وسيصبح المجتمع تحت ظل النظام الاشتراكي مجتمعا رتيبا جامدا وكأن افراده جيش نظامي يخضع للضبط والتحكم ، وستختفي الحرية الفردية ، ويصبح المواطن أسيرا يرسف في قيود القمع والعبودية .

وتبدو لانصار النظام الرأسمالي الفلسفة الاشتراكية كثيرة التفاؤل في فهمها وادراكها للعقبات والعوائق النفسية التي ستقف حجر عثرة في طريقها والسير قدما في خطتها المرسومة . فالرجل المتوسط ، في العادة لم يكن على الدوام يميل الى ممارسة عمله والانغمار فيه او انه شديد الحماس لخدمة المصلحة العامة وتقديم التضحيات الكبيرة كما ينتظر منه الاشتراكيون ان يصبح تحت ظل نظامهم ، كما ان الشعور بالمسؤولية لم يكن بدرجة متساوية عند الناس جميعا . كما ان الرأي العام ، الذي يجب ان يستند اليه التقدير الاجتماعي ، يستطيع التمييز والتقدير بصورة وافية ، بحيث يستطيع ان يقي نفسه من اللجوء الى عوامل القسر والاكراه . ويعود خصوم النظام الاشتراكي ليؤكدوا من جديد بأن الفلسفة الاشتراكية تسير في مبادئها على خط معاكس للطبيعة البشرية عندما تتوقع ان يتساوى الكفء المقدام مع الكسلان العاجز . هذا وعندما تصل البشرية الى درجة من الكمال التي تنتظرها الاشتراكية لانجد فرقا كبيرا بين النظم التي تسود المجتمع لان هذا الكمال المنشود سيغطي على الخلافات البينة بين نظام وآخر .

مصادر البحث

1. Ely, Richard. T., Et al, Outlines of Economics. New York : The Macmillan Company. Fourth Edition.
2. Gettell, Raymond. G. , Political Science. U. S. A: Ginn and Company.
3. Shaw, Bernard. (Editor) . Fabian Essays in Socialism : London : George Allen and unwin limited تعريب برهان الدجاني دار الطليعة بيروت
4. Cole, G. D. H. Socialist Thougt The Forerunners, 1789 - 1850 ; London The Macmillan Company.
تعريب : منير البعلبكي . دار العلم للملايين ـ بيروت
5. Burn, Arthur E. et al, Modern Economics. New York: Harcourt. Brace and Company. 1933.
6. Laski, Harold. J. Communism. London : Willam and Nargate Limited Home University library. تعريب خيري حماد . دار الطليعة . بيروت

7. Laski, Harold . J. A grammar of politics . London ; George Allen and Unwin limited, 1951.

8. Laider, H. W. History of socialist thougt. New York: Crowell 1927.

9. Kirkup, T, History of Socialism. Londod; Black.

10. Brown, W. R. Man or the state. New York ; Huebsch.

11. Hearn-show, F, J. C. , A survey of socialism. London ; The Macmi - llan Company.

12. Cross, I. B. The Essentials of Socialism New York.

13. Seligman, E. R. A. , the Economic Interpretation of History . New York

14. Walling, W. E. Socialism as it is.

١٥. الشيوعية : اليوم وغدا لجماعةمن الباحثين . القاهرة . مكتبة مصر

١٦. الاشتراكية والديمقراطية : عبد الله عبد الدايم . دار الاداب . بيروت

١٧. العلوم السياسية : جاكسون وليجان : تعريب : مهيبة مالكي الدسوقي : دار الثقافة : بيروت

١٨. مقدمة دراسة علم السياسة : حسن صعب : المكتب التجاري - بيروت

١٩. التخطيط الاقتصادي : ادوارد س ماسون : تعريب عبد الغني الدلي ، مراجعة الدكتور محمد دياب : مكتبة المعارف – بيروت

٢٠. ازمة الماركسية الراهنة : هنري لوفيفر ، تعريب : البير منصور ، احمد الزين ، دار الطليعة – للطباعة والنشر ، بيروت .

٢١. الاقتصاد السياسي : ليونتيف : ترجمة الدكتور راشد الراوي . من روائع النظرية الاشتراكية منشورات : مكتبة النهضة ودار الغد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الماركسية والوجودية

بقلم جورج طرابيشي

أثارت الوجودية ، منذ ظهورها الى اليوم ، ضجة كبيرة وجدلاً كثيراً . ولعل اكثر هـذا الجدل دار حول النقاط التالية : هل الوجودية فلسفة ؟ ام انها مذهب سياسي ؟ وما علاقتها في كلتا الحالتين بالماركسية ؟

وصحيـح ان سارتر اجاب بنفسه على هذه التساؤلات عام ١٩٥٧ في الدراسة التي نشرها في مجلة بولونية تحت عنوان « الماركسية والوجودية » ، الا ان معظم القراء العرب لم يتوفر لهم الاطلاع على هذه الدراسة كما يبدو ، وهذا ما حدانا الى كتابة هذا المقال .

ما الفلسفة؟ قد يبدو مثل السؤال فذلكة ، لكننا بالاجابة عليه سنستطيع أن نعين مكان الوجودية بالنسبة الى الماركسية . يقول سارتر : اولاً ان الفلسفة «غير كائنة». انها تتكون ، تبني نفسها من «خلال ظروف محددة لتعطي حركة المجتمع العامة تعبيرها». وهذه الظروف هي بكل بساطة ظروف الطبقة الصاعدة التي تخلق لنفسها فلسفتها الخاصة كيما تعي نفسها من خلالها . فالديكارتية على سبيل المثال كانت مرآة للطبقة المؤلفة من نبالة الثوب ومن الرأسمالية التجارية ومن بورجوازية الحقوقيين واصحاب

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

المعارف في القرن السابع عشر . وبعد قرن ونصف قرن من الزمن ، وجدت بورجوازية اصحاب المعامل والمهندسين والعلماء صورتهـــا في الفلسفة الكانتية وانسانيها العالمي . والفلسفة ، عدا كونها مرآة لطبقة معينة ، ينبغي ايضاً ان تكون حصيلة شاملة لمجموع المعارف المعاصرة ، بالاعتماد على بعض المبادىء الموجهة التي تعبر عن « مواقف وتقنيات الطبقة الصاعدة امام عصرها وامام العالم » . وعلى هـــذا الاساس ، نحن لا نستطيع ان نتحدث عن « الفلسفة » لأن هنــاك « فلسفات » . لكن من الواضح ان عصور الابداع الفلسفي نادرة ومعــدودة . والواقع انه بين القرن السابع عشر والقرن العشرين توجد ثلاث فلسفات فقط ، او بالاحرى ثلاث فترات من الابداع الفلسفي : فترة ديكارت ولوك ، وفـترة كانت وهيغل ، وفترة ماركس . واذا اخذنا بعين الاعتبار ان الماركسية هي التعبير عن طبقة البروليتاريا الصاعدة ، وان هذه الطبقة هي احدث طبقة تاريخيا وجدليا ، ادركنا انه لا يمكن بأي حال من الاحوال ان توجد فلسفة تستطيع تجاوز الماركسية ، باعتبار ان المجتمع الراهن لم يولد بعد طبقة تستطيع تجاوز البروليتاريا .

لكن اذا ما حصرنا لقب فيلسوف بديكارت وكانت وهيغل وماركس ، فأي اسم نطلقه على امثال شوبنهاور وبرغسون وكيير كغارد وسارتر نفسه ؟ ان هؤلاء وامثالهم هم ، في رأي سارتر ، واضعو عقائد ، ومهمتهم هي تحسين الانظمة الفلسفية الاساسية واستكشاف اراض ما تزال مجهولة ومنح النظرية وظائف تطبيقية . ولا يصح بأي حال من الاحوال ان نسميهـم فلاسفة لأنهم ، مها هدموا وبنوا ، يظلون يرضعون من « الفكر الحي للاموات الكبار » . وعلى هـذا فان الوجودية ليست الا « عقيدة » . انها « نظام طفيلي يعيش على هامش حصيلة المعرفة ، عارض في البداية هذه الحصيلة ، وهو يحاول اليوم ان يندمج بها »'.

لكن ما مبررات هذه العقيدة ؟ ماظروف ولادتها ؟ وكيف امكنها أن تولد رغم وجود الماركسية ولماذا لم تندمج بها ؟

هنا لا بد ان نعود ، كما يرى سارتر ، الى الوراء ، الى زمن كيير كغارد ، ابي الوجودية . ونحن لن نستطيع ان نفهم كيير كغـــارد الا اذا اخذنا بعين الاعتبـــار انه كان يعيش في زمن الفلسفة الهيغلية . والهيغليـــة هي تلك الحصيلة الفلسفية التي تمكنت ، لاول مرة في تاريخ الفلسفة ، ان تدمج نسبية الذات المفكرة ، بالحركة الشاملة للفكر ، ان تدمج نسبية الذات المفكرة،من خلال الحركة الجدلية ، بالنظام الذي تبنيه هذه الذات ، والذي يتجاوزهـا في الوقت نفسه باعتباره المطلق الذي لامطلق بعده . وعلى هذا فان الهيغلية تعتبر ان «التجربة المعاشة » وان « مأساوية الحياة » ليستا الا لحظتين من لحظات مطلق الفكر . ان المعرفة تتجاوز المعاش ، والتجربة الشخصية تتبخر في موضوعية النظام .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبالطبع ان كيير كغارد ، كما يرى سارتر ، لايكاد تكون له اهمية امام هيغل . ولقد رفض هو نفسه لقب فيلسوف . واذا مافهمنـا ان القانون الاول لحركة الفكر هو الجدل ، ادركنا عامل الظروف التي تطلبت ان يرفع كيير كغارد صوته محتجاً على الهيغلية . انه يأخذ عليها تناسيها واهمالها « الكثافة التي لايمكن تجاوزها » للتجربة المعاشة . انه مسيحي لايريدان يحبس نفسه في النظام ،ويؤكد بلا كلل عدم قابلية التجربة المعاشة للارجاع الى اي فكرة من الافكار ، كما تنص على ذلك الهيغلية . انه يرى ان الانسان الموجود لايمكن ان ينحل في المعرفـة . وعلى هذا فانه طالب بالذاتية المتفردة الخالصة ضد عمومية الماهية الموضوعيـــة ، وبالحياة الشخصية المباشرة ضد توسط الفكر المجرد .

ان كيير كغارد ، كما نرى ، لا يمكن ان يفصل عن هيغل . ونفيه العنيف لكل نظام لا يمكن ان يولد الا في حقل ثقافي تسيطر عليه الهيغلية تمام السيطرة . والواقع ان كيير كغارد على حق ضد هيغل بقدر ما ان هيغل على حق ضد كيير كغارد . ان هيغل لا يستسلم لذاتية فارغة وهو انما يتطلع الى « العيني الحقيقي » . وبالمقابل فان كيير كغارد يرى ان هوى البشر وحاجتهم وألمهم وقائع خامة لا يمكن للمعرفة ان تتجاوزها . صحيح ان مذهبه الديني الذاتي مغرق في مثاليته ؛ لكنه يسجل تقدما على هيغل نحو الواقعية باعتبار انه يلح على عدم قابلية واقع معين للارجاع الى النظام الفكري . وعلى هذا فان موقف كيير كغارد هو حكم بالموت على المثالية المطلقة : فليست المثل والافكار هي التي تغير البشر ، ولا يمكن ان نعرف الهوى بواسطة علته كي نحذفه ، بل لا بد ان نعيشه قبل كل شيء .

اما الفيلسوف الذي هو على حق ضد كيير كغارد وهيغل في آن واحد معاً فهو ماركس . انه يؤكد هو الآخر ان الواقعة الانسانية غير قابلة للارجاع الى المعرفة ، وانه لا بد لها ان تعيش نفسها وتنتج ذاتها ، لكنه لا يخلط بينها وبين الذاتية الفارغة لبورجوازية صغيرة طهرانية . انه يؤكد مع كيير كغارد نوعية الوجود الانساني ، وينظر مع هيغـــل الى الانسان العيني من خلال واقعه الموضوعي . ولهذا فقدت الوجودية الكييركغاردية كل نفع لها ، ولم تعش بعـــد افول الهيغلية .

لكن إذا كان ظهور ماركس قد قطع الطريق على مآخذ كيير كغارد ضد هيغل ، وإذا كانت وجودية كيير كغارد لم يعد لها من دور تؤديه مع ظهور الماركسية ، فلماذا ظهرت الوجودية الفرنسية ، وجودية سارتر ؟

إن سارتر يعترف بأن « المادية التاريخية تظل التفسير الوحيد الصالح للتاريخ » . لكنه يرى أن الماركسيين المتأخرين شوهوا الماركسية وجمدوها وأبعدوا عنها الانسان واعتبروها موضوع التاريخ لا ذات التاريخ الفاعلة ، لهذا فان الوجودية ستلعب ضدهم الدور الذي لعبه كيير كغارد ضد هيغل : انها تريد أن تعيد إلى الانسان ذاتيته وعينيته ، وهي تعتبر نفسها و بعد توقف الماركسية ، « التقريب العيني الوحيد للواقع » .

لقد توقفت الماركسية . حدث فيها انشقاق حقيقي بين النظرية والتطبيق ، على وجه التحديد لأنها تريد أن تكون عملية ، تهدف الى « صيرورة ــ الفلسفة ــ عالماً » . لقد اضطرت الماركسية إلى أن تتلاءم مع متطلبات بناء الاشتراكية والتصنيع في الاتحاد السوفياتي . لقد كان قادة الحزب البولشفي بحاجة إلى « وحدة المعركة » ، ولقد خافوا أن تؤدي « الصيرورة الحرة للحقيقة » ، بما تشتمل عليه من مناقشات ونزاعات ، إلى تحطيم تلك الوحدة » . ولما خشوا أن تكذب التجربة العينية بعض مبادئهم ، فقد فصلوا بين النظرية والتطبيق ، مخالفين بذلك الشعار الماركسي الاول القائل ان « الفكر العيني يولد من التطبيق وينقلب عليه ليسلط الاضواء عليه » . ولقد أدى انفصال النظرية والتطبيق الى أن ينقلب هذا الاخير الى « نزعة تجريبية بلا مبادىء » والى أن تنزل النظرية منزلة « العلم المحض الجامد» بل ان قادة الحزب اوقعوا انفسهم في حبائل المثالية : فقد اصبح التخطيط ، « المفروض من قبل بيروقراطية لا تريد أن تعترف بأخطائها » ، اغتصاباً واكراهاً للواقع ، ولما كان انتاج الامة المستقبل يحدد في المكاتب ، فقد كانت نتيجة هذا الاغتصاب مثالية مطلقة: فقد دانت البشر والاشياء يخضعون مسبقاً للافكار والمثل. بحيث أن التجربة حين لا تحقق التنبؤات فلا يمكن إلا أن تكون التجربة مخطئة». ويضرب سارتر

على هذا التحليل مثالا يبعث على الابتسام حقاً : لقد أراد راكوزي ـ سكرتير الحزب الشيوعي المجري ـ أن يبني في بودابست مترو ، أي قطاراً يسير تحت الارض . لكن سراديب بودابست لم تكن تصلح لبنائه . ولو كان راكوزي ماركسياً صحيحاً ، لأدرك أن مشروعه هذا غير واقعي . لكنه بدلا من ذلك راح يتهم سراديب بودابست بأنها رجعية و « مناوئة للثورة » . وهذا ما كان يفعله المثقفون الماركسيون طوال السنوات الماضية : فقد كانوا يهملون التفاصيل المحرجة، ويبسطون تبسيطاً غليظاً المعطيات ، ويحولون الحدث الى مفهوم حتى قبل ان يدرسوه . وهذا ما كان ماركس يحاربه بعنف ، وكتابه « ١٨ برومير » المليء بالتفاصيل الغنية ، والبعيد عن المفاهيم المجردة ، الذي درس فيه انقلاب لويس نابليون بونابرت ، هو خير شاهد على تلك الماركسية الحية التي جمدها الماركسيون .

ان الماركسية اذن ، رغم اسسها النظرية ورغم معانقتها لكل النشاط الانساني ، لم تعد تعرف شيئاً ، وهدفها ليس الوصول الى معلومات ومعارف ، بل تأسيس نفسها قبلياً على انها علم مطلق . ولهذا امكن للوجودية ان تولد من جديد وان تثبت اقدامها ، لأنها تعيد توكيد الواقع الانساني . ان الوجودية والماركسية تتطلعان الى الموضوع نفسه لكن الثانية « ذوبت الانسان في الفكرة ، في المثال ، في حين ان الاولى تبحث عنه اينما وجد ، في عمله ، في بيته ، في الشارع » . والوجوديون لا يزعمون ان الانسان الواقعي لا تمكن معرفته ، كما كان يقول الوجودي الاول كيير كغارد ، بل يقولون فقط انه « غير معروف » ان التييس الذي اصاب الماركسية حكم على الانسان الشيوعي ، سواء في البلدان الاشتراكية أم في البلدان الرأسمالية ، بألا يعي نفسه وعياً واضحاً : ان احدى مميزات عصرنا الاساسية هي ان « التاريخ يصنع نفسه دون ان يعرف ذاته » وقد يقول البعض

إن الحال كانت هكذا دوماً . وهذا صحيح ، حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، باختصار حتى ماركس ، لكن الماركسية ، منذ عشرين عاما على وجه التحديد ، لم تعد تتعايش مع التاريخ ، بل ان ظلها يحول بينه وبين ان يعرف نفسه .

لكن سارتر يحذر من انه لا يعني ان هذا التيبس هرم طبيعي . بل انه يعتقد ان الماركسية ما تزال فتية ، بله طفلة . انها مازالت اذن فلسفة عصرنا : « فالظروف التي انتجتها لم تتجاوز بعد . وافكارنا ، مهما كانت ، لا تستطيع الا ان تتغذى من تربتها . ان عليها ان تضع نفسها في الاطار الذي تقدمه لها او ان تضيع في الفراغ او ترجع الى الوراء » .

وعلى هذا فان اكبر مطمح للوجودية هو ان تندمج بالماركسية . وهي ستندمج بها حتما في اليوم الذي تعود فيه للماركسية حركتها وحيويتها . لقد ولدت الوجودية لأن الماركسية المعاصرة اقصت عنها الانسان . وعلى هذا فان استقلال البحث الوجودي ينبع بالضرورة من سلبية الماركسيين لا الماركسية . وطالما ان المذهب الماركسي لا يعترف بفقره وطالما انه يقيم معرفته على ميتافيزيقا متحجرة (ديالكتيك الطبيعة) بدلا من ان يقيمها على تفهم الانسان الحي ، وطالما انه يرفض بحجة اللاعقلانية العقائد التي تريد ان تقيم معرفة الانسان على الوجود الانساني ، فان الوجودية ستتابع ابحاثها . فالوجودية تتكشف اذن كجزء من النظام سقط خارج المعرفة .

وفي اليوم الذي يستعيد فيه البحث الماركسي البعد الانساني كأساس للمعرفة الانطروبولوجية ، فلن يعود للوجودية من سبب للوجود : اذ تكون حركة الفلسفة التوحيدية قد تشربتها وتجاوزتها وحفظتها ، فتكف عندئذ عن ان تكون بحثاً خاصاً لتصبح اساس كل بحث . وكل ماتتمناه الوجودية ان تأتي هذه اللحظة بأسرع مايمكن .

http://Archivebeta.Sakhrit.com ARCHIVE

الكتاب والموضوعات

الآداب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يا أغنية الجدول

شفيق المعلوف

زغودة العرس أم حنجوة البلبل
أم غمغمات ابنة أغفت على مأمل
ياصوتها أنت يا أغنية الجدول
أرعشة النور في مواشف السنبل
أم رقصة الخيط إن مس فم المغزل
يادغدغات الشذا ولمسة المخمل
ياصوتها نقرة البلور بالأنمل
بل غصة الذكر في قلب الصبا الاول

* * *

وياشباب الحمى يابهجة المحفل
وياصبايا هوت الى الثرى من عل
وشيدت بعلبك الزمن المقبل
ضيعت لحناً على مدارج الهيكل
لئن ظفرتم به يوماً فردوه لي !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) قصيدة للشاعر المهجري الكبير الاستاذ شفيق المعلوف . قالها اثر حضوره احدى مهرجانات الغناء والرقص الشعبي ، بمشاركة السيدة فيروز ، في بعلبك .

الصغار والمطر

شعر فائز صيّاغ



كيف الصغار هناك ؟
(والكلمات تذبل في الشفاه بلا جواب)
او مازال الضوء يومض في مآقيهم
اذا مااستشمروا في الريح رائحة السحاب ؟
أو مازالُ الشمسُ تصفعُ عريَهم ،
وتحوكُ فوق جلودِهِمْ سود الثياب ؟

كيفَ الصغا... ؟
وينزّ في جنبي جرحٌ صامتٌ
(صمت القوى الظمأى اذا مالفّها ليلُ العذابْ
وتقاسمت طرقاتها الاشباحُ ، ترصد كل نافذةٍ وبابْ
فيموت موالٌ ، ويشرقُ بالقصيدةِ شاعر صادٍ
ويحتضرُ الربابْ)

كيف الصغا...؟
وأحسُّ ان الحزن يهطلُ ملءَ اعصابي ،
ويرتعش النشيجُ
فيها ، فمازالتْ قوافلهم تلوبُ مع المساءِ ،
وفي شفاهِهِمُ الهزيجْ :

« يا أمّ الغيثِ أغيثينـــــا هزي غمامك واسقينا »
« فالقحط يسوطُ أراضينـــا ويبدّدُ خمرَ خوابينا »(١)

(١) عن اغنية شعبية .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

مازالَ في أهدابهم حُلُمٌ براعيةٍ تجيءُ مع الصباحْ
قالَ الكبارُ ،
« لو انها جاءتْ لأزهرَ من خطاها الصخرُ ،
واخضّرت بلمسة كفها جردُ البطاحْ ،
وترنحتْ شقر السنابلِ بالعطاءِ ،
ودغدغت غفو البيادرِ كلُّ أحلامِ الحصادْ
لو أنها جاءتْ،لما يبست شفاهُ المتعبينَ ،
ومن يبيعون الجباهَ ببعض زادْ » .
قال الكبار : « لو انها جاءت ... »
ودون مجيئها مدُّ المسافة ، والفراغ ، ولامعادْ
وقفوا ، وايديهم مشنجةُ العروقِ ،
وأرضهم نهبٌ لأرجالِ الجرادْ
والوارثونَ الارضَ ، ماورثوا سوى
جدبِ المزارعِ ، والمجاعة والرمادْ !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قالَ جدّي ، طيّبَ اللهُ ثراهْ
عندما جمّعنا ليلُ السَّمرْ :
« صخرةٌ ياولدي هذي الحياهْ ،
فاذا أُظمِئتَ ، لاتشكُ القدرْ
واضربِ الصخرَ ، فتنهلّ المياهْ ! »

ضربنا الصخرَ ــ قلنا اليسرُ بعد العسرِ ــ
لم تبهتْ أمانينا ،
ضربنا الصخرَ فانهلّتْ دمانا فوقَ وجهِ الصخرِ ،
وانكسرتْ أيادينا .





قصة بقلم وداد سكاكيني

المعلم شاهر يستطلع من بعيد باهتمام، وكانه يرصد شيئاً هو مقبل عليه، وشقوق الباب تتسع مرة ومرة تضيق بحسب حركاته، والناسج أبو دلال مرتبط بنوله، عيناه عالقتان بالخيطان، ورجلاه غارقتان في حفرة زمنية يحركها بخفة ورشاقة كانه راكب دراجة لم يتجاوز الشباب .

ففي الصباح عندما تخفق الأرجل في الحي الدمشقي القديم، وتتلاقى وجوه الجيران بالابتسام والتحيات في زقاقه الضيق، كان المعلم شاهر يمر بالزحمة في طريقه الى مدرسته، لا يشغل نظره شيء في هذا الحي، وانما يشغل باله أمر نبت في نفسه ووجدانه حتى نما واخذ يلح عليه، فاذا اقترب من دكان الناسج خفف خطواته وتطلع من النافذة او من شقوق الباب الى النول الجاثم تلقاءه أبو دلال الأحدب، ولم يخلق أحدب، فان غريبه

هو النول المنصوب فوق رأسه من الخشب العريض في تربيعات متماثلة متداخلة، وخيطانه المصلوبة لا ينتهي عذابها، أما المكوك بين يديه فكان لا يستريح من اليمين والشمال، فينزلق من أصابع الناسج حاملا في فمه الخيط ليلقيه في الصف الدائم المتشابك .

وحار أبو دلال في أمر الرجـل القصير الذي يتريث في مشيه كلما اقترب من مصنعه ، وكأنه في اتجاهـه يهم بالدخول ، فيتوقف تحت النافذة ماداً عنقه وعينيه الجاحظتين ليتطلع الى حركات يديه بالمكوك والى رجليـه في الحفرة ، ثم يطأطىء رأسه ويمضي .

ـــ ما شأنه معي في الصباح ؟ لا يرفع نظره عني حتى أعبس له ، والكتب تحت إبطه لا تعلمه الذوق ...

كان مكوك الناسج يضطرب في يده من غيظه كلما لمحه مطلا عليـه فيبربر بألفاظ لا تسمع ، وانما يخيل الى المعلم شاهر أنه كلام تعود الناسج أن يكرره في أثناء الحياكة ، ولو انه شجعه بابتسامة على الأقل لاقتحم الباب وحياه بأكثرمنها، حتى تبرم أبو دلال بحركات الرجل وفضوله وكأن في استطلاعه سؤالا على طرف لسانه ، لكنه لم يشأ ان يكسر خاطره بكلمة أو يشجعه بإشارة أو نظرة ، فتركه يتطلع اليه بحيرة حتى يقطب وجهه ، ويده بالمكوك مشغولة فاذا اختفى الرجل أخذ ابو دلال يتلمس ظهره ويردد بينه وبين نفسه: لا شك انه حط عينه علي وعلى نولي، لكن نظراته مضحكة ، حتى علم انـه معلم أولاد فاشل ، فاستراحت نفسه وفتر غيظه ، لكنه بقي يتساءل : من هو ، ماذا يريد مني ؟ اذ لم ير شبيهاً له فيمن يمرون بدكانه لو بطريقه من اهل الحي أو غيرهم ممن يجتازونه الى حي آخر ، وقدعرف وجوههم من تكرار المرور .

على أن المعلم شاهر كان أعرف بحياة الناسج الذي كان لا يفـارق نوله إلا

يوم الجمعة ، وقد اهتم بكل مايتعلق به منذ تعلقت نفسه بالثمرة الوحيدة التي نبتت في داره ، لكنه حيران في التماسها .

علم أن الناسج يكسر الصفرة بقطعة بايتة من الخبز في قطعـة من الجبن كأنها بروة صابون ، وقد يحلي لسانه بالحلاوة الرخيصة ، وعند آخر لقمـة يمسح فمه بطرف كمه ، وهو منصرف الفكر الى نوله الذي يصنع عليه الصايات الحريرية والبروكار المتاوج بالعروق البراقة والالوان الزاهية ، وفي نهاية الاسبوع تتحول الخيطان الى ليرة ذهبية يحصنها في كيس من القماش علق خيطه في عنقه ، ودسه في جيب خلف صداره ، ثم يدلف الى بيته في الحي القريب الذي تتـابعت دكا كينه واتصل بعض بيوته ببعض آخر ، وقد برزت منها الرواشن الخشبية التي يترامى النظر من خصاصها الى الزقاق الضيق . وكثيراً ماتحاورت بعض الجارات باصوات خافتة واشارات بالاصابع كلما مر أبودلال فتنحدر أنظـارهن من الروشن، الذي يسمونه «رمّانة»، متغامزات نحوه ، فيذكرن زوجته وبنته باشفاق ، اذ لم ينفعهما معه حرد أوخصام .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكانت أم دلال تحدث جارتها أم وهيب من شباك المطبخ كعادتهـا في الضحوة ، تقفان متقابلتين للتحية والتسلية ، فلما كررت أم دلال ، الشكوى من الضيقة التي تعانيها قالت لها الجارة :

— اتركيه ولاتحاربيه، اذا وفر المال فمن أجلك ومستقبل دلال.

— العمر بيد الله ، هل اعيش بهذا الهم حتى أموت

— طولي بالك ، خزيت العين ، بنتك بالدنيا

— اسكتي ياأم وهيب ، وصلت دلال ...

وكانت دلال وحيدة والديها ، حاول أبوها ان يصدها عن المدرسة فلم

يقدر ، غلبته أمها متعللة ببنات الجيران اللواتي يذهبن معها ويعدن معها ، وكان ابودلال على وسامة بنته وتحببها اليه يخجل أن ينادى باسمها ، لكنه على طول الايام بدا غير متبرم به ولا خجول ، اسم البنت ولا الشماتة بالعقم .

هذا ماكان يقنـع به نفسه كلما عاوده التخاذل أو الحنين الى الولد ، ولا يكاد يستلقي في فراشه بعد العشاء حتى يحس صدى أخشاب النول في ضلوعه وكتفيه ، وكأن جسمه اصبح نولاً انسانياً من لحم وعظم ، الا مساء الخميس فانه كان ينسى التعب ويجلس مع زوجته وبنته متبسطاً في الحديث والوعد بالهدايا حتى تنام الاثنتان ، فينسل الى درج الخزانة حيث يحفظ صندوقاً خشبياً أودعه أشياءه الخاصة وأوراق الضريبة وسند العقار ، يفتحه على ضوء الشمعة ليتفقد السجينات اللاتي حرمن النور غـير مرة في الاسبوع ، وقد أجلسهن أبودلال في الزاوية الجوانية صفاً وراء صف فيضم إليهن الضيفة الجديدة بابتسامة الحفاوة حتى تصبح من أهل البيت . ثم يرتد الى فراشه مستريح البال ليحلم بدبيب النمل وجني النحل ، فاذا سمعت زوجته شخيره اهتاجت في فراشها وعاودها الأرق ، وكان نفيخه المتعـاقب كخفقان النول بين يديه في النهار ، وقد يرفس برجليه وهو يغط في نومه ، وكأنها في الركابين حين تغرقان في الحفرة الـتي كان يجلس على الحافة الخلفية منها .

ARCHIVE

ومايكاد صياح الديك يتردد في قفص الجيران على السطح حتى يكون موعد هبته من نومه على الساعة الدقاقة الصباحية التي لا يدير لولبها ، فينهض متكاسلا يتمطى ، ثم ينتفض وكأن الكهرباء دبت في عروقه ، ولا يدري أبو دلال كيف يتهيـــأ للخروج من البيت في البكور تحاشيا للجدل مع زوجته ، وان كانت بشاشة بنته

ترافقه في النهار ، لكنه يتهرب من مطالبها اليومية ، فيحمل الصرة الصغيرة التي فيها فطوره ويحاول الانصراف مستعجلا فتقول له زوجته :

ـــ هل تحلم بالنول والدكان ، فتخرج قبل الناس ؟

ـــ أتركيني اذهب لافتح باب الرزق

فتقلب شفتيها وهي تتطلع الى ردائه القديم الذي لم يغيره منذ سنين ،ويلمح هو كلاماً على وجهها، فيخطف رجليه،وينطلق ،لكنهاتلحقه وتقول:

ـــ قامت دلال ، وهاهي تطلب ثمن الكتاب .

فيفتح الباب دون جواب ، ويمضي كعادته كل صباح يلقي التحية على من يلقاه من جيرانه ، ويتفاءل بطلعة وهيب اذا صادفه في الطريق وحياه .

وفي الضحى كان يتجدد التحاور بين الجارتين، وتعود شكوى أم دلال من تقتير زوجها الناسج حتى على نفسه ، وان ثيابه تقطعت ولا يرضى بشراء غيرها، فتجيبها أم وهيب وهي تهون عليها امرها وتمازحها :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـــ السكافي حافي والحايك عريان

ـــ كل أملي بدلال أن تصير معلمة

ـــ لا ، عروس

ـــ من فمك لباب السماء

ـــ المسألة هينة ، الثمرة في دارك خليها لجارك

قالت أم وهيب كلمتها بنغم فيه تودد ورجاء ، وفهمت أم دلال ماتريـــــد جارتها ، لكن صمتها قطع الكلام ، وكأن ملقطاً أمسك بشفتيها فانسحبت بابتسامة فاترة : وخاطرها منصرف الى الرجل الذي لاحظت مروره متمهلا قرب بابهـا ، فاذا صادف بنتها في الباب انتظر لحظات حتى تمضي في طريقها ، فيتبعها من بعيـد دون ان تراه .

خطر ببال أم دلال ان تسأل عنه، ثم قارنت بفكرها بين وهيب ابن جارتها الموظف الصغير ، لكنه شاب ، والرجل الذي لا تعرف عنه شيئا ويبدو كأنه في حدود الاربعين، وان كان شكله لا يرضي مثل بنتها ، فتحيرت وقالت لنفسها : اذا كان يريد البنت فلماذا لا يخطبها ؟

وكانت الجارة في مرصدها من الشباك الذي يطل على الطريق ، تراقب الناس في الصباح والمساء كلما ملت الزيارات وخلصت من مشاغل البيت ، وقد نصبت نولاً لنسيجها اليومي مما ترى وتسمع . فما يكاد العلم شاهر يمر من تحت شباكها حتى تحرك مكوكها ، وعيناها منحدرتان على باب الجيران ، فاذا خرجت دلال وتبعها على ريث وحذر هذا الرجل الذي يزاحمها ، فارمها وبقيت ترصد الطريق حتى يغيب عن عينها ، وتبقى صورته في خيالها ، فتدعو عليه وتعود الى نولها ونسيجها وهي تتمثل « دلال » بنت السابعة عشرة في وسامتها ورشاقتها كزهرة في وجه الربيع، لا ينبغي أن تفلت من خيطان مكوكها ، فتعكف على النول بدقة وبراعة ، ولا ترفع رأسها عن النسيج حتى يحضر ابنها وهيب ممتلىء القلب بالفرحة والامل بما كانت تعده امه من اجله .

كان وجهه يضحك لدلال كلما رآها من الشباك او في الطريق وتبتسم هي له بخجل ، فلا يشجعها على لقاء او حديث ، وان كان الجوار وسيلة الألفة ولو من بعيد الى بعيد، وما كان يدري ان القدر دق جرس السباق بين الناسجين الجديدين ، وأبو دلال نفسه كان لا يدري ماذا يعدان ويحوكان ، لكنه اخذ يتفقد الرجل الذي كان يضايقه كلما أطل عليه من النافذة او شقوق الباب ، وحط عينه عليه دون ان يدرك السبب، فصار يراقب الطريق ولا يلمحه حتى كرت شهور وجاءت امسية خميس سهر فيها عند بنته العروس ، وكانت امها لا تسعها الدنيا من فرحتها، وقد جلس هو بشوشاً

في ردائه الجديد يتأمل في ستائر الغرفة التي قدمها هدية للعروسين فقال لزوجته وحماة بنته أم وهيب وهو يسحب نظره من على الستائر التي نسجها نوله :

— هذا النسيج يذكرني برجل كان يمر بطريقنا في الصباح ، ويقف تحت النافذة ليطل علي منها او يلاحقني بنظره من شقوق الباب وأنا منهمك بالنول والمكوك ، وكأنه مارأى مثلي ، فاذا عبست اختفى ، ولما سألت عنه عرفت أنه معلم اولاد فاشل ، فقلت مسا كين تلاميذه ، ومن مدة طويلة مالمحته ، يظهر انه غير طريقه ...

كانت الأعين شاخصة ، ووهيب يصغي بابتسام وهو يتطلع الى عروسه دلال ، فضحك بعد قليل ضحكة الشامت ، وارتسمت على ملامح امه عزة الانتصار فقالا بصوت واحد :

— الفضل لهذا الرجل ...

قطع ابو دلال كلامها وفي عينيه نظرة تساؤل واستفهام ، وكانت زوجته تنتظر الجواب ، فرفع صوته قائلا :

— فهموني ... مافهمت

فأجاب وهيب :

— هذا الرجل الغريب كان يحط عينه على دلال ، وهي خارجة من البيت الى المدرسة .

فأحس الناسج كأن الغرفة تدور برأسه ، وقد ادرك أن مصنعه كان سجناً له ، فلم ير منه الا مرور الناس ومظاهرهم ، فانطلقت منه ضحكة على نفسه اهتز لها ظهره الاحدب ، وكانت بنته دلال إبان فرحتها بحياتها الجديدة تتألق في صباها وزينتها ،

فشاركت في الضحك والتساؤل الذي ظهر على وجهها ، وازدادت بهجتها حين دعا لها ابوها بالسعادة ، وهو يقول لزوجها وامه :

ـــ غداً عندنا العشاء فلا تنسوا

أما امها فحمدت لله في سرها واطمأن قلبها ، وكانت عينا الحماة تلمعان على كهولتها بمعاني الظفر ، وتقولان لجارها الناسج :

ـــ تحديتك ، نولي أقوى من نولك



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مأساة ابن الخطيب
أديب الأندلس
حوارية تاريخية بقلم انيس المقدسي

(مجلس ادب وشراب)

صوت : مالدّوله ُ ـ من سكره لا يفيق ُ ـ ياله سكرانُ
من غير خمرٍ ـ مالكئيب المشوقُ ـ يندب الاوطانْ

* * *

هل تستعادُ ـ ايامنا بالخليج ُ ـ وليالينا
او يستفادُ ـ من النسيم الاريجُ ـ مسكُ دارينا
او هل يكاد ـ حسنُ المكان البهيـجُ ـ ان يحيّينا
روضٌ اظلّه ـ دوحٌ عليه انيقُ ـ مورّق الافنان
والماء يجري ـ وعائمٌ وغريقُ ـ من جنَى الرّيحان

ابن مرزوق: لله در ابن زهر فقد طالما انشد شعره اهل الادب فحرك في قلوبهم اوتار الحبور والطرب

ابن زمرك : اجل ياابن مرزوق فهو كهذي الشمول التي تشعشع في الكؤوس فتجلو الكآبة عن النفوس .

ابن الخطيب: ومالنا وابن زهر وهو قديم قد سبقنا بأجيال .لدينا الان ابن زمرك فلاشك ان لديه مايطربنا الليلة من الموشحات والازجال

ARCHIVE

ابن مرزوق: نعم نعم أسمعنا بالله ياابن زمرك اسمعنا . فالوقت قد طاب وهل هناك الذ من السماع مع الشراب

ابن زمرك: أأنشد في حضرة ابن الخطيب وهو بلبل الاندلس وامام المنشدين

ابن الخطيب: يكفيك تواضعاً . . فهات اسمعنا شيئاً من موشحك الجديد

ابن مرزوق: وانا اضمن ان لسان الدين سوف لا يبخل علينا من نظمه بما سيزيدنا سروراً على سرور

ابن الخطيب: انت استاذنا يا ابا الحسن ورغبتك واجب علينا تلبيتها على كل حال

ابن الجياب: بورك فيك يا لسان الدين من تلميذ يفوق الاستاذ

(قرع على الباب)

ابن الخطيب: اذا صدق ظني فهذا ابن راجح والشيخ البلوي (يفتح الباب) اهلا بكما فقد اقبلتما في احسن الاوقات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابن راجح: أمن شيء جديد ؟

ابن الجياب: اجل فقد كنا على وشك ان نسمع توشيحاً جديدا لابن زمرك

البلوي: سماع ومدام وصحب كرام . ما اكبر حظنا الليلة . هات يا ابن زمرك فكلنا آذان

ابن زمرك: كنت ايها الاخوان مرة متغرباً في مدينة فاس بالمغرب فذكرت غرناطة وقلت متشوقا اليها

يا جيرةً عهدهم كريم وفعلهم كله جميلُ

لا تعذلوا الصب اذ يهيم فقبله قد صبا جميلُ

القرب من ربعكم نعيم وبُعده خطبُه جليلُ

كم من رياضٍ به وِسام　　　يُزهى بهــا الرائد الوسيم
غديرهـــا ازرق الجمام　　　ونبتهـــا كلـــه جميـم

بعضهم : احسنت احسنت

ابن زمرك متابعاً انشاده

اعنـدكم انني بفـــاسٍ　　　اكابـــد الشوق والحنينْ
اذكر اهلي بهـــا وناسي　　　والليـل في الطول كالسنين
الله حسبي فـــكم اقاسي　　　من وحشة الصحب والبنـين
مُطارِحاً ساجع الحمـــام　　　شوقا الى الالف والحميـم
والدمع قد لـجّ بانسجام　　　منتثراً عقــدُهُ النظيم

ابن راجح : الله يا ابن زمرك .. ما الطف حنينك . . انـه والله ارق من النسيم عند السحر

ARCHIVE

ابن زمرك : شكرا ياابن راجح فكيف لو سمعت إمامنا ابن الخطيب ينشدنا من توشيحه العجيب .

البلوي : ومن لايود ان يسمع شاعر الزمان ــ وامير البيـان الذي لهجت ببدائعه الالسن وسارت بذكره الركبان .

ابن الخطيب : غمرتموني بلطفكم . واما وقد انشدكم ابن زمرك من نفثات حنينه فسأسير في نفس الطريق واسمعكم بعض موشح لي بهذا المعنى .

الجميع : أسمعنا بالله . اسمعنا يابلبل الاندلس الصداح .

ابن الخطيب : جادك الغيث اذا الغيث همى　　　يازمان الوصـــل بالاندلس
لم يكن وصلك الا حُلُما　　　في الكرى اوخلسة المختلسِ

ابن زمرك : هذا هو السحر الحلال .

ابن راجح : اكمل اكمل يالسان الدين وزدنا نشوة من سحرك المبين .

ابن الخطيب : (يكمل)

اذ يقود الدهر اشتات المنى   ينقــل الخطو على مازسم

زُمراً بين فرادى وثُنا   مثلما يدعو الوفودَ الموسمْ

والحيا قد جلل الروض سنا   فثغور الزهر منـــه تبسم

وروى النعمان عن ماء السما   كيف يروي مالك عن أنسِ

فكساه الحسن ثوبا معلما   يزدهي منـــه بابهى ملبس

ابن راجح : انظروا انظروا ان البلوي يكاد يغيب من نشوة الطرب .

البلوي : بل انا غائب في نعيم هذه الالحان اروي الفؤاد من كوثر الجنان

ابن الخطيب : (يكمل)

يا اهيل الود من وادي الغضا   وبقلبي سكَنٌ انـــتم به

ضاق عن وجدي بكم رحب الفضا   لا ابالي شرقه من غربــه

فأعيدوا عهد امس قد مضى   تعتقوا عبدكم من كربه

احدهم : الله الله !

ابن الخطيب : واتقوا الله وأحيوا مغرما   يتلاشى نَفَساً في نَفَسِ

حبس القلب عليكم كرما   افترضون خراب الحبس

ابن الجياب : بحق يالسان الدين لقبت بذي الوزارتين — بل الاحرى ان تلقب بذي الرئاستين — رئاسة الشعر ورئاسة النثر .

(طرق على الباب)

من الطارق في مثل هذه الساعة (يفتح الباب)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رسول : (يدخل) مولاي الملك يطلب حضور الوزير لسان الدين حالا

ابن الخطيب : وماذا يأمر مولانا ..؟ هل من حدث هام ..؟

الرسول : لا أدري ولكن هناك على مايظهر ما أثار غضبه

لسان الدين : فلنسرع اذن اليه

(مشهد)

الملك : (عابسا) ما الذي اسمعه عنك يالسان الدين

لسان الدين : وما هو يامولاي اطال الله بقاءك

الملك : تكتب كتابا في الحب تذهب فيه مذهب المتصوفة الذين يقولون بالحلول والاتحاد ويهيمون في اودية الالحاد ..؟

لسان الدين : جعلت فداك يامولاي .. ومن اتهمني بذلك ..

الملك : جماعة من الفقهاء ممن لا أشك في صدقهم ومبلغ علمهم

لسان الدين : انها وأيم الحق لتهمة باطلة . فانا ابرأ الى الله من أي حلولية او الحاد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الملك : ذلك لا يكفي لتبرئتك .. وقد طلب الفقهاء ان يعقد مجلس للنظر في كتابك والتهم الموجهة اليك ، وفيه تستطيع ان تبرىء نفسك اذا كنت حقاً بريئاً .. والا فلن تنجو من العقاب

لسان الدين : الامر امر مولاي واني مستعد ان امثل في حضرته متى شاء لأناقش الفقهـــاء .

(مشهد)

ابن مرزوق : ان الفقهاء يالسان الدين مصممون على الايقاع بك واظن ان وراء تصميمهم دسائس بعض الحساد وقد اقنعوا الملك بانك من اهل الالحاد

لسان الدين : ولكني بريء وسأثبت لهم ذلك حين ينعقد المجلس

ابن مرزوق: لا أرى ان تبقى في غرناطة الى ذلك الحين .. اذ هم متفقون على التخلص منك .. فاكسب نفسك وبادر الى الفرار الى ان يتمكن مريدوك من فضح دسائسهم للملك فيرضى عنك وتعود الى سالف عهدك

لسان الدين: لعلك مصيب في نصيحتك ولكن الى ابن أفر يا ترى .؟ ومتى .؟

ابن مرزوق: اعبر الليلة المضيق الى المغرب اقصد حمى ملكه عبد العزيز فهو معروف بكرمه وعدله وحسن رعايته

لسان الدين: سأعمل بنصيحتك اذن وسابقى في المغرب الى ان يتضح للملك كذب الوشاة

ابن مرزوق: ونحن بدورنا هنا سنسعى الى فضح امرهم ورد كيدهم في نحرهم

الراوي: وفي ظل ملك المغرب قضى لسان الدين الخطيب زمنا يتمتع بالامن والراحة وقضت الاقدار ان يتوفى الله الملك عبد العزيز وكان حساده في الاندلس وعلى رأسهم تلميذه ابن زمرك قد اغروا به بعض فقهاء المغرب فجددوا الحملة عليه واغروا ولي الامر به فوضع في السجن . ثم اتفقوا جميعا على محاكمته . وقدم ابن زمرك من الاندلس وكان قد احتل مكانه في الوزارة ليحضر المحاكمة بنفسه . وها نحن نرى ابن الخطيب في مجلس القضاء محاطا بالناقمين عليه وهم يناقشونه في كتابه ومعتقده .

(مشهد)

رئيس القضاة: انك يا ابن الخطيب امام مجلس الفقهاء الان فأجب هل كتبت كتابا في الحب التصوفي .

ابن الخطيب: نعم واى حرج في ذلك . ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرئيس : ان ما ورد في الكتاب يدل على قولك بالحلولية . وهو كفر

ابن الخطيب: حاشا ان يكون فيه مالا يقره الشرع فانا مؤمن بالله ورسوله

الرئيس : ولكن الفقهاء لا يرون في وصفك للحب غير نزعة الى ما يذهب اليه غلاة الصوفية الحلوليين وذلك مغاير لمعتقد الائمة

ابن الخطيب: وهل في الحب ما يغاير الشرع . ؟

الرئيس : أمثلك يبالي بالشرع وهو يشرب الخمر ويحلل ماحرمه الله

ابن الخطيب: اذا كنت اشرب الخمر فقد شربها ويشربها غيري ممن لا شبهة في ايمانهم فالفقهاء فيها مذاهب كما لا يخفى على شيخ الفقهاء

الرئيس : يكفي يكفي قداقر على نفسه فخذوه الى السجن وسترفع امره الى الملك

ابن زمرك : قد حكم رئيس الفقهاء بالحق فالرجل يستحق العقاب . . واني احمل الى هذا المجلس شعور اهل الاندلس اجمعين

ARCHIVE

ابن الخطيب: (وهو خارج) أأنت يا ابن زمرك تقول . ؟ انت الذي تأدبت على يدي وطالما كنت تظهر لي الطاعة والاخلاص ، تخونني الان لتبقى متربعا في الوزارة.. الأجل منصب تغري بي الاعداء وتسلمني ليد التنكيل والعذاب .. انسيت العهود اذ رأيتني في القيود . وتدوس الفضائل لاجل منصب زائل . ؟ بئس ما قادتك اليه المطامع الاشعبية وبئس حياة تقضيها متمرغاً في حمأة الدنية .

الراوي : ورفع امره الى الملك فلم ير فيه ما يستوجب العقاب وامر باخراجه من السجن . ولكن فات الاوان فالاعداء باغراء ابن زمرك بادروا الى دس السم له فمات . وتمت المأساة واسدل الستار وسطر التاريخ حكمه بأحرف من نار على جباه الخونة الاشرار .

الترادف في اللغة
بين الإنكار والتأييد

بقلم: أبو طالب زيان

الترادف في اللغة: هو وجود صورتين او اكثر بمعنى واحد، مع استحالة الربط العلمي بين الصورتين.

ولقد نظر علماؤنا الاوائل الى هذا الترادف على أنه قضية لايقبل الجدل فيها، ولا تحتمل النزاع او النقاش، بل على العكس، نادى بعض العلماء بالتمايز، وافتخر بهذا الترادف، لاسيما في القرن الثاني الهجري وقبله بقليل، حينما نقرأ هذا التمايز، ونلمس هذا التفاخر عند ابي زيد عندما سأل اعرابياً عن معنى كلمة: فيجيب الاعرابي بكلمة اخرى مرادفة، ويجيب أبو زيد بمعنى جديد، ويرد على الاعرابي بثالث: اي ان الاعرابي نطق بثلاثة مترادفات.

قال ابو زيد: الحبنطي

قال الاعرابي: المتكاكيء

قال ابو زيد: ما المتكاكيء؟

قال الاعرابي: المتأزف

قال ابو زيد: انت احمق

على أن العلماء قد قبلوا فكرة الترادف حتى القرن الرابع الهجرى ، وهو القرن الذي وجد فيه الصراع العنيف بين كثير من الدلالات اللغوية،والاساليب البلاغية التي عمر بها هذا القرن .

وليس أدل على هذا الصراع من تلك القصص التي تروى في مجالس الحكام والملوك ، وتفيض بها الاندية ، وتعمر بها المجتمعات ، ان صحت هذه التسمية على كثير من تلك الضميات التي كان يعنيهـــا هذا الصراع ، ويرضيها هذا اللون من الوان اللغة .

اذ كان اظهر مايتجلى هذا الصراع في بلاط سيف الدولة نفسه ، الذي كان يعج بكثير من الثقافات ، ويمتاز بهـذه الخلائق التي كانت تلوذ به ، وتصطرع في كنفه ، وبين يدي سيف الدولة الذي كان مجلس للحكم ، فتصرفه منازعات اللغة عن كثير من عوادي الناس ، واختلافات الرعية .

كان ابن خالويه من المؤمنين بهذا الترادف ، وكان ابو علي الفارسي من المنكرين له ، حتى ان ابن خالويه دفعه تعصبه للترادف الى تأليف كتاب ، ساق فيه كثيرا من الفاظ هذا الترادف ، لكن أبا علي لا يعرف الا انكار هذه الالفاظ ، ولا يقر هذا اللعب ويقف الى جوار رأيه مدافعا ، يقرع حجة بحجة ، ويسوق دليلا اثر دليل .

قال ابن خالويه : انه يعرف للسيف خمسين اسما .

قال ابو عـلي : لا أعرف الا اسما واحدا .

قال ابن خالويه : ماذا تقول في المهند والقبار ؟

قال ابو عـلي : هي صفات وليس بأسماء .

غير ان المدقق لحجج الفريقين ، يرى للمؤيدين حججا ، وللمنكرين حججاً

إخرى . فالمؤيدون قد ساقوا حججاً كثيرة من نصوص صحيحة ، وأوردوا أمثلة شتى رويت عن العرب ، وجاءت في القرآن الكريم ، مثل : « والله لقد آثرك الله علينا » . «اني فضلتكم على العالمين » والترادف هنا ، بين : آثرك ، وفضلك ،لكن الواقع أننا نهمل فرقا في بحث هذا الترادف ، يرجع الى الذوق الشخصي والمزاج ، أو الحكم الفردي ، وهو الاسلوب وتطلب الاتحاد في المعنى ، يسهل تلك الناحية الشخصية التي يجب ان تكون الاساس في المجتمع بحكم الاتحاد .

اما اذا خطر في الذهن ، أن هذه الكلمة لاتساوي الاخرى ، فلا يكون هناك ترادف ، لأنها لاترجع الى المزاج، وما نؤثره اليوم قد نعدل عنـــه غداً الى كلة اخرى ...

والواقع ، ان : «حتى اذا حضر احدكم الموت» . « حتى اذا جاء احدكم..» بمعنى واحد ، فان : حضر هنا : هي جاء . وهذا هو أهم دليل أتى به المؤيدون لفكرة الترادف ، وساقوه سوقا دون تعثر او مبالاة ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على أن اصحاب هذا المذهب ، جاءوا بأدلة اخرى لاتقنع كثيراً ، وساقوا قصصاً لاتقوم حجتها على اساس من منطق ، او يقبلها عقل باحث . فالاعرابي الذي وفد من الشمال الى ملك اليمن وهو جالس على سطح ، فأراد الملك امتحانه بقوله : « ثب » . فقال الاعرابي لا أعرف هـذا ، وقفز .. فأوذي ، لم يكن يعرف معنى مايريد الملك . فوثب : عند اهل الشمال معناها : قفز ، لكن اصحـــاب الترادف يقولون : ان وثب وجلس كلتان مترادفتان عند اهل الجنوب ، ووثب وقفز كلتان مترادفتان عند اهل الشمال .

ولقد قال اصحاب هذا المذهب : ان النبي صلى الله عليه وسلم ، طلب من ابي هريرة أن يناوله « سكيناً » فلم يفهم ابو هريرة المعنى .. فاضطر النبي الكريم الى

الاشارة اليها .. فقال له : المدية تريدقال: نعم .. قال : لم اسمعها من قبل . فالسكين والمدية كلمتان مترادفتان ..

ومما لاجدال فيه ، أن هذه القصة لاواقع لهـا من الصحة ، ولا نصيب لها من الرواية ، لان السكين وردت في القرآن في سورة « يوسف » وهي مكية واتصل أبوهريرة بالنبي وحفظ القرآن ، فكيف لا يعرف كلة : « السكين » وهو من بطن من بطون الحارث ، وهي قرية بالحجاز .

أما الذين أنكروا هذا الترادف ، فقد كانوا يلتمسون فروقاً بين الكلمات: فاذا كانت هناك كلة ، فان لها مرادفا أوشبيهـا متكلفا أو متعسفا ، كما في كلمات الجلوس ، والاضطجاع ، والانحناء ، واكثر ماشاع ذلك في القرن الرابع الذي عمر بالتأييد والانكار . فالفيروز بادي يؤلف كتابا أسماه : « الروض المألوف » وأبو الحسن الرماني يسميه : « الألفاظ المترادفة » . وأبوهلال العسكري يضع كتابه : « الفرق اللغوية » وبضمنه الكلمتين اللتين لهما مرادفاثم يحللها ، ويسوق الأمثلة الكثيرة التي تدل على هذا الترادف .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

غير اني لا أسلم بهذه القضية . ولا آخذها مأخذ الجد والقياس والاطراد لأسباب ثلاثة :

أولا : أن الترادف لا يكون الا بالاتحاد في المعنى بين الكلمتين .

ثانياً : وحدة البيئة ، وهو أن تكون الكلمتان مستعملتين بمعنى واحد في البيئة الواحدة .

ثالثاً : وحدة العصر ، اذ يجب أن نحكم على الترادف في وقت معين ، وفي جيل معين ، لا أن نعقد مقارنة بين جيلين مختلفين في كلة واحدة ، نحملهـا من الترادف مالا تستطيع .

ولعله يحق لي ان أتساءل عن السر الحقيقي الذي جعل فريقاً من العلماء ينكر هذا الترادف ، وفريقاً آخر يؤيده ؟

لعل هذا السر ، هو ما كمن وراء فريق ثالث توهم أن بعضا من الكلمات بينها ترادف ، وظنوا ان الصورة مختلفـــة بين هذه الكلمات ، ولم يدركوا ان الصورة ، أو ان الاختلاف بينهـا ، اختلاف صوري وهمي ، والكثرة الكاثرة ، تؤيد هذا الشرط ، وتؤمن به ، ويوافقهم عليه علماء أوربا الذين لم يعترفوا بهذا اللون في لغتهم ، ويشغلوا به شغل ابناء العربية في تصيد الأوابد ، واقتناص هذه الشوارد ، والوقوف عند هذه المهاحكات ..!!

على أن الذي قد ولد هذا الترادف ، ولفت نظر العلماء اليه هو :-

تغير معنى الكلمة ، مما ينشأ عنه ترادف بينهـا وبين كلمة أخرى : أي ان الاصل في كل لغة ، والاصل في كل كلام ، ان يكون للفظ الواحد معنى واحد ، وأن يكون للمعنى الواحد لفظ واحد ، وهذا هو الاصل الذي ماتزال الكلمات في كل لغة تجري عليه ، وتقاس به في المعنى واللفظ ، والصورة والتركيب .

ومما لا مشاحة فيه ، أن العرب كانوا يستعيرون من الفرس واليونان ، ومن البلاد الاخرى كلمات ، استعملوها وورد بعضها في القرآن الكريم ، لكن ليست الاستعارة التي لها مبرر هي التي ينشأ عنها هذا الترادف ، وانمـا يتسبب الترادف بالاستعارة التي لا مبرر لها في صورة من صور الكلمات ، أومعنى من المعاني الشائعة المتداولة التي كانت تؤثرها قبيلة من القبائل ، وتأتي أخرى فتقابلها بمخترع آخر ، يبتذلها ويجعلها بمنأى أو بقيد عن أختها الأصلية .

والواقع ، اننا اذا أردنا الترادف الحقيقي الذي يزيد اللغة ثراء ، ويبـارك لها هذا المحصول الوافر الذي تتيه به ، أن تكون هناك حرية تامة في استعـمال

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكلمات دون التقيد بلفظ ، أو الاقتصار على معنى ، أوعدم الانفكاك عنه ، بحجة التوقف ، أو السماع ، أو الأخذ ، فليس السيل بمنته ، وليست اللغة بعاجزة عن مجابهة مايخترع كل يوم ، أويظهر كل ساعة على أسماء أو مسميات ، والتزمت على كل حال ، يحصر اللغة في إطار ضيق ، لانحب أن تعيش فيه : عيش الكساح أو العجز ..!!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سلسلة الرحلات « ٣ »

في الربوع الاندلسية

تأليف

سامي الكيالي

من كتب وزارة الثقافة والارشادالقومي

الأدب اليوغوسلافي الحديث

بقلم اوزخان ميسى

لايمكن ، في اعتبار الواقع العلمي ، ان يتولد ادب بسهولة عند اي شعب يعيش على هذه الكرة الصغيرة أو هذا الكوكب المتواضع ، رغم ملايين السنين التي امضاها في الدوران المحوري والمداري . ذلك لأن الادب الذي ينتجه شعب هو جزء من تاريخه فاذا كان تاريخه غير واضح المعالم جاء أدبه بالنتيجة أدباً غير واضح المعالم .

لذلك لم يتكون للأدب اليوغسلافي حدوده المميزة ولم يتبلور له طابعه الخاص الا بعد الحروب العالمية الثانية عندما برزت في التاريخ المعاصر كدولة مستقلة ذات سيادة وكيان وذات اتجاه سياسي معين يعطيها صفات خاصة تضع بينها وبين الدول العقائدية الاخرى حدوداً لها اهميتها من حيث الاجتماع والتاريخ من ناحية ومن حيث العلاقات الدولية من ناحية اخرى .

لقد كان الأدب اليوغسلافي يفتقر الى معالم واضحة خلال السنوات الطويلة التي امضتها يوغسلافيا التي كانت

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

تعرف يومئذ باسم « الصرب » تحت الحكم العثماني ، يضاف الى ذلك انها كانت ، ولا تزال حتى اليوم ، تضم عناصر غير قليلة العدد من اصول مختلفة من ألبــان واتراك وايطاليين ورومانيين وبلغاريين والمانيين وروسيين ونمساويين وغجر مجهولي الهوية. وما برحت هذه الاقليات محتفظة بعاداتها وتقاليدها الخاصة كما انها لا زالت محتفظة ايضاً بمدارسها الطائفية التي تدرس فيها لغاتها رغم النظام الاشتراكي المطبق في يوغسلافيا.

ومن الواضح ان شعباً تكثر فيه الاقليات وتحاول الدولة المسيطرة عليــه ان تذيبه في بوتقة قوميتهـــا ويتعرض لهزات سياسية واجتماعية وعنصرية متباينة لا يستطيع ان يكوّن معالم أدبه بسهولة ولا يستطيع كذلك ان يرفع انتاجه الفكري الخاص الى مستوى عالمي بين عشية وضحاها . الا ان الشعب اليوغسلافي استطاع بعد عام ١٩١٩ ان يعي ذاتــه وان يستمد من المآسي التي غمرت تاريخه انطلاقة حيوية جديدة اخذت تتبلور في شكلها العملي الواضح بعد عام ١٩٤٥ ، فصارت هناك القصة اليوغسلافية وصار هناك الشعر اليوغسلافي وصار هناك الرسم اليوغسلافي ايضاً في طابعه القومي الخاص .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويحمل الانتاج اليوغسلافي في هذه الميادين الثلاثة انعكاساً يمكن ان ينسب الى شعب بذاته وخصائص لها الوانها وصفاتها وطبيعتها المميزة .

ولما كان لا بد لفهم أدب شعب ، أي شعب ، من فهم الشعب ذاته في تاريخه وجغرافيته ووضعه الاجتماعي والسياسي ، كان لا بد ايضــاً هنا من الاستزادة في اقتضاب من كل معرفة يمكن ان تلقي ضوءاً على طبيعة الشعب اليوغسلافي في حاضره الذي يحياه اليوم بعد نهاية الحرب العالمية الثانية .

يبلغ عدد سكان يوغسلافيــا اليوم نحواً من ١٩ مليون نسمة ينتمون ، كما سبقت الاشارة الى ذلك ، الى اصول مختلفة . غير ان الدولة صنفتهم تصنيفاً اقليمياً

وقسمت البلاد الى مناطق جعلت منهـــا جمهوريات ستاً ، لـكل جمهورية طابعها الاقليمي وحياتها التي تـكاد ان تكون حياة خاصة وذلك ضمن كيان واحد هو كيان الاتحاد اليوغسلافي الذي اعترف بوجود لغـات ثلاث في اراضيها هي اللغة الصربية ـ الكرواتية التي يتكلمهـا الصربيون والكرواتيون وسكان منطقة الجبل الأسود ، اي (مونتونيغرو) واللغة السلوفينية التي يتكلمها السلوفينيون واللغـة الماكدونية التي يتكلمها سكان ماكدونيا . ولـكل من هذه اللغات جذورها التي نمت منها ، ولـكل منها شخصياتها التي هي حصيلة تاريخ واحداث ولـكل منها ايضاً تراثها الذي هو حصاد اثنولوجي طويل . وكان من نتائج هذا الاختلاف القومي والاثنولوجي ومن نتائج هذه الذهنيات المتنوعة التي تعيش على ارض واحدة ومن نتائج هذه التباينات المتنافرة التي تنساب كلها الى مجرى ثقافي واحد ــ ان كان من كل ذلك من الصعب الوصول الى توحيد ذهني ــ نفسي من شأنـه ان يخلق ادباً قوميـاً ذا تخوم بينة . ان العقليات المتنافرة والتيارات المتباينة التي تعيش في كيان شعوب متعددة جعلتهـــا الاحداث شعباً واحداً لا تستطيع ان تنتج ادباً منسجماً متناغمـاً من حيث المصادر والاهداف ولا يمكن له ان يبرز الى الوجود كوحدة تامة كاملة . لذلك كان من غير المنطقي ان نقول « أدب يوغسلافي » ، بل كان من المنطقي ان نقول بوجود « آداب الشعب اليوغسلافي »، وذلك حتى مابعد فترة الاستقلال حيث جمع الشعب ذا الاصول المتباينة والطائفيات المتنوعة والاتجاهات المختلفة تيار نضالي واحد ونزوع واحـد للحرية والاستقلال والسيادة . واستمر هذا الشعور القومي الموحد يفعـل في نفوس افراد الشعب اليوغسلافي ويؤثر في اعماقهم تأثيراً شديداً حتى نمت الفكرة القومية عند هـذا الشعب نمواً واضحاً وصارت لها مرتكزاتها الثابتة ، ليس من حيث التناغم الشعوري فحسب بل من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حيث الفكرة العلمية ايضا . وكان للنظام الاشتراكي الذي وضع اسسه المارشال تيتو أثره العلمي في تكثيف فكرة السيادة القومية ، ممـــا نقل « آداب الشعب اليوغسلافي » من مرحلة كونها « آداب شعب » الى مرحلة كونها « أدب شعب » .

ويعتبر الادب اليوغسلافي اليوم في جملة الآداب العالمية المعروفة كما ان انتاج الادباء اليوغسلاف يترجم الى اللغات الغربية والشرقية المختلفـة ، ويزداد الاقبال على قراءته يوما بعد يوم . وفي جملة الكتب الحديثة التي صدرت عن الادب اليوغسلافي كتاب للناقد البلجيكي الاصل ، الكندي الجنسية « جاك كوربييه » الذي يعيش اليوم ، كما اعلم ، في اوستراليا . وعنوان هذا الكتاب هو « القصة اليوغسلافية وايفو اندريتش . وقد عرف عن الكاتب كوربييه انه ناقـــد ذو اطلاع واسع على آداب الامم وانه ذو نظرات صادقة في تقييم هذه الآداب كما عرف عنه ايضاً انه ذو اتصال وثيق بتطور الفكر الانساني بصورة خاصة . غير ان كوربييه في كتابه « القصة اليوغسلافية وايفو آندريتش » يبدو وكأن في نفسه مايدعوه الى طمس معالم آندريتش الادبية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويركز كوربييه بصورة خاصة اهتمامه في كتابه هذا في رواية آندريتش المعروفة « جسر على نهر درينا » التي يروي فيها حكايات عن موطنه بوسنيا الذي تعرض خلال الاحتلال العثماني لاضطهاد مستمر ، ليس من قبل الدولة العثمانيـة وحدها بل من قبل جاراتها الشقيقات ايضا . . وليس في مثل هذا التركـيز الة غرابة لو انه ظل مقتصراً على حدود التركيز المجرد بذاته دون ان يمتد الى مايمكن ان يسمى بالتعرض او التهجم .

ان كوربييه يكاد ان يتهم آندريتش بالسطحية وبالسفسطة عندما يقول عنه في بداية حديثة عن رواية « جسر على نهر درينا » : « ان آندريتش لم يستطع

في روايته هذه ان يخرج عن الحدود التي رسمها لنفسه او عن الحدود التي رسمتها له ظروفه السياسية المعينة » . لأنه يحاول دائماً « ان يضخم الاحداث التي يستلهمها من العالم الخارجي تضخيما رومانسيا يعيد الى الاذهان كتابات الناشئين » ثم يعود ليقول مرة ثانية وفي نطاق المعنى ذاته ان « آندريتش يحوم حول المعاني ولكنه يقصر في الغوص فيها ، وقد يكون ذلك بسبب حالة توترية في نفسه التي لم تعرف الى الاستقرار والاطمئنان سبيلا » .

ويجب ان نقف هنا قليلا لنعرف الى اية درجة تنطبق وجهة نظر كوربييه على احداث رواية « جسر على نهر درينا » ، بصرف النظر عن فوز هذه الرواية باية جائزة عالية او عدم فوزها بها ، ولنعرف ايضاً حقيقةالتباعد القائم بين كوربييه الناقد والقاص آندريتش .

ان في الرواية رقة فنية رائعة تتجسد في اتخاذ جسر بسيط عادي ماعكن ان يقام في اي مكان آخر مسرحا لاحداث جسيمة منها ماهو تاريخي يمكن التأكد من صحته بالعودة الى المراجع التاريخية ومنها ماهو انساني يصور حالات نفسية مختلفة مما يمكن ان يحدث عند افراد لدى كل الشعوب في ظروف معينة خاصة . ان في اتخاذ آندريتش لجسر عادي ، رغم قيمة هذا الجسر التاريخية ، منطلقاً لرواية ضخمة ومنفذاً للوصول الى تحليـــل شخصيات متنوعة من شعوب متنوعة عملا فنياً باهراً لايمكن ان يوصف بانه عمل رومانسي « يعيد الى الاذهان كتابات الناشئين » .

صحيح ان في بعض فصول الرواية مايمكن ان يسمى بـ « التضخيم » غير انه ليس بالتضخيم الاعتباطي الذي ينساق اليه الكاتب انسياقاً عفوياً . انه التضخيم الذي لا بد منه لايضاح احداث قاسية عاناها شعب معاناة واقعية فيهـــا كل الوان

المرارة والظلم والاسى . وليس التضخيم الذي يعنيه كوربييه ويعطيه صفات تهويلية الا ظاهرة من ظاهرات الفنان الاصيل الذي لا يستطيع ان يجد حدوداً فاصلة بين ذاته وبين احداث خارجية تتفاعل آلياً او قسرياً لترسم بالتالي مصير شعبه . ان آندريتش بوسناوي لمس وعاش كل تاريخ بلاده منعكساً في أعماق ذاته واستجابت نفسه لما لمس من المآسي الرهيبة التي لا يمكن ان تنسى ، فعمد الى الرواية يسجل التاريخ والاحاسيس . وهل نستطيع ان نقول ان في لوحة « كرنيكا » لباولو بيكاسو تضخيماً للحقائق ؟ ان فيها تفاصيل ودقائق تحاول او تريد ان تحاول نقل مشاهد معينة عن المأساة التي عانتها اسبانيا في حربها الاهلية ، ولكن هذه اللوحة في الوقت ذاته ايضاً تنتفض رشقات رائعة لتمثل مأساة أية حرب ، أية حرب يمكن ان يشنها او يخوضها أي انسان ضد أي انسان آخر .

ان في لوحة « كارنيكا » تضخيماً تشريحياً واضحاً اقتضت وجوده العوامل التي دفعت بيكاسو الى رسمها ظروف حياتية من جهـــة ، وهي ظروف مأساوية الانسان عندما يظل في عقليته الغابية وفي سلوكيته البدائية ، وظروف ذهنيـة معينة تتمثل في الصعودية التي تدرك معنى هذه المأساوية وتحاول ان تجد لها حلولا ايجابية تتناغم تناغماً نسبياً مع سنن التطور التي لا يستطيع اي نوع من انواع الـكائنات الحية التي توالدت على الكرة الارضية ، ان في ضحاضحها اولا وان في سهولها وغاباتها وجبالها ثانيا ، أن تحيد عنها . وكما كانت التفاصيل والدقائق واضحة المعالم ، « مضخمة » في لوحة بيكاسو ، كذلك كانت في رواية « جسر على نهر درينا » لآندريتش .

ولا غرابة في ذلك لأن الفنان الاصيل يحيا حياته وحياة الآخرين ويقطر مافي أمسه وحاضره وغده كلمة اولونا او لحناً اوسلوكا يشمل الـكل دون ان يكون

هنالك كلمة اولون او لحن ، انما سلوك ازلي يذوب فيه الفرد ذاته ليبقى في الآخرين مداً لا تعرف له تخوم .

وصحيح كذلك ان آندريتش كان متوتراً في سرد احداث روايته هذه ، إلا انه كان في ذلك كبيكاسو في لوحته « كرنيكا » . واذا تجاوزت الحدود قليلا قلت إنه كان كما كان « باخ » في قطعته « آريال » حيث علا وعلا في تفاصيل من موحيات اللاهوت ليصل بنا في اللحن الترددي الى المطلق الذي يحيا في لاوعيه .

ان آندريتش يعيش في لاشعوره كل تاريخ شعبه ويستجيب لآلام شعبه مرحلة مرحلة ، لذلك فانه من الطبيعي أن يكون مرآة لما يعيشه ولما يحس به ، ولو في صورة فيها بعض الايضاح الذي كان يمكن الاستغناء عنه في رواية « جسر على نهر درينا » .

ويعود كوربييه بعد ذلك ليقول ان آندريتش هو « احد اولئك الكتاب الذين ليس في وسعهم ان يتخلصوا من الالتزام المفروض عليهم فرضاً » وان يفجروا طاقاتهم الفردية تفجيراً يتلاءم مع ماللسيهم من طاقات التفجير . وكأن كوربييه في قوله هذا يرمي الى هدف يريد أن يجعله مموهاً يتضمن الايحاء بان آندريتش لم يخرج عن الخط البياني الذي حدده فيه حزبه .

ان الناقد الذي يدرس ايفو آندريتش يعرف انه ليس بالكاتب الذي يسهل قياده لعقيدة او مذهب او اتجاه سياسي ولو انه يكتب في ضمن الاهداف التي ترمي اليها دولته . ان آندريتش يختلف ، مثلاً ، عن غالب يوغسلاف مؤلف « غبار المجد » الذي ارتمى في احضان المرونة الحزبية ارتماءاً كاملاً وجعل كل طاقاته تعبر عن اتجاه معين فيه كل معنى الالتزام .

فاذا التزم آندريتش ، عفوياً ، مثل هذه الخطوط التي التزمها في روايته « نهر على جسر درينا » ، فانه ، في حدود المنطق العلمي ، قد خرج عن حدود الالتزام الذي عناه كوربييه من حيث التقيد بالفكر كما يوحي به نظام معين ، وانطلق الى حدود انسانية ليس في وسع أي حاكم أن يرسم له تخوماً او ان يقول له : قف هنا او قف هناك .



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لمحات من الأدب العالمي

دوستويفسكي

تلازم عذابه وفنه

للكاتب الفرنسي هنري ترويا H.TROYAT

ترجمة : جورجيت حنوش



دوستويفسكي

كان غوغول يردد دائماً « يجب أن يكون مرحنا اكثر ضجيجاً لئلا ندع غمنا القديم يستولي على نفوسنا » .

لم يتخل هذا « الغم القديم » عن نفوس روائيي روسيا في عصرهم الكبير ولم يجرؤ مؤلف « روح وجسد » أن يغامر بعمق في الحقل « اللامنطقي » . . . بل حاول أن يطمئن نفسه عن أيامه الاخيرة حين يقرر أن رذائل العالم مصدرها ارادة الله . . .

واذا كان دوستويفسكي قد اهتم مثل غوغول بالطبقة الشعبية فانه لم يتوقف مثله عند غبائها الظاهر ، بل تعداه الى ماهو ابعد واعمق اذ فتش من خلال افراد هذه الطبقة عن حل ألهي لاسرار الطبيعة الانسانية . . .

يعود الفضل الى دوستويفسكي في أن كتب الجنس توسع شرحها واصبحت بحثاً حائراً في الايمان ، جرد أسرار الخليقة واخضعها الى محبة الله ...

وجه خشن ذو مسام ظاهرة ، وجبهة واسعة مقببة وأنف مدبب ، وخدان تخترقهما الاخاديد ، ولحيـة طويلة كثة الشعر ، وحاجبان كثيفان تحتهما نظرات براقـة ، نظرات مدعاة للوحي ، ليس في هذا الوجه جزء الا وسمته علامات الألم .

قبل أن نلوم الكاتب على الدسائس والمؤامرات الغريبة الحافلة بها رواياته وقبل أن نلومه على جعل ابطاله دائماً معارضين ... علينا أن نستعرض حياته الخاصة مرحلة ... مرحلة ... فنجد حينئذ انه لم يصور فيرواياته الا العذابات والاسرار والمغامرات التي كانت حياته الخاصة مسرحاً لها .

وقبل أن نلومه على موقفه من ابطال رواياته حين يحاول تبرير اعمالهم ومواقفهم ، علينا أن نعلم أن قوة جبارة خاصة ، قد سيطرت على اعماله وتفكيره ، ورتبت وجوده في العالم بالطريقة التي ظهر بها من خلال ابطاله .

ان الظروف التي جاء فيها الى العالم ، تعد لوحدها رمزاً .

ولد دوستويفسكي في ٣٠ تشرين الاول عام ١٨٢١ فيمستشفى القديسة ماري في مدينة موسكو حيث كان والده الضابط الطبيب يعمل هناك .

ومنذ اولى خطواته منحه القدر مكانة سامية ، بين فقراء وكسحان ، ففتح عينيه على عالم حزين يعبق برائحة الفقر ، والبؤس ، وحماء الثكنة .

كانت والدته حزينة معذبة النفس .. قلقة من المستقبل .. وكان والده رجلا بخيلا شرس الطباع .. يفرض ارادته على الموظفين ، بالضرب والسباب .. وتحت مراقبة هذا الوالد الفظ باشر فيدور دروسه ...

كره في الخفاء والده .. هذا الوالد الذي كان صوت صياحه يلاحق الطفل حتى في احلامه .. وتمنى له فيدور الموت غير ان الله لم يستجب دعاءه .. بل اخـذ له والدته الحنون بعد مرض استعصى شفاؤه ..

ويئس الوالد الارمل فاضاع نفسه في الخمر .. ومضى يعمل بقرف واشمئزاز وقرر أن يودع ابنه مدرسة الهندسة في بطرسبرج حتى يتخلص من امر تربيته .

كانت قوانين تلك المؤسسة صارمة ، قوامها احترام العلوم المتقنة وتربية عسكرية بروسية حسب ذاك الزمان .. ورغما عن ذلك استطاع دوستويفسكي أن يجد الفرصة ليتعلق بالادب .. كان يطالع في الخفاء الكتب الروسية والفرنسية .. ويحاول ان يكتب .

لم يكن يتجاوز الثامنة عشرة عندما استلم نبأ زعزع عقله ، فوالده الذي احيل على التقاعد والذي ذهب يعيش في قريته ، قتل .

كانت فظاظة الطبيب وجنونه قد دفعا الفلاحين الى أن يعذبوه شر تعذيب قبل ان يقتلوه .

أحس دوستويفسكي الشاب انه المسؤول الوحيد عن هذه الجريمة ، رغم ان غيره كان قد ارتكبها ، « ألم يتمن موت والده ..؟ » حتى وان كان لم يرفع يده .. لكنه رفعها في خياله .. يكفينا أن نضمر القبول في الجريمة ... وأن نتمنى التنفيذ لنصبح شركاء فيها .

وانهير من ابحاثه في مناخ فكري صرف حيث الاعمال لا تتعلق بفاعليها .. وحيث الابرياء يعاقبون حسب انظمة مطاطة غامضة ، وحيث الواحد مسؤول عن بؤس الاخرين ، وحيث العاطفة تأخذ مكان الاثبات ، وحيث السر يغلب البيان .

حين أنهى تعليمه كان في العشرين من عمره ، وحيداً فقيراً ، سكن في شقة متواضعة في مدينة بطرسبرج ، وشرع يترجم روايات بلزاك ليكسب معيشته .. لم تمنعه اعماله عن التأليف فكتب رواية تحت عنوان « الناس الفقراء » أودعها بين يدي الشاعر « نيكراسوف » وبعد يومين .. تناول عشاءه مع صديق له وعاد الى المنزل قبيل الرابعة صباحاً وبينما كان ينزع عنه ثيابه قرع الجرس فأحس بدمائه تتجمد .

وفتح الباب . . .

واذ بالشاعر يدخل عليه ويعانقه ويقول له : « بالعبقرية . . . »

وعده الشاعر بأن يعرض المخطوطة على الناقد العنيف « بيلنسكي » وطالعها الناقد ولم يختلف في الرأي مع الناشر . . . وعندما قابل دوستويفسكي قال له : « ايها الشاب هل فهمت جيداً ما كتبت . ؟ »

غادر دوستويفسكي مكتب الناقد يرقص طربا . . . اصبح نصره أكيداً . . . ان المجد والثروة ينتظرانه على الابواب .

وصدر الكتاب ولاقى اعجاب عدد كبير من القراء ، وأثقل الثناء كاتبنا الشاب فأراد أن يستغل حظه ، مضى يقدم القصة تلو القصة ظناً منه انها اسمى من رواية « الناس الفقراء » واعمق .. لكنها في الحقيقة خيبت آمال معارفه ... فتناولها النقاد بالتجريح ... النقاد الذين كالوا له المديح ، انبوه على انه قلد اسلوب غوغول .

الفشل الذريع الذي جاء اثر انتصار كبير دفع الكاتب الى الشك ... فخانته جرأته في أن يقابل زملاءه الكتاب ... وشاء الهرب من وحدته القاسية ، فانضم الى زمرة من الرفاق ذات افكار تحررية ، وشرع يجتمع بهم في منزل احدهم يدخنون الغليون ، ويشربون الشاي ، ويفضحون حكم نيقولا الاول المستبد ، ويحلمون بازالة العبودية ، ويدرسون حقوق الانسان ...

وفي ٢٢ نيسان عام ١٨٤٩ ألقي القبض على دوستويفسكي وأودع في سجن بطرس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبولس . رفض أن يصدق انه متهم بجريمة كونه اشترك في احاديث سياسية ، وظل في السجن ينتظر الافراج عنه مدة ثمانيـة اشهر . وأخيراً في ٢٢ كانون الاول نقل وجميع افراد المؤامرة في عربة زحافة وتحت حراسة شديدة الى ساحة « سيمنوفوسكي » وكانت مغطاة بالثلج يحيطها جمع غفير ...وقد نصب في وسطها منبر خشبي رصت عليـه اخشاب طويلة . . . قادم الى المنبر احد الكهنة .

وهناوقف المأمورالامبراطوري وقرأ قرار الحكم عليهم ... وكان كلما ذكر اسماً الحقه بجملة قاطعة : « حكم عليـه بالاعدام . » وتساءل دوستويفسكي قائلاً : « كلا ... لن يعدمونا . . . هذا امر غير ممكن » لكن الجلادين كانوا اقتربوا من الشباب فألبسوهم قمصاناً بيضاء ذات أكمام طويلة ... وقبعات اخفت وجوههم ... ثم ربطوهم بحبل على الاخشاب الطويلة ... ومرت الدقائق بطيئة لم يسمعوا خلالها صوت طلقات ...

رفع دوستويفسكي قبعته عن عينيـه ، فرأى ضابطاً وفي يده منديل ابيض يلوح به ..

وقرعت ابواق الهدنة فأعلن المأمور ذاته عفو الامبراطور عن المجرمين فابدل الحكم بالاشغال الشاقة في صحراء سيبيريا لمدة اربع سنوات .

حين عاد دوستويفسكي الى السجن . عاد مذهولا .. فكتب الى صديقه يقول : « لم اخسر ولم افقد شجاعتي . . ان الحياة هي في كل مكان حياة .. انها فينا وليست في العالم الذي يحيطنا .. ان يكون الرجل رجلا ... وان يظل رجلا مهما كانت ظروفه ، فهذا هو المعنى الحقيقي للحياة».

وبعد يومين وفي ليلة عيد الميلاد ، وضعت سلاسل الحديد في رجليه .. ونقل داخـل عربة زحافة في اتجاه صحراء سيبيريا .

وظل أفق نظره لايتعدى الخمسة عشر الف ركيزة سنديان مدة اربع سنوات وعاش بين المجرمين .. والقتلة .. واللصوص .. ارتدى مثلهم ثوب العار الرمادي ذا الاشارة الصفراء .. شاركهم الطعام القذر والعمل القاسي ... واصيب بنوبات من الصرع .. كانت تدحرجه على الارض وتفقده وعيه مدة ايام طويلة ..

ومع ذلك كان ايمانه القوي يحفظه من الوقوع في اليأس .. ووجد دوستويفسكي تجربة السجن غنية بالتعليم .. اكتشف في هذا الجحيم اعماق الشعب الروسي ... واكتشف اسرار الانجيل الكتاب الوحيد الذي سمح لهم بمطالعته .. وحيازته ..

ومرت السنوات الاربـع ..

ذهل دوستويفسكي حين نزعوا عن رجليه سلاسل الحديد الثقيلة ... وتساءل : هل يمكنه بعد الشدة القاسية ان يستعيد طعم الحرية ..؟

ووجد نفسه وحيدا لاصديق ولا عائلة..ولا حماية .. كان عليه ان ينفذ اوامر الامبراطور ان يلتحق كجندي صف في فرقة القناصة في مدينة « سيميبالاتين » وهناك اكتشف هذه الاعجوبة : منازل حقيقية .. ورجال احرار .. ونساء ..

كان في أمس الحاجة لان يعطي ذاته الى انسان .. فأحب مخلوقة مجنونة كانت مصابة بمرض السل لم تبادله حبه .. كانت ماري ديميتريفا ارملةفقيرةوأما لولد .. اراد دوستويفسكي ان ينتشلها من البؤس .. فتزوجها .. غير أن الذهول الذي احس به من جراء تضحيته هذا كان قوياً .. ففي ليلة عرسه انتابته نوبة صرع عنيفة دامت ساعات .. واخافت الزوجة .. وعندما استعاد قواه .. طلب صفحها ..

وتعافى دوستويفسكي .

توفي القيصر نقولا الاول فخلفه على العرش اسكندر الثاني .. وقيل عنه أنه كان رجلا ذا احساس وتبصر ، لم يرفض أن يطلع على طلب العفو الذي ارسله دوستويفسكي ويرجوه فيه السماح له بالعودة الى العاصمة ، وظل الكاتب ينتظر ورود الجواب .

وتعاقبت الشهور وتحولت الى سنين .، واخيراً جاء اذن القيصر في السماح له بالعودة الى العاصمة في ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٨٥٩ .. كان قد مضى عليه عشر سنوات منذ أنغادرها وسلاسل الحديد في رجليه .

ARCHIVE

فوجد اصدقاءه متفرقين واسمه منسيا .. فكافح من جديد .. ونشر روايته القيمة « مذلون مهانون » اعقبها برواية ثانية « ذكريات بيت الموت » حيث سمحت له تجربته كمحكوم بالاشغال الشاقة ان يصورها في واقع وحشي .. هز جمود الشعب .. وهز القيصر ذاته وبذلك استعاد شهرته ككاتب .

خيل الى دوستويفسكي انه ربح المعركة .. فقدم كتابا قيما « ذكريات كتبت في نفق تحت الارض » واصدر مجلة وكان محررها الوحيد .. غير أن الحظ السيء كان له بالمرصاد .. فتوفيتزوجته .. وشقيقه ميشيل، واثقلت ديون العائلة كاهله .. فحصن نفسه من دائنيه بأن استدان من سواهم .. وظل يكتب حتى الارهاق .. ومع ذلك كان يعجب من الشقاء الذي أعياه .

دفعته حيويته المتدفقه لأن يتزوج من « انا غريغوريفنا » سكرتيرته وكانت في العشرين من عمرها وكان هو انذاك في السادسة والاربعين .

صدرت روايته « الجريمة والعقاب » وتلتها « المقامر » وكان الربح من المبيع كبيرا .. الا انه لم يكف تسديد الديون المتراكمة .. واضطرالكاتب لأن يهرب وزوجته الى خارج روسيا .

تنقلا من بلد الى بلد .. دربيت .. هامبورغ .. بادن ـ بادن .. جنيف .. فلورنسا كانا يبيتان في الاقبية .. ويأكلان الاطعمـــة البخسة الثمن، يوقعان على سندات .. اوتعطي الزوجة ثيابها وحلاها مقابل الاكل .. ورزقا بطفـلة ، لكن القدر حرم دوستويفسكي من السعادة اذ توفيت ابنته بعد ايام .

هناك في الخارج لم يحبه احد .. ولا اهتم به احد .. كان وحيدا ومفلساً .. فكتب الى اصدقائه والى الناشر رسائل مخجلة يتضرع اليهم أن ينجدوه .

واصبح موظفو المصرف يعرفون جيدا الرجل ذا اللحية الكثة والثيـاب المهترئة الذي يتسكع امام الصندوق في مطلع كل صباح ويسألهم بلهجـــة متواضعة : ان كانوا قد استلموا باسمه تحويلا من روسيا .

اخيرا جاء المبلغ .. فرجا زوجته أن تدعه يجرب حظـــه على المائدة الخضراء وقبلت الزوجة .. اذ كانت تدرك جيداً مدى ارتياح زوجها الى هذه التسلية .. واسرع الى الـكازينو لكنه خسر المبلغ بعد ساعات .

رجع الى المنزل مضطربا فطلب الصفح منآنا ساجدا على قدميها .

وعادت اليه نوبات الصرع .

كان يحسب بدقة زمن الهزات العنيفة التي كانت تدفعه الى الارض وتدع لعابه يجري من فمه .. وحسبا سجلها في يومياته : « نوبة عنيفة في السادسة صباحا » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان يعمل في الليل على ضوء الشمعة ، يسود الصفحات تلو الصفحات يكد في عمـله وكأنه أحد المحكومين .. ليسدد اجور الطبيب والقابـــلة .. ويعطي الخباز .. واللحام وصاحب المنزل مايطالبونه به .

ازدادت مصاريف المنزل بعد ان وضعت زوجته طفلة من جديد .

كان دوستويفسكي قد بدأ بتأليف رواية جديدة .. تحت عنوان « المجذوب » فحاول أن ينسى همومه ليتفرغ لها لئلا يفشل .. وكتب حول الموضوع يقول :

« يبدو لي أن الفصل الاول ضعيف .. لكنني لم افقده حتى الان شيئا .. لايوجد في في الكون سوى وجه عجيب واحد هو وجه المسيح .. وفي الادب المسيحي بين الابطال ذوي الوجوه العجيبة يوجد وجه الدون كيشوت .. انـــه عجيب وساخر في آن واحد .. لذلك اخشى الفشل » .

كان بطل المؤلف الذي لايشبه المسيح ولا الدون كيشوت حسب رأيه .. يشبه ملاكا وقع في مدينـــة يكثر فيها اللصوص والمهرجون يقول احد ابطال الرواية الى ثان « ان الذكاء

الرئيسي الذي تملكه انت لايملكه سواك حتى في الاحلام .. لانه يوجد نوعان من الذكاء .. الذكاء الرئيسي والذكاء الثانوي » .

ورواية « المجذوب » تتلخص في هذه العبارات : « غزوات الذكاء الرئيسي في حقل الذكاء الثانوي .. » فالذكاء الرئيسي هو ذكاء العاطفة الذي سبب قلقا نفسيا مخيفا داخل الاجواء الخفية التي جرت فيها حوادث القصة .

في بادىء الامر قوبل الكتاب بالسخرية .. حيث بدا للجمهور كتابا بليدا غبيا مملا .. لكنه فيما بعد أخذ الرجال المفكرون يعتبرونه كتابا قيما ضروريا ان هذا الضعيف المجذوب استطاع بطهره وبراءته ان ينتصر على الاقوياء .. استطاع حب المجذوب ان يرفع النفوس الخاطئة .. لكنه عجز عن اسعادهم فورا .. فكلما حاول ان يتصرف كان يخطىء .. فهو لم يستطع ان يساعدهم فقط .. بل عرض مراكزهم للخطر .. ان مرور هذا الرجل خلف نكبات كبيرة .. الرجل الطيب كليا يفقد صوابه فهو لم يخلق ليعيش في جو القسوة .. جو اخوانه من بني البشر ..

وقوبل كتاب « المجذوب » من قبل الصحافة الروسية بالفتور .. لكن عزيمة « دوستويفسكي » لم تفتر .. وضاعف نشاطه فكتب رواية قصيرة تحت عنوان « مريم الازلية » وتم الاتفاق بينه وبين الناشر على ان يرسل له هذا الاخير سلفة .. وحين تأخر كتب يقول له : « كيف يمكنني ان اكتب .. ؟ اني انحدر الى اسفل .. اغدو في المنزل كالمجنون اقطع شعري ولا استطيع النوم .. افكر بحالتي السيئة البائسة واثور .. واقسم لك اني عاجز عن ان اكتب اليك مفصلا عن حالتي السيئة .. ومع هذا يطلبون مني اعمالا فنية ذات صفاء يطلبون شعرا نقيا فيذكرون لي تورغانيف وغونشاروف ولكن .. لماذا لايلقون نظرة على الظروف التي اكتب فيها ..؟ »

واخيرا جاءت السلفة وغادر المخطوط مدينة « دريست » متوجها الى روسيا والتفت دوستويفسكي نحو مشروع رواية جديدة » .

في الليل بعد ان ينام الجميع كان دوستويفسكي يجلس الى اوراقه وامامه كأس من الشاي ... يخلق حوله عالماً من العمالقة .. ابطال ثوريون على استعداد لأن يدرسوا القواعد الاخلاقية والدينية ويحولوا روسيا الى قرية غير مهذبة .. كان يكتب ويدعو الابطال لان يضربوا .. وينهبوا .. وكان يقودهم في النهاية .. فعاودته نوبات الصرع ..

واخيراً انهى الكتاب .. وحين استلم من الناشر بقية المبلغ حزم امتعته وغادر وزوجته مدينة « دريست » في طريقهم الى « بطرسبرج » وكان آنئذ في الخمسين من عمره وقد اصبح شيخاً قبل الاوان ...

كانت رواياته التي كتبها خارج بلاده قد منحته حق الصدارة بين كتاب روسيا ..

وان اصبح دوستويفسكي الدليـــل الروحي ... فلأن الأمـة الماضية اجازت لمحق التكلم باسم الشعب ... واحيط باعجاب الجميع .

اصدر « مذكرات كاتب » حيث اخذ فيها موقف الرجل الوطني المسيحي الارثوذكسي تجـــاه المشاكل الخطرة في ذاك العصر . . . لم يمنعه عمله العبقري من تأليف الرواية . . . فنشر « المراهق » واعقبها بروايته الخالدة « الاخوة كارامازوف » وكانتـا في اعتقاد دوستويفسكي من أروع رواياته .

في الحقيقـة ان مجانين دوستويفسكي ليسوا مجانين حسابيدون .. انهم فقط مالا نجرؤ أن نكونه .. انهم يفعلون ويقولون مالا نجرؤ ان نقوله وان نفعله .. انهم يظهرون بصورة واضحة ماتخبئه نحن في ظلام نفوسنا .. انهم « نحن مراقبون من الداخل » .

ان سمح دوستويفسكي ووضع احياناً اشارة طبية على مخلوقاته ليبرر تصرفاتهم غير المنطقية فذلك من اجل القارىء المأخوذ بالمنطق .. هذه المخلوقات ليست مريضة لأن ليس لها اجسام . . او بالاحرى ان اجسامها .. كانت افكاراً .

ان تكن مخلوقات دوستويفسكي مخلوقات معتوهة عن حق . . فلأن دوستويفسكي كان معتوهاً . . فاستطاع ان يفهمها ..

النجاح الذي لاقته روايتـه الخالدة « الاخوة كرامازوف(١) » رفعت دوستويفسكي الى القمة .. اعجب به الجمهور ... وآمن به أكثر من ايمانه بمنافسيه تولستوى وتورغانيف..

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي ٨ حزيران عام ١٨٨٠ دعي لأن يقول كلمة في حفلة تأبين بوشكين المئوية التي اقيمت في نادي الاشراف في موسكو . وتكلم دوستويفسكي العبقري فالهب الأكف تصفيقـاً . . . رشقته الفتيات بالزهور وقبلن يديه .. وسقط احد الطلاب مغمياً عليه بين قدمي الكاتب ...

ظن دوستويفسكي انـه في حلم .. كان قد سدد ديونه واخذ يعيش في منزل صحي بجوار زوجة تحبه وترعاه .. وكان لديه آلاف من القراء والمعجبين .. استطاع بصبره الطويل ان ينتصر على القدر .. وكان لم يمض على حلمه الجميل سوى بضعة اشهر حين اصيب بنزيف اودى بحياته .

وفي ٢٨ كانون الاول عام ١٨٨١ حزنت روسيا بأسرها على الرجل الذي ظل سنين طوالا مجهولا .. سار في جنازته امراء .. وكهنة .. وعمال وضباط .. ومتسولون .. ومنحه زملاؤه امام القبر لقب : شهيد .

من هنا بـدأت حياة فيدور دوستويفسكي الحقيقيـة .. بدأت خارج الزمن .. خارج الفضاء في قلوب الذين احبوه .

مجموعات « المعرفة » المجلدة

يسر ادارة مجلة « المعرفة » أن تعلم قراءها واصدقاءها عن وجود كميات محدودة من مجموعات مجلة « المعرفة » منذ صدورها مجلدة - كل أربعة اعداد في مجلد واحد - وادارة المعرفة مستعدة لارسالها لطالبيها بثمن ٢٠ ليرة سورية لمجموعة السنة الواحدة المؤلفة من ثلاثة مجلدات يضاف اليه اجور البريد للخارج ، حسب رغبة صاحب الطلب .

يرجى أن يكتب الى محاسبة مجلة « المعرفة » وزارة الثقافة والارشاد القومي - دمشق - مع ارفاق الطلب بالثمن المذكور مع استعداد المحاسبة لتقديم التعليمات اللازمة بشان التحويل من الخارج والارسال بالبريد العادي أو الجوي وفق الطلب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صدر عن :
وزارة الثقافة والارشاد القومي
تاريخ معرة النعمان
تاليف
محمد سليم الجندي

من كتب :
وزارة الثقافة والارشاد القومي
ادب المغتربين
تأليف
الياس قنصل

الكتاب والموضوعات

- المذهب التعبيري
في الأدب المسرحي
علي عقلة عرسان

- تراثنا الأثري
لمحة عامة
عبد القادر الريحاوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفنون

المذهب التعبيري في الأدب المسرحي



بقلم علي عقلة عرسان

فتح فرويد الطريق أمام المتأملين في النفس البشرية وكشف عن سر خطير من أسرارها وبين ديناميتها التي تجعل منها ذلك الكل المتشابك المتداخل الغريب الذي يحتوي في داخله الفزع والرعب واحط النزعات التي تقاتل وتتحين الفرص للظهور الى حيز الوجود خلسة ومن وراء عين الرقيب الحارس ألا وهو العقل الواعي .

وحينما نشر فرويد نظريته في تحليل الشخصية وكشف عن المكونات الثلاثة : الهو ،الأنا ،الأنا الأعلى ... وبين أن الانسان نظام من الطاقة وان للغريزة الجنسية الدور الأعظم في توجيه الانسان وتسييره . . .

عندما طلع فرويد بنظريته هذه الى الوجود وسعى الى الأدب فاتخذ منه نماذج ليثبت نظريته فاخذ من اسطورة «أوديب» نموذجاً تحليلياً . . .

عندما قل هذا اجتذب اليه أنظار العاملين في الحقل الادبي . وبدأ الكتاب والنقاد يطبقون نظريته في الادب ، ونشأت مدرسة ادبية او مذهب فني يعرف بـ « الفرويدية » وكان كتاب هـذا المذهب يتخذون من التحليل النفسي هدفاً لمسرحياتهم ويفصلون لنظرياته شخصيات معقدة مريضة تلائمهـــا فأتى أدبهم في اغلب الاحيان عابقاً برائحة الجنس ومن أهم هؤلاء الكتاب « برنشتين » الفرنسي «وآرثر شنتزلر » النمسوي « ١٨٦٢ - ١٩٣١ » معاصر فرويد وابن بلده النمسا .

ونتيجة لذلك التفاعل الذي يحدث دائماً بين جميع التيارات الفكرية والعلمية والفلسفية والادبية والفنية في عصر من العصور ، ولتفاعل الاديب والفنان مع تراث الانسانية كله قديمه وحديثه . ظهرت في آثار الكتاب تأثيرات مدرسة فرويد في التحليل النفسي وبدأوا يتشربون هذه المبادىء ويتمثلونها ثم يطبقونها على ادبهم وعلى الشخصيات التي يعالجونها . ونستطيع ان نقسمهم حيال هذا التأثر بفرويد الى فريقين :

١ ـ فريق أخذ التحليل النفسي حسب تعاليم فرويد كاملة ومنح الغريزة الجنسية القدر الاعظم من الاهتمام فخرج انتاجه جنسياً مغرقاً في الجنس ، مثيرا لأحط النزعات الحيوانية في الانسان ومن هؤلاءفيهذا المجال : برنشتين ، وشانتزلر ، ولوفورمان ، وفي مجال القصة هـ . لورنس مؤلف « عشيق الليدي تشاترلي » وجيمس جويس مؤلف « يوليس » . وامتد هذا التيار وتشعب وتحول الى تيارات اخرى نتيجة لتأثر بعض الشبان من الكتاب به وخاصة بعد خروج الاذهان منهكة ، والاجسام مرهقة ، والشعور مهزوزاًمن أهوال الحربين العالميتين . اذ تمرد الحيوان في داخل الانسان ولم يقو العقل على بسط سلطانه فاندلعت نار الشهوةالحيوانية في النفوس وتشوش العقل واصبح التفكير مريضاً وقد لمسنا ذلك جلياً في مذهب اللامعقول كأحدث جنين لذلك الاتجاه .

٢ - فريـــق استفاد من تجربة فرويد بأن عرف اغوار النفس البشرية وا كتشف مجاهل خصبة لم تردها الاقلام بعد ولم تحلق في أجوائها العقبان والنسور فأخذ يستنبط النفس الانسانية ويدرسها ويحللها ليكتسب بها خبرة كبيرة . وعندما عرفها وعرف مقدار ماتنطوي عليه من ضعف ، واجتلى سر تلك المخيلة التي تخلق لنا في داخلنا الجنة والجحيم وترينا العالم بمنظار أسود او وردي او ابيض نتيجة لوقوفنـــا في موقف تواتر الاحداث علينا مما يجعلنا نتضافر مع احداث ماضية اكسبتنا خبرات وتجارب وكمنت آثارها في النفس ولماتزل . وهي هنا بتأثير المنبه الخارجي الذي هو الحدث او الموقف الجديد تأخذ في البروز من زواياها المظلمة وتأخذ في التضخم والتشكل أشكال مخيفة وتبدأ ترعبنا بوسوساتها المهلكة وتزيد بالتعـــاون مع العالم

الخارجي واحداثه من قوة الضغط على الروح البشرية التي تأخذ بالتعري من اثوابها وقدراتها نتيجة تزايد القوة وايلام التجارب واشتداد الموقف الخارجي خطراً وحدة .

عند هذا الحد تقف الروح في العراء مجردة من كل ما يحصنها ويقيها لفح الشمس المحرقة تقف لتواجه مصيرها ووحدتها وعجزها امام قوى الكون العليا او امام قوى الحياة المهلكة او امام القوى الخارجية التي تكون بمجموعها دوماً اقوى من قوة الفرد ، وقادرة على هصره وسحقه ، تقف الروح وقد القت كل سلاح وطرها الأنين اوجردها من كل قوة احتيال على المقاومة ... تقف وقد تساقطت الاقنعة قناعاً اثر الاخر وظهر الوجه الصافي لتلك الروح . . الوجه الذي لاتظهره الا الاحداث الضخمة وتألب المصائب ورنين مطرقة الالم على الاوتار الحساسة في النفس . اكتشف الفريق الثاني هذا الاتجاه او هذا العالم الخصب بتأثير نظرية فرويد وبدأ الكتاب يعنون المسرح والقصة بآثارهم التي يضعها النقد تحت اسم :« انتاج المذهب التعبيري » وكان منهم كتاب مسرحيون أفذاذ كفرانك ودكند ، وسترندبرج ، وفرنك مولينار، وكارل تشابك، وايوجين اونيل كما كان منهم قصاصون ايضاً كفرانز كافكا صاحب « القضية» و« القصر» و « المسخ » وغيرها من القصص العالمي الخالد .

وككل كتاب العصر الحديث تقريباً كان كتاب المذهب التعبيري مدركين لطريقتهم واعين لما يقومون به من عمل خلاق مبتكر يشق طريقة جديدة في التأليف تقوم على التجديد في الشكل مع التعمق في المضمون والطرافة في طريقة المعالجة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكانت لهم فلسفاتهم وآراؤهم في الحياة وتفسيراتهم للطبيعة البشرية ، وعلاقة الانسان بالكون ، وبالله ، وكانوا يصدرون عن عقائدهم التي تكونت نتيجة المعاناة الطويلة للتجارب الخطرة الغنية العميقة التي مرت في حياتهم وكانت في أخصب وأخطر وأرقى فترة من تاريخ البشرية وهي الفترة من ١٨٦٠ الى يومنا هذا .. الفترة التي شهدت انطلاق العالم الحديث والمجتمع الآلي ونظريات التطور والنشوء والارتقاء ، ونظريات التحليل النفسي ، وفلسفة هيجل وماركس وانجلز وشوبنهاور ويسبرز وكروتشه وديوي ووليم جيمس والتي شهدت ايضاً حربين طاحنتين كشفتا للانسان النقاب عن مقدار ضعفه وشقائه وضياعه بين أحضان الآلة والمادة .

وسنعرض لوجهة نظر هؤلاء الكتاب في الحياة والفن عندما نتطرق لهم بالبحث بعد قليل . أما الآن فنريد أن نستعيد هذا الثبت القيم الذي يدرجه الأستاذ دريني خشبه بأهم معالم المذهب التعبيري .. مذهب المستقبل الأدبي المقبل .

يقول الأستاذ دريني خشبه : « أهم سمات المذهب التعبيري اشتمال المسرحية التعبيرية على

شخصية رئيسية واحدة تعاني أزمة روحية أو ذهنية أو نفسية ، على ان نرى البيئة والناس في المسرحية من خلال نظرة تلك الشخصية الرئيسية لها . على ان تكون نظرة متفرسة يترجمها مؤلف المسرحية ويعبر عنها بوسائله المسرحية الرمزية .. وتتألف المسرحية التعبيرية عادة من عدد كبير متتابع من المشاهد والمناظر التي تصور « منازل الطريق » وهي المنازل التي يحط البطل فيها رحاله من حين الى حين في أثناء تجولاته في دنياه الداخلية الخاصة وهو يعاني أزمته النفسية حتى تنتهي تلك المنازل بمصيره المحتوم الذي لامفر له منه . »

والهدف من المسرحية التعبيرية هو تصوير دخيلة النفس الانسانية وتجسيم تجارب العقل الباطن . ولا أدل على زعمنا هذا من قول «أونيل» زعيم التعبيريين : « ينبغي أن يمنحنا المسرح ذلك المنى الذي لم يعد في طاقة الكنيسة أن تمنحنا اياه ، واذا كنا اليوم نفتقد الآلهة والابطال لنصورهم فان لدينا العقل الباطن وهو الأصل في كل الآلهة والأبطال ».

أما وسائل الكاتب التعبيري الى ذلك فمختلفة متعددة . فهو يستغل الحوادث الخارجية اولاً اذ يضع البطل في موقف يثير فيه انفعالاته الداخلية وينتقل بعد ذلك لزيادة الضغط بواسطة تخيلات من داخل البطل تتجسد في شكل أشباح ومخاوف في العالم الخارجي ويلجأ كذلك الى استخدام المؤثرات الصوتية كالطبول أو الأصوات المزعجة أو المثيرة المرعبـــة .. ويستعمل الموسيقى والاضاءة وتعدد المناظر ليساعدنا على فهم الحالات النفسية التي يمر بها البطل ويهدف من الضغط على نفسه الى ان تنكشف مكنوناتها . اذ ان الكاتب يرينا العالم من خلال نظرة بطله اليه وبتلك الكيفية التي يراه عليها البطل .

http://ArchiveBeta.Sakhrit.com

فالبطل يعكس مافي نفسه على العالم ويراه من منظارها ولا يراه رؤية موضوعية مجردة وفي الواقع نحس أن التعبيريين يريدون القول أن ليس هناك رؤية موضوعية **وليس هناك حقيقة معينة للأشياء أو للعالم أو المرئيات فنحن نرى الاشياء ونفسر الاحداث وننظر للامور من خلال نفوسنا المشحونة برغباتنا ومخاوفنا وتجاربنا الخاصة وأفكارنا عن العالم ومن خلال رغباتنا ومصالحنا وعواطفنا بالدرجة الاولى .**

فالشيء الذي أراه اسود قد يراه غيري ابيض والذي أراه خيراً قد يراه غيري شراً وما اراه جميلا قد يراه غاية في القبح وهكذا تتعدد الرؤى بتعدد النظارة اذ لكل روح طريقتها في التعبير عن الاشياء وفي رؤيتها للعالم ذلك التعبير وتلك الرؤيا المنبثقتين عن طبيعة المواقف والحالات النفسية والوجدانية التي تقفها الشخصية او تعانيها من وفي العالم المحيط بها والاشياء في العالم الخارجي مرتبطة برصيد لها من الذكريات في العقل الباطن والعقل الواعي تلك الذكريات الكامنة على شكل تجارب موروثة او مكتسبة في حياة الفرد ومن هنا تتلون الاشياء بلون النفس وان تفوتنا الاشارة هنا الى ان المذهب التعبيري كمذهب في الأدب ظهر

كردة فعل على الطبيعة والواقعية اللتين نقلتا الانسان الى أجواء كريهة مؤلمة واغرقتاه في مادية امتصت روحه وآذت شعوره . ونتيجة لهذا كان طريق التعبيرية دائماً يصعدلانه يريد الارتفاع بالنفس البشرية والسمو بها فوق أدران المادة . وحتى في صراعها ومعاناتها يجعلها تعيش حلماً تصارع فيه قوى جبارة خالدة كقوى القضاء والقدر والقوى الكبرى في الكون .

ومن هنا أتت نزعة أونيل ،نحو احياءالتراجيديا واحياء عصر البطولة والعودة الى اظهار الانسان في مجال صراع مع القوى العلوية مرة أخرى .

ولم يخل المذهب التعبيري من الرمزية فقد استعمل الرمز لأن الرمز يساعد الكاتب في التعبير تلميحاً اذا لم يسعفه التصريح في التعبير والرمز يساعد على تحقيق غرض هذا الكاتب الذي مطمحه السمو والارتفاع الى آفاق يقوى التلميح في توصيلها والايحاء بها وجعلها حية فوارة في نفوسنا اكثر من التصريح .وسنعرض الآن لكاتبين من كتاب المذهب التعبيري محاولين التماس آثار المذهب في فنها وهما (ايوجين اونيل) و (كارل تشابك) . وسنأخذ للأول مسرحية **الامبراطور جونز** وللثاني مسرحية **الأم** .ولا يسعنا الانتقال الى اي منها دون ان نشير الى مسرحية أعدها عن قصة فرانز كافكا « **القضية** » اندريه جيدوجان لويس بارو تحمل نفس العنوان لأنها تمثل المذهب التعبيري خير تمثيل . فنرى فيها البطل المجهول الذي يرمز لأي انسان واسمه (ك) يبحث حائراً عن سبب الاتهام الذي وجه اليه ومن هو المدعي ؟

وقد ابتدأ الحادث مع هذا الانسان « ك » ابتداء سهلا بسيطاً عادياً اذ دخل الى غرفته مفتشان وعريف وابلغاه انه رهن التحقيق واخذ البطل يهيم سائلا مستشيرا الناس طالباً بعض الايضاحات عن هذه القضية المجهولة يسأل عن المحامين والقضاة ويفتش ايضاً عن دور القضاء ليعلم ماهي تهمته ولكن عبثاً يفعل فالكل يجهل ماهي التهمة ويعرف في نفس الوقت أن «ك» موقوف وان القضية مهمة وعليه ان يجهد في البحث عن حل وعليه ان يعترف بجريمته ! وبدأت تثور في نفسه الانفعالات والاخيلة وتغرقه في عالم من القلق والهم والكآبة وبدأ العالم يظلم في عينيه والازمة تزداد والقلق يتزايد والاستشارات لاتجدي نفعاً وتنقلاته بين جيرانه وعمه والمحامين والغسالة التي لها صلة بالقاضي والمصور الذي يرسم القضاة والناس الذين لهم صلة من قريب او بعيد بهؤلاء السادة لم تفد هي الاخرى ايضاً . واخيرا اصبح « ك » في حالة من البؤس والكآبة والضياع يرثى لها ... اذ ان كل المسؤولين عن القضية في الارض هم مسؤولون لا اهميـــة لهم ويستحيل مواجهة القاضي الأعلى صاحب الامر والنهي . ويمثل « ك » في المحكمة اخيرا ويصدر عليه الحكم دون ان يعرف ماهي التهمة ... ويسحب الناس والقضاة والقس من حوله ويسلمونه الى القبل الحالك وسكين الجزار التي طعنه بها الجلاد في عرض الطريق تنفيذ الأوامر التي يجهل مصدرها .

وفي المسرحية نفس الضياع الذي يعيشه « ك » وتلك الغربة والحيرة والحزن ونحس بازدياد الازمة والضغط على روحه حتى بدأت تتعرى وتكشف عن ضعفها واستسلامها حتى لاقت حتفها .

والمسرحية في جوهرها تهدف الى تصوير موقف الانسان الذي اتى الى هذا العالم وهو يعلم انه محكوم عليه بالموت وان خطيئة آدم تلاحقه وعليه ان يعترف بأنه مذنب .. فهو يناضل ويبحث ويتوسط ليعرف لماذا ؟ وبماذا هو متهم فلا يأتيه الجواب ... ولماذا هو محكوم عليه بالموت .. بل لماذا أتى ؟ كل هذه الاسئلة لاجواب عليها الا من سكين الجلاد حين ينتهي اجل ابن آدم على الارض . ومجال الصراع هنا كان مع القوى العليا وهذه بعض مميزات المذهب التعبيري وفي المسرحية مناظر متعددة وشخصية رئيسية واستغلال للاضاءة والمناظر والظلال بشكل يؤثر على نفس البطل ويشعر الجمهور بضياعه وحيرته وبقوة الحصار المفروض عليه ...

الاسماء رموز والشخصيات تمثل العالم بأناسه : «ك» والمحامي والفتاة والمصور والقاضي .. هذه هي الشخصيات التي تمر في المسرحية اثناء بحث « ك » المؤلم عن التهمة الموجهة له والعون الذي يخلصه من مأزقه . وبعد فلنتابع ماقررنا عرضه على بساط البحث ولنبدأ بالكاتب الامريكي الفذ مرسي دعائم الادب المسرحي الامريكي :

ايوجين اونيل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولد اونيل في أكتوبر ١٨٨٨ لأب ممثل يلعب هملت وماكبث وغيرها من شخصيات شكسبير وأم ممثلة كذلك وكان أبوه يجوب البلاد الامريكية متنقلا من شرقها الى غربها على عربات ، يوم كان المسرح متنقلا هناك في امريكا . وكأنما ورث الطفل جوب البلاد عن ابويه اذ قضى معظم حياته متنقلا من بلد الى بلد . درس الملاحة وحصل على شهادتها وطاف البحار على ظهر زورق نروجي ودخل في عام ١٩١٤ معهد «بيكر» لدراسة الادب الانجليزي والدراما . وقد اكتشف ميوله المسرحية وصمم على الكتابة للمسرح . وكان لمرض اصابه فضل اطلاق الشرارة الاولى في ذهنه العبقري وبدأ منذ ذلك الحين يصدر مسرحياته التي بلغت ثلاثين مسرحية نال على اساسها ثلاث جوائز بوليتزر . كانت الأولى عام ١٩٢٠ على مسرحيته « ماوراء الافق » ثم حصل على جائزة نوبل عام ١٩٣٦ . وخدم المسرح الامريكي واحتل مكانة مرموقة بين كتاب المسرح هناك واصبح لامريكا ادبها المسرحي بعد ان كان الادب المسرحي مستورداً من فرنسا وانجلترا . وترجم انتاجه الى معظم لغات العالم ومنح درجة الدكتوراه في الآداب من جامعة «ييل» .

وتنهض فلسفة اونيل على ايمانه بان الانسان حر في الاختيار وانه يستطيع ان يتحكم في مصيره وان شر البلاء الذي يصيب النفس وأساس مصائبها لايأتيها من الخارج فا الخارج

الا مثير بالنسبة لها ، فكل الهلع والرعب وما يسبب عدم التوافق وعدم الارتباط بالمجتمع ومايؤدي في النهاية الى الرؤية السوداء والتفسير المغلوط للعالم شر كل البلاء ذاك كامن في النفس في العقل الباطن .. في الشخصية ذاتها .. في عجز الانسان عن انيكون كل شيء وانيكون ثقة في حد ذاته .

والصراع في مسرح اونيل ليس صراعاً بين الانسان والقدر ولا بين الانسان والمجتمع وانما هو صراع بين الانسان ونفسه والموقف التراجيدي بالتالي ينشب داخل النفس البشرية وقد يتبلور هذا الصراع في ظروف خارجية ولكنه يبقى في اساسه صراعا نفسياً .

ومظاهر العقل الباطن هي القدر بالنسبة لاونيل والصراع هو صراع الوعي ضد اللاوعي .. والصراع بين الوعي واللاوعي ليس هو بالحقيقة الا الصراع بين الصورة الوهمية للذات والصورة الحقيقية .

وخير مايمثل هذا عند اونيل مسرحية **القرد الكثيف الشعر** في بطلها يانك الذي يقول عنه اونيل : « ان القرد الكثيف الشعر انما هو رمز للانسان الذي فقد الشعور بالانتماء الذي كان يتمتع به قديما كحيوان والذي لم يستطع بعد ان يكتسبه على مستوى روحي وهكذا يجد الانسان نفسه يقف في الوسط بين الارض والسماء مفتقداً لهذا الشعور بالانتماء وهو يحاول ان يستعيد السلام ويتلقى طيلة محاولته ضربات من كل من الارض والسماء » .

ومسرحية القرد الكثيف الشعر نستطيع تلخيصها ببساطة قبل الانتقال الى الامبراطور جونز. فهي تدور حول مأساة الوقاد « يانك » الذي كان يعمل في احد افران الحديد والصلب بكل ايمان وثقة بنفسه . يستمد ايمانه ذاك من جسمه القوي المكسو بالشعر الكثيف وكان الحادث الذي اوقع يانك في أزمة هو دخول ملدرد ابنة رئيس اتحاد مصانع الحديد والصلب الى الفرن لترى تجربة عملية . وعندمارأته في ثورة من ثوراته اغمي عليها وصرخت قبل ان تفقد وعيها .. ابعدوا هذا القرد الكثيف الشعر عني .

ومنذ ذلك الحين بدأ يانك ينتبه لنفسه ويراقب ذاته ويحاول ان يمتحن صلته بالناس فبدأ بالاعتداء على الارستقراطيين لينتقم للاهانة التي لحقت به من ملدرد وبدأ يشعر بعدم ارتباطه بالناس ، وبدأ يشك بنفسه وبقدرته الروحية ، وبثقته بعد ان كان الثقة مجسمة . . واستمر يلاحق نفسه حتى فقد مقوماته كانسان ووقف مع القرود في حديقة الحيوان جسما قوياً بلا قيم روحيه ولاسمو وكانت كل المصيبة التي وقعت فوق رأسه نابعة من ذاته فهو كان عدو نفسه وصراعه كان مع بذور عدم الثقة الكامنة في نفسه واخيرا تحطم وفقد انتماءه للعالم . . . واصبح الصلب الذي كان يعتز في بدء المسرحية بانه صانعه اصبح ذاك الصلب سجنه وعدوه وقفصاً لجسمه . . جسم القرد الكثيف الشعر .

وفي هذه المرحبة يتجسد صراع الانسان مع نفسه ، مع ماضيه ومع محاولته للانتماء .

وفي المسرحية نجد معالم المذهب التعبيري جلية واضحة . البطل واحد ، الحـــادث الخارجي الذي أثار الصراع داخل نفس البطل : دخول ملدرد ومو قفها من بانك . . تطور الاحداث في نفس البطل ورؤيته للعالم وعلاقته بالناس من خلال الصراعات والحالات النفسية في داخله .. نهايته الاليمة بعد ان تجردت روحه من كل سلاح وعجزت عن التلاؤم .

الامبراطور جونز :

تبدأ مسرحية الامبراطور جونز ليوجين اونيل بمشهد واقعي عادي كسائر مسرحيات المذهب الطبيعي او الواقعي ولكن من نقطة يكون فيها البطل قد امتلأت حياته بالاعمـــال والمشاكل التي تفزعه ولايريد مواجهتها او استطاع ان يخفيها .

فالامبراطور جونز كان قبل وفوده على الجزيرة التي اصبح امبراطورا عليها كان في نيويورك وقد قام هناك بأعمال كثيرة مرعبة فقتل شخصا اثناء اللعب هو « جب » وفي السجن حاول ان يقتل الحارس وتشاجر كثيرا وفر هاربا ومازال مطارداً . . وقد لجأ الى هـــذه الجزيرة النائية واستغل جهل الزنوج وسذاجتهم واخترع بسيطرة على عقولهم اسطورة كتلك التي يؤمنون بها وهي انه لا يقتل الا برصاصة فضية وانه يملك هذه الرصاصة وهو وحده القادر على ان يقتل نفسه عندما يحين الوقت . وكان يروي على الزنوج كيف كان يقتل البيض في نيويورك . ومنذ تلك اللحظة بدأ الزنوج يقدسونه ويخشونه ويخافون سطوته وأمن هو شر الاعداء وبدأ يبتز مالهم ويجمع على ظهورهم الثروة التي يريد ليهرب عندما يحصل على المبلغ الكافي الى بلد ما حيث يعيش هناك على هواه . فيأمن شر المطاردة التي يقوم بها رجـــال الشرطة له في نيويورك ويعيش منعماً ..

ARCHIVE

وعندما تفتح الستارة عن اول مشهد من مشاهد المسرحية نرى منظراً واقعياً هو قصر الامبراطور جونز وفيه كرسي العرش ومن خلف القصر تلوح اعالي الاشجار وقمم التلال . ويظهر اول مايظهر سميزرز وهو رجل ابيض وفد على الجزيرة وبدأ بالتعاون مع جونز يستغل الزنوج ويجمع ثروة هو الآخر . وكان جونز يتغاضى كثيراً عن سوءاته ويساعده في تنفيذ اغراضه.

وترى سميزرز وهو يمسك بزنجية عجوز كانت آخر من رحل هرباً الى الغابة من حكم جونز وتعسفه ويعرف سميزرز منها ان الزنوج هربوا وسيعلنون الثورة على جونز وتظهر في هذا المشهد حقيقة المشاعر التي يكنها سميزرز لجونز والعلاقة التي تربطه به . فسميزرز يريد لجونز الهلاك لينفرد هو باستغلال الزنوج وسيتعاون معهم على البحث عن جونز لقتله والاستيلاء على ثروته فيما بعد ...

وعندما يعرف سميزرز حقيقة قرار الزنوج يظهر فرحه وتهلله ويترك المرأة .. وتبدأ

سخريته بجونز بأن يطلق صفرة حادة توقظ جونز من النوم ويخرج الاخير ثائراً مهدداً من يصفر ولكن سميزرزيقول له : انا الذي اصفر وليس الزنوج ، وبعد حديث بين الاثنين نتبين فيه ان كلا منهما يعرف الآخر حق المعرفة ويمثل معه دور الطيب المسامح او بالاحرى يمثلان دور المتفاهمين المتفقين .

جونز يحاول ان يظهر بمظهر المتزن الهادىء المسيطر القوي . وسميزرز يداهنه ويسخر به . ويطلعه اخيرا على حقيقة فرار الزنوج وعندما يتأكد جونز من الامر يقرر الفرار هو الآخر لينجو بنفسه . فما عليه الا ان يجتاز الغابة الى شاطىء النهر وهناك يتلقفه زورق فرنسي يحمله الى جزر المارتنيك ومنها يذهب حيث يشاء ، وسيأخذ معه ثروته التي يحتفظ بها في مكان امين بالغابة وعندما يذكره سميزرز بالزنوج يشير جونز الى مسدسه الذي يحوي بضع رصاصات والرصاصة الفضية وانه سيتخذ منها وسيلة يخوفهم بها اذا استطاعوا اللحاق به .

وهنا يبدأ قرع الطبول في الغابة يزداد ارتفاعاً وعندما يتساءل جونز عن هذا الصوت يقول له سميزرز ان الزنوج يحتفلون ويرقصون ليقدموه ضحية بعد ذلك ويظهر جونز عدم الاهتمام ويخرج ليجتاز الغابة الى النهر ويذكره سميزرز بأنه سيصادفه كثير من الاشباح وسيزداد الظلام في الغابة وربما تاه فيها جونز ولم يعرف الطريق ولكن جونز يقول له : انني اعرف الطريق ولن أخاف من شيء ولا وجود للاشباح الا في عقول الاطفال والسذج وهؤلاء الزنوج . ويخبره انه تعلم في الكنيسة المعمدانية ذلك . وينسحب جونز ليجتاز الغابة . اما سميزرز فيذهب الى الزنوج ليحثهم على اللحاق بجونز قبل ان ينجو بنفسه وبالمال الذي معه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما جونز فيدخل الغابة وبه من القلق ما به ويلاحقه الخوف من الخارج وفي نفسه مكمن الرعب . فيضل الطريق في الغابة وتبدأ المخاوف والاشباح تظهر له ويساعد في التأثير عليه تداخل الظلال في الغابة ومناظر اعجاز الاشجار والاشباح التي تتوارد عليه بصور مختلفة . وهو في اوائل جولته يبحث عن صندوق امواله فلا يجده ويسير بعد ذلك متخبطا يسمع قرع الطبول يزداد اقترابا فيزداد هلعاً وجرياً ، وتظهر امامه الاشباح فيطلق عليها الرصاص . . . وتتوالى عليه المشاهد المرعبة والجرائم التي مرت في حياته السابقة . فيظهر له شبح الزنجي «جيف» الذي قتله اثناء اللعب . ثم يظهر له الحارس الذي كان يشرف على المساجين وهو منهم والذي حاول الاعتداء عليه . ويرمي كل منها برصاصة فيختفيان . ثم يرى بعد ذلك مشهداً من مشاهد بيع الرقيق يساوم عليه المزارعون وعندما يشتريه احد المزارعين يطلق مسدسه على السمسار والشاري وتختفي الاشباح ثم يظهر في منظر آخر من الغابة مجموعة من الزنوج يرتدون جلود سود ويبدأون بالتحرك على شكل كورس وهم جالسون الى الامام والوراء ثم يعلو نحيبهم وعويلهم ويزداد قرع الطبول ويشارك جونز جماعة الزنوج الحركة ثم يفر هارباً جزعاً من الغابة ويبلغ

حافة النهر فيظهر امامه ساحر زنجي من الهنود الحمر ويقوم حوله برقص ثم يخرج له بقوة سحره تمساحاً من حافة النهر فيخاف جونز كثيرا ويطلق على نفسه الرصاصة الفضية الاخيرة . ويرتمي جونز على الارض ويخفق قلبه هلعاً مع ازدياد قرع الطبول وتزداد حالته سوءاً لحظة بعد لحظة .

وبعد فهذا هو جونز وقد تعرى من ملابسه وتورمت قدماه وازداد تعبه واحساسه بالجوع بل وارتمى أمامنا وقد دنا منه الموت .. ونرى في المنظر الثامن والاخير من المسرحية سميزرز ومعه ليم عدو جونز وقائد الزنوج .. وجماعة من الزنوج مسلحين يدخلون ويفتشون بحثاً عن جونز ونرى سميزرز غاضباً على ليم لأنه لم يسرع في البحث فان جونز وصل النهر وهو لا بد قد ركب زورقاً وهرب ولكن ليم يقول له سنجده حتما لقد قضينا الليل في صنع رصاص فضي حتى نستطيع القضاء عليه ولا يلبث الجنود ان يجدوا خراطيش فضية فيوقن ليم أن جونز لامحالة قتيل ويقول ذلك بنبأه لسميزرز ،وماهي الا برهة حتى يخرج الجنود من الغابة وهم يحملون جثة جونز فيرفعه ليم بسخرية وانتصار وهو يقول : « حسناً لقد فعلوا من أجلك الكثير ياجونز ... انت الآن ميت كسمكة ... أين عظمتك ؟ أين عظمتك ؟ واين قوتك ياصاحب الجلالة ؟ واين « خراطيشك » الفضية ؟ وتنزل الستارة على مأساة جونز المسكين بعد أن رأيناه وقد قهرت روحه وعجزت عن حمل ماناءت به من أثقال الجرائم التي ارتكبها ، وبعد ان هده الرعب الكامن في داخله واجبره على رؤية العالم وكأنه أشباح وعيون مخيفة تحدق به وتريد الانتقام منه .. لقد تعرت روح جونز كما تعرى جسده .. وما كان ليعريه أمامنا بتلك الصورة الا الخوف الكامن في روحه وعجزها التام عن مواجهة ماضيها المؤلم.

http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهكذا ترتسم وتتضح هنا معالم فلسفة أونيل الذي يقول عن نفسه ، وقوله هذا يوضح طريقته وينطبق على مسرحيته هذه وسائر مسرحياته ، يقول أونيل « ان الكتاب يصورون في قصصهم علاقة الانسان بالانسان داخل نطاق المجتمع .. أما أنا فأميل الى دراسة علاقة الانسان بالخالق وعلاقة الانسان بنفسه وهذه الدراسة تقتضي رفع الأقنعة او في الأشارة اليها فان علاقة الانسان بالانسان في نطاق المجتمع تتطلب اقنعة تحجب مالا يتفق وأوضاع هذا المجتمع .. بعكس العلاقة الواضحة العارية بين الانسان وربه ، أو بينه وبين نفسه . »

وقد رأينا جونز مع نفسه وقد بدأ يتجرد مع اقنعته .. وطريقة اونيل تقوم على ايجاد الصراع في داخل نفس البطل ويقوم الصراع عادة بين الوعي واللاوعي وهنا يستخدم أونيل كل امكانيات المذهب التعبيري وتظهر مميزاته بجلاء اذ يتلون العالم حسب رؤية البطل له ومارؤية البطل الا نتيجة ما ترسب في نفسه من احداث ومخاوف ورغائب ومطامع . أي نتيجة اندلاق ألوان العقل الباطن على العالم الخارجي حين تنتصر الشهوات المكبوتة لحظة او لحظات على العقل الواعي وتلون العالم بلونها .

ويخرج أونيل من هذا بصورة واضحة للانسان على حقيقته مجرداً من الأقنعة واضحاً أمامنا كما هو امام نفسه .

وقد لاحظنا هنا معالم المذهب التعبيري التيسبق وحددناها . فالبطل واحد هو جونز.. والاحداث بدأت من مشهد واقعي في القصر ولكن الظهارة الخلفية لها هي الحوادث التي قام بها جونز قبل وصوله الى الجزيرة ... وتعاونت المناظر والاضواء والمؤثرات الصوتية والاشباح والمخاوف والتخيلات والسحر والاسطورة والخرافة على خلق الجو الذي بدأت تتعرى فيه روح جونز من أقنعتها وتظهر على حقيقتها عاجزة بمساعدة تلك المؤثرات الخارجية وتفاعلها او ملامستها لأوتار مستجيبة حساسة فائقة الاستجابة في نفس جونز المليئة بالرعب وعقله الباطن الذي تعشش فيه مخاوف كبرى. وهكذا ترانا امام صورة جلية واضحة المعالم من صور المذهب التعبيري بفن أونيل الذي يقوم على الناحية السيكولوجية « النفسية » التحليلية وعلى الصراع القائم في نفس البطل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تراثنا الأثري

لمحة عامة بقلم : عبد القادر ريحاوي



تمثال من الألف الثالث قبل الميلاد يمثل ملك مدينة (ماري) عاصمة دولة العموريين على الفرات الاوسط . وهو من مادة الألباتر الشبيهة بالرخام .

جادت الارض السورية خلال السنوات العشر الاخيرة بفيض من الثروات الاثرية الدفينة ، وأخذت انباء الاكتشافات طريقهـا الى العالم الخارجي ، لتبني لسورية شهرة ومكانة ممتازة .

وأقبل العلماء من كل مكان ليسهموا في اعمال التنقيب بحثاً عن المعرفة وطلباً للمزيد من اخبار الماضي . هـذا بالرغم من ان القوانين السورية تكاد لاتبيح لهم الحصول على أية قطعة اثرية . والمواطن السوري نفسه أخذ يصغي بشغف الى انباء هذه الاكتشافات ، ولم يعـد يقف من آثار بلاده موقف المتفرج ، بل راح يطلب المزيد من الايضاحات عن تراثه الاثري .

ولقد استحوذت الآثار منذ القديم على اهتمام الناس. ولكن هذا الاهتمام كان مقصوراً على اقتنائها طرفاً ونفائس، والتوق الى زيارتها اوابد ومنشآت. لما فيها جميعاً من طرافة وفن اصيل يختلف عن الفنون السائدة في عصرهم.

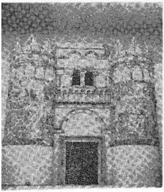
ولم يكن العرب أقل احتفاء بها وتقديراً لأهميتها. ويعبر عن موقفهم منها ما كتبه الرحالة البغدادي من اهل القرن السادس الهجري في كتابه ـ الافادة والاعتبار ـ قال: « وما زالت الملوك تراعي بقاء هذه الآثار وتمنع من العبث فيها والعبث بها، وان كانوا اعداء لاربابها، وكانوا يفعلون ذلك لمصالح: منها لتبقى تاريخاً يتنبه به على الأحقاب ...، ومنها أنها تدل على شيء من احوال من سلف وسيرتهم وتوافر علومهم وصفاء فكرهم وغير ذلك، وهذا كله مما تشتاق النفس الى معرفته وتؤثر الاطلاع عليه ».

ثم كان الاتجاه الحديث الرامي الى اعتبار الآثار مادة للبحث العلمي، حين جد العلماء في القرن الثامن عشر، في السعي وراء هذه المادة، وأخذت الدراسات العلمية بالظهور، ونشطت حركة التنقيب والاستكشاف. وهكذا نشأ علم جديد على درجة من الاهمية، انضم الى زمرة العلوم الانسانية. وبدأ في اول الأمر فرعاً من فروع التاريخ او الفن ثم اصبح علماً قائماً بذاته، فاتسع وتعددت فروعه واختصاصاته وأصبح يدرّس في أكثر جامعات العالم.

وبالرغم من أن بلادنا خصبة بالمادة الاولية لهذا العلم، فقد ظللنا حتى سنوات قلائل لا نعرف عنه شيئاً، ثم تكون وعي قومي يرمي الى الحفاظ على التراث الأثري واحلاله المكان اللائق به، وبدت تباشير الثقافة الاثرية تظهر على درجات متفاوتة بين فئات الجيل المثقف. وأرسلت الدولة عدداً من شبابها الى ديار الغرب للتخصص بمادة هذا العلم ليسهم فيه العالم العربي مع علماء الغرب، كما فعل بالنسبة للعلوم الأخرى. أما غرض هذا العلم الجديد فهو الكشف عن مخلفات الانسان القديمة من نصوص مكتوبة وأدوات مصنوعة ومنشآت وفنون مختلفة، والتوصل عن طريقها الى معرفة سائر أوجه النشاط التي مارسها الانسان منذ أن ظهر على الارض. ويتبع ذلك القيام بأنواع من الدراسات والتحاليل، لفك

ARCHIVE

رموز المكتشفات واستقرائها ، واستخراج المعلومات منها. ثم يأتي دور العمل على حفظ هذه المكتشفات وعرضها على الجمهور ، بعد معالجتها وترميمها ، وتهيئة الصيانة اللازمة لها، ضد الاعراض الجوية والاخطار الأخرى .


قصر الحير الغربي — من العهد الأموي

وبفضل هذه البحوث الأثرية التي شملت جميع نواحي العالم القديم ، أمكن كشف النقاب عن كثير من تفاصيل الحياة : التي عاشتها البشرية خلال آلاف السنين ، وفي مختلف بقاع الارض .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقبل قيام علم الآثار ، لم نكن نعرف عن تاريخ البشرية ، الموغل في القدم وعن الحضارات التي صنعها القدماء سوى نذر قليل من المعلومات المشوهة احياناً ، المشوبة بالاساطير أحياناً أخرى ، انتقلت الينا من ثلاثة مصادر رئيسية هي التوراة وكتب اليونان والرومان .

أما الآن ، وبعد مضي اكثر من قرن على نشوء علم الآثار وبفضل آلاف البحوث التي وضعها علماؤه ، فقد اتسعت الحقبة التاريخية لماضي البشرية من بضع مئات من السنين قبل الميلاد الى بضعة آلاف تتراوح بين الثلاثين والخمسين واصبحنا نعرف الشيء الكثير عن حياة الانسان الأول وتطورها ، وعن افكار تلك الاقوام الذين تقدمونا على مر الاجيال ، ونعرف الكثير عن عقائدهم ومدى تقدمهم في ميادين العلم والصناعة والأدب الفن .

وهكذا اتسع افق الثقافة الانسانية ، وأصبح لا غنى لهذه الثقافة عن علم الآثار ليمدها بالمزيد من المعرفة ، ذلك لأن كثيراً من نواحي حياتنا الحاضرة وكل ما يقع تحت أبصارنا من مظاهر المدنية انما هو على صلة وثيقة بالماضي الغابر ، بل هو حصيلة خبرات طويلة وصلت الينا عبر القرون . وان حضارة القرن العشرين لم تبلغ ما بلغت من رقي لولا اعتمادها على التراث الحضاري المتراكم .

وافادت البحوث الاثرية الى حد كبير علم التاريخ ، فسدت ما كان فيه من ثغرات ، وأزالت ما علق بـه من شوائب ، وصححت الكثير من الأخطاء الشائعة . وبينما كانت كتب التاريخ ، تروي لنا قصة البشرية في سلسلة من الحروب وسير الملوك ، إذا بعلم الآثار يعرض علينا الماضي من نواحيه الاجتماعية والانسانية ، ويسلط الأضواء على زوايا الحياة اليومية للمجتمعات والأفراد .

وفضلاً عن ذلك فان المعلومات التي يتوصل اليها علم الآثار تبقى بعيدة عن التأثر بالهوى من الروايات التاريخية ، لأنها تعتمد اعتماداً كلياً على الأدلة المحسوسة .

هذا من الناحية العلمية ، اما من الناحية القومية فالآثار تراث قومي يدعو للفخر والاعتزاز ، لكونها شواهد ملموسة على فعالية الأجداد ومدى تقدمهم في ميادين العلم والفن والصناعة والعمارة .

وقد أكسبنا هذا التراث شهرة عالمية وجعل امتنا تحتل مكاناً مرموقاً بين الأمم العريقة في مدنيتها وحضارتها ، وأبرز النصيب الوافر الذى اسهمت به في رقي البشرية وتقدمها . ويكفي ان نـذكر مثلاً على ذلك الأبجدية التي ابتكرها السوريون القدماء منذ ثلاثة آلاف وخمسماية عام وثبت للعلماء انها الأصل لأكثر أبجديات لغات الشرق والغرب . لقد سهلت هذه الابجدية على الناس سبيل الكتابة ونشر الثقافة ، فكانت حدثاً فكرياً قفز بالحضارة البشرية أشواطاً في طريق التقدم والازدهار .

ولم يقبل العالم هذه الحقيقة التاريخية الا بعد أن عثر الأثريون في أطلال مدينة أوغاريت الواقعة بالقرب من اللاذقية على الرقيم الفخاري المشهور – وكانوا في ذلك العصر يكتبون على الواح من الطين ثم يضعونها داخل الأفران لتكتسب صلابة تبقى آلاف السنين – وضم هـــذا الرقيم ثلاثين حرفاً لأبجدية شبيهة بأبجديتنا العربية من حيث بنائها .

المادة الأثرية من ناحيـــة ثالثة ، ثروة سياحية هامة . فهي العنصر الرئيسي فيهـا ، تجتذب السائح وتدفعـــه للارتحال وزيارة البلدان ، وتحقق ميله الى البحث عن الطرائف والمرئيات الجديدة . ولا يخفى ما تدره السياحة الدولية من موارد تشد أزر الدخل القومي ، وقد تشكل فيه لدى بعض البلدان السياحية رقماً رئيسياً .

واستفادت الفنون الحديثة الى حد كبير من الآثار القديمة وراحت تنهل منها وتستوحي وتقتبس . وبدا ذلك واضحاً في انتاج مصممي الأزياء وصانعي التحف ومواد الزينة والزخرفة ، وصار هذا الانتاج يقدم الينا في ثوب جديد مبتكر .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

ولا يخفى دور الآثار في صناعة السينما ايضاً فالافلام التاريخية غدت اكثر الافلام رواجاً واجتذاباً لاذواق العامة والخاصة ، ولابد لاخراج هذا النوع من الأفلام من الاعتماد كلياً على التراث الاثري العالمي .

كل ذلك لأن الانسان يميل بطبعه الى القديم تماماً كما يستهويه الحديث وكم من عادات وتقاليد ومؤسسات اجتماعية موغلة في القدم ما تزال تعيش بين ظهرانينا ، فان نحن تخلينا عنها استهوانا الاصغاء اليها او العودة الى احيائهـا من حين لآخر . فليس هناك اذاً انقطاع بين القديم والحديث .

بعد هذه المقدمة التي اوضحت فيها قيمة التراث الأثري بشكل عام انتقل الى الحديث عن تراثنا السوري .

تتوسط سورية منطقة الشرق الأدنى الممتدة بين الدجلة والنيل موطن اقدم الحضارات وأرقاها لكونها تتمتع بالموقع الجغرافي الممتاز بين القارات وتتوفر فيها الأراضي الخصبة والاقليم الملائم والطاقات البشرية ، ولذلك فهي اليوم تطفح بمخلفات هذه الحضارات . لا يكاد يخلو شبر من الأرض منها ، بعضها ظاهر على سطح الارض اطلالاًوأوابد ، والبعض غارق فيها اومتراكم على هيئة تلال وخرائب.

وتتميز هـــذه المخلفات الحضارية في سورية بوفرتها وتنوع عناصرها وامتدادها على مدى العصور وتمثيلها لعديد من الحضارات.

فنحن نمتلك ثروة هائلة من الأوابد منتشرة في طول البلاد وعرضها . بينها القصور والقلاع والمعابد والأسوار والحمامات والمدارس والخانات والاسواق والمسارح والجسور والمدافن وغير ذلك من المنشآت العمرانية . وما عشرات التلال الاثرية التي نشاهدها هنا وهناك وخاصة في اراضي الجزيرة سوى مدن قديمة أيضاً انطفأت فيها شعلة الحياة منذ آلاف السنين لسبب من الاسباب ، كحدوث زلزال أو حريق او غزوة مجتاح او غير ذلك من الحادثات ، وما يزال اغلب هذه التلال يطوي سره تحت التراب منتظراً معاول العلماء ليكشفوا عنه ويذيعوا انباءه على العالم الحديث .



أبجدية رأس شمرا (أوغاريت) الفينيقية

ثم هناك التحف التي تضمها المتاحف وفيها مجموعات النقود الثمينة ، وفيها الاعمال الفنية من تماثيل وصور ونقوش وفيها المخطوطات وكل ماصنعه الانسان السوري في الماضي من ادوات وما ابتكره من فنون .

وتعتبر هذه المجموعات كنوزاً لاتقدر بثمن ، لا لكونها من الذهب أو الفضة بل لما لها من قيم علمية وفنية . يشاهدها الانسان فيتصور نوع الحياة التي كان يحياها الأجداد في مختلف مظاهرها والتطور الذي سلكوه خلال العصور لتأمين وسائل عيشهم وراحتهم والتعبير عن افكارهم ومعتقداتهم وميولهم .

وهذه الآثار المتحفية ، إما مقتنيات تناقلتها الايدي من جيل الى جيل ، او ُلقى يعثر عليها الناس صدفــة من حين لآخر . او مكتشفات يخرجها المنقبون والعلماء الباحثون عن التاريخ من بين الانقاض والخرائب . ولقد فرط العهـد العثماني والاستعمار الفرنسي بجانب من هذا التراث فتسرب الى اوربا وأمريكا ليغدو مفخرة متاحفها . ومع هذا فما تزال في سورية ثروة هائلة منه تزداد يوماً بعد يوم ، وهي كافية لأن تملأ عدداً كبيراً من المتاحف السورية التي لايوجـد منها اليوم سوى متحفين كبيرين احدهما في دمشق والآخر في حلب . وثلاثة متاحف صغيرة احدثت مؤخراً في تدمر وحماة وطرطوس . والدولة راغبة في زيادة هذا العدد ليكون لكل مدينة متحفها الخاص .

أما الميزة الثانية لتراثنا الاثري فهي كما ذكرت في كونه يمثل عدداً من الحضارات والمـدنيات ، تؤلف حلقات في سلسلة التطور البشري انتظمت خلال ستة آلاف عام . أي منذ أن أوشك العصر الحجري الطويل على الانتهاء وبدت طلائع الانسان الكاتب والمؤرخ وحتى بداية عصرنا هذا .

ويجدر أن نلاحظ هنا بان انسان الشرق كان اسرع الى التطور ومعرفـة

الكتابة التي هي أداة التمدن والرقي من زميله الأوربي ، الذي لم يعرف الكتابة الا في اوائل الألف الاول قبل الميلاد ، بينما استخدم سكان بلادنا الكتابة منذ الألف الرابع قبل الميلاد . وأقاموا حضارات حقيقية في مطلع الألف الثالث ، اشتهرت من بينها حضارة الاكاديين والبابليين والآموريين في الشرق وحضارة الكنعانيين في الغرب .

وفي الألف الثـــاني بلغ سكان الساحل الذين سماهم الاغريق بالفينيقيين أوج الحضارة وأسسوا المدن المزدهرة التي عرفنامنها اوغاريت وعمريت وارواد وجبيل وبيروت وصيدا وصور ، وكان لهم نشاط تجاري ملموس فيما وراء البحار وعلاقات سياسية واقتصادية مع العالم القديم ، وخاصة مع اليونان ومصر . وقد سجل لهم التاريخ مبتكرات في طليعتها الابجدية التي تحدثنا عنها .

وفي نفس الوقت أخذ الحثيون ينحدرون من جبال طوروس واحتلوا النصف الشمالي من سورية مدة الف عام وخلفوا فيه آثاراً هامة من نتاج حضارتهم نشاهدها في كركميش عند جرابلس وفي حلب وحماة وتل حلف على الخابور وتل احمر على الفرات .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

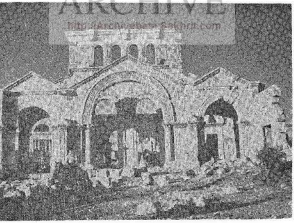
وفي اوائل الالف الاول كان الآراميون قد تسربوا من البادية وأسسوا دويلات متحضرة انتظمت سورية الداخلية من الشمال الى الجنوب كان من اشهرها دولة دمشق . ثم ظهر الآشوريون في بلادالرافدين وحلوا محل الدولة البابلية واسسوا امبراطورية واسعة امتدت الى سورية في القرن الثامن وابتلعت ما كان فيها من دول للحثيين والآراميين .

وكل هذه الحضارات التي اتينا على ذكرها عدا الحثية تنتسب الى شعوب عربية قديمة استوطنت البلاد مهاجرة من الجزيرة العربية على مراحل وموجات .

ولكن العلماء اعتادوا تسميتها بالشعوب السامية رغم اتفاقهم على ان موطنهم الاصلي هو الجزيرة العربية شأن العرب الذين قدموا الى سورية قبل الاسلام وبعده.

وبعد اضمحلال دولة الآشوريين ، تعرضت البلاد للغزو الفارسي قبل خمسمائة عام من الميلاد . ثم غزاها الاسكندر المكدوني في عام ٣٣٣ قبل الميلاد ايضاً ، واقام خلفاؤه في سورية دولة السلوقيين . وافادت البلاد في عهدهم من مزايا الحضارة اليونانية ، فانتشرت فيها المدن الجديدة المبنية على نظام وتنسيق كمدينة انطاكية وافاميا واللاذقية ودمشق ودورا اوروبس في صالحية الفرات . وظل الجنوب السوري محافظا على استقلاله في عهدهم وحكمته دولة الانباط العربية ، التي اتخذت مدينة البتراء عاصمة لها ، وامتد نفوذهـا في بعض الاوقات الى دمشق ، واستمرت الى ان قضى عليها الرومان سنة ١٠٥ بعد الميلاد ، وتشاهد آثار الانباط في حوران وجبل الدروز وشرقي الاردن .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



دير القديس سمعان العمودي (قلعة سمعان) من العهد البيزنطي — القرن السادس الميلادي

ثم انتهى حكم اليونان في سورية عام ٦٤ قبل الميلاد واصبحت بلادنا ولاية في الامبراطورية الرومانية الواسعة، وتأثرت بالحضارة الرومانية الى حد كبير وخاصة في النواحي العمرانية ، وتبدو المنشآت والاوابد المبنية في هذا العهد في جميع انحاء البلاد وخاصة في تدمر ودمشق وفي بصرى وشهبا والسويداء وفي المعابد والبيوت الكثيرة في مدن جبل الدروز وحوران .

وبعد الميلاد بثلاثة قرون تحولت الامبراطورية الرومانية الى دولة مسيحية وانقسمت الى دولتين غربية عاصمتها روما وشرقية عاصمتها القسطنطينية ، وغدت سورية ولاية تابعة لهذه الاخيرة ، وسادت في هذا العصر مدنية مسيحية بيزنطية لها طابع خاص ظهر أثرها في انتاجهم الفني والمعماري ، نستطيع ان نتأمله فيما بقي من الكنائس والاديرة والمنازل المبنية بالحجارة المتقنة النحت المنتشرة في اكثر المناطق السورية وخاصة في قلعة سمعان ومدينة البارة وكنيسة قلب لوزة وجبل الاكراد وجبل الزاوية في الشمال ، وفي حوران وجبل الدروز في الجنوب وفي الرصافة وقصر ابن وردان والاندرين في بادية الشام .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واخيراً جاء العرب المسلمون في عام ٦٣٥ بعد الميلاد فطردوا البيزنطيين او الروم كما كانوا يسمونهم، وحرروا البلاد العربية من النفوذ الاجنبي ، وانتظمت البلاد حضارة جديدة مطبوعة بطابع الاسلام دين العرب الجديد ، فكانت اعظم مدنية عرفها العالم في ذلك العصر ، وبدخول الاسلام الى هذه البلاد نشأ فيها فن جديد قائم بـذاته ، هو الفن العربي الاسلامي وكان يتطور بسرعة من عصر الى عصر تبعاً لتغير السلالة الحاكمة ، بحيث يسهل على من يتأمل الآثار العربية الاسلامية التميز بين ماهو اموي او عباسي او ايوبي او عثماني . وفي سورية امثلة كثيرة تمثل هذه العهود مازال باقية نفخر بها .

فمن العهد الاموي عندنا جامع دمشق الذي بنـاه الوليد بن عبد الملك ، وقصرا الحير الغربي والشرقي في بادية الشام ، بناهما هشام بن عبد الملك .

ومن العصر العباسي توجد آثار مدينة الرقة وقصور العباسيين المديدة المتهدمة في ضواحيها ، وكذلك آثار قلعة جعبر وابي هريرة المبنية بالآجر .

ولما ضعفت الدولة العباسية في القرن الرابع الهجري (العاشر ميلادي) اصبحت سورية تابعة لدولة الفاطميين في مصر ، ثم ساد فيهـا نوع من النظـام الاقطاعي وحكمها قواد الجيش من الاتراك السلاجقة ، الذين عرفوا بالاتابكة ، وكانوا يتبعون خليفة بغداد اسماً ، واجتاحت البلاد في عهدهم الحملات الصليبيـــة واخضع الفرنج جزءاً منها لسيطرتهم مدة قرنين من الزمن ، وكان من عادتهم بناء القلاع والحصون للتمركز فيها ، والاغارة على ماحولها من البلدان .

وما تزال هذه الحصون باقية تذكرنا بالصراع الطويل الذي خاضه اجدادنا مع رواد الاستعمار الغربي ، واشهرها قلعة الحصن وقلعة صهيون وقلعـــة المرقب وصافيتا وطرطوس .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولم تعدم الأمة في هذه الفترة العصيبة زعمـاء مخلصين وحدوا البلاد وجندوها لمركة التحرير ، امثال نور الدين وصلاح الدين والظاهر بيبرس .

وعمت البلاد في عهد هؤلاء الزعماء ، وبعض خلفائهم نهضة شملت نواحي الحياة العسكرية والثقافية والفنية ، وانتعشت البلاد اقتصاديا ، فظهر أثر ذلك على ماشيد من حصون وأسوار للاغراض الدفاعية ، ومن مدارس ومساجد ومارستانات للاغراض الدينية والتعليمية .

ويتميز في هذه المنشآت اسلوبين بارزين الاول ينتسب الى الاتابكة والايوبيين، وتغلب عليه صفات القوة والتقشف ، بسبب حالة الحرب الـــتي كانت فيها الدولة

منهمكة في صد الغزو الاجنبي وتحرير البلاد . والثاني ينتسب الى المماليك ، وتبدو عليه آثار الرخاء والعناية بالاناقة والزخرفة . واذا شئنا ان نشاهد نماذج من منشآت هذه الفترة الايوبية المملوكية التي امتدت بين القرنين السادس والعاشر الهجريين فأمامنا قلعتا حلب ودمشق والمدارس والمساجد والمآذن والمدافن الكثيرة المنتشرة في انحاء هاتين المدينتين ايضاً .

وأخيراً احتل الاتراك العثمانيون بلادنا في عام ١٥١٦ وأطاحوا بدولة المماليك ، وكان لهذا الحدث التاريخي اثره في حياتنا ، وظهرت اساليب جديدة في الفن والعمارة تأثرت بالعاصمة استانبول ، وقد شيدت في سورية مساجد وخانات وتكايا نقلت تصميماتها عن مثيلاتها في العاصمة . لكنها بنيت متأثرة بالتقاليد المعمارية السورية العريقة ، ونعرفها اليوم بسهولة من قبابها الكثيرة ومآذنها الاسطوانية الرشيقة وواجهاتها الحجرية الملونة وجدرانها المكسوة بألواح القاشاني الجميلة . وينتهي دور الفنان السوري مع الأسف في أواخر القرن التاسع عشر ، ويتوقف عن الابتكار والانتاج الأصيل ، وتنفتح أبوابنا للحضارة الغربية فنأخذ عنها كل شيء ، وتذوب شخصيتنا الفنية التي عاشت آلاف السنين ، وأرغمت العالم على احترامها والاهتمام بها ودراستها . ونرجو أن لا تطول هذه الفترة ، لنعود بعد سنوات فنفرض شخصيتنا من جديد على انتاجنا في الفن والعمارة والصناعة . ونرى أمام أعيننا شيئاً يمكن أن يقال عنه فن عربي أو سوري .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مجلة المعرفة

مع التيارات الفكرية العربية والعالمية

مع التيارات الفكرية العالمية

مجلة المعرفة مع التيارات الفكرية العربية والعالمية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سيغريد هانك

شمس الله تسطع على الغرب

كتاب الشهر



ARCHIVE
www.archivebeta.sakhrit.com

عرض وتلخيص

الدكتور فؤاد أيوب

يقول غوته في «الديوان الشرقي»: ان الشرق قد اجتاز بجلال البحر الأبيض المتوسط. ووحدهم اولئك الذين يعرفون ويحبون الشاعر حافظ الشيرازي، يعلمون ماذا غنى الشاعر كالديرون ..!!

ويبدو أن الأوان حان بالنسبة الى الغرب كي يتحدث بكل صدق واخلاص عن العرب، هذا الشعب الذي اثر بكل عمق في مجرى الاحداث العالمية، والذي يدين له الغرب والانسانية جمعاء بالشيء الكثير.

ولعل التعصب الديني هو الذي حمل الغرب دائماً على تشويه منجزات العرب العظيمة وطمس مساهمتهم الأساسية في الحضارة الأوروبية. وان طبيعة العلاقات بين الغرب والعالم العربي منذ ظهور الاسلام حتى يومنا الحاضر لتبين على أفضل وجه كيف يمكن للعواطف والأهواء أن تملي التاريخ بصورة معينة، أي بصورة مشوهة وأبعد ما تكون عن الصدق. وقد نفهم هذا الأمر حين كان كل تأثير غريب يعتبر غير مرغوب فيه، لأنه يشكل خطراً كبيراً على العقيدة. لكن هذه النظرة التي كانت سائدة في العصر الوسيط لم يعد يمكن القبول بها في الوقت الراهن. بيد أن نوعاً من الضيق الديني المنشأ، اللاشعوري في أغلب الأحيان، لكن العميق الجذور في نفوس الغربيين، يحد من افقهم ويثير فيهم عواطف مناوئة تجاه شعب أسبغت عليه الدعاية المغرضة مظهر الشعب المتوحش، الوثني والمؤمن بالسحر.

لكن مصير العالم العربي بدل ذات يوم وجه العالم، ولعل مصير العالم الغربي سيكون عما قريب وثيق الصلة به. أفلم يحن الأوان الآن كي يتساءل الغربيون، من وراء ما يفصلهم عن العرب، عما يربطهم بهم ويوحدهم معهم؟

وإن هذا الكتاب، الذي يجمع سعة الاطلاع الى اناقة الاسلوب وسلاسة السرد، ليتحدث عن الميراث العظيم الذي تلقاه الغرب عن العرب.

فحين كانت اوروبا غارقة بعد في ظلمات العصور الوسطى وجهالتها، وقف العرب على أبوابها يرفعون مشعل الحضارة طوال سبعة قرون، أي أثناء ضعف مرحلة الازدهار الاغريقية التي كانت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قد انتهت في تلك الاثناء . ومهما يكن من امر ، فقد كان للعرب على الغرب أثر أشد عمقاً وا كثر تنوعاً من الاغريق انفسهم .

ولشد مايغبن حقهـم حين يكتفي بالقول انهم « نقلوا » التراث القديم الى العـالم الغربي بعد ما حفظوه من الدمار . فذلك يعني في الواقع التقليل من قيمتهم ، والسكوت عن الامور الجوهرية في عملهم الحضاري ، وجعلهم مجرد وسطاء ليس غير .

والحقيقة أن سائر مناحي الحيـاة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الغرب مدموغة بآثارهم .

فلقـد انطلق الغزو العربي في النصف الاول من القرن السابع من الصحراء ، واجتاز شطئان البحر الابيض المتوسط حتى المحيط الاطلسي ، واحتل جنوبي الحوض المتوسطي وشرقيه وغربيه، مفجراً كتلة الحضارة القديمة .

وكان لهذا الغزو عواقب لاتحصى ، فقد قلب انتصار الاسلام وجود عالم متوجه منذ اكثر من ألف عام نحو الشرق ، فأسرع الغرب يرفع ، تجـاه الغزو الاسلامي ، ستاراً حديدياً اعتصم خلفه طوال قرون .

وأقفرت الموانيء الغربية، وفرغت المستودعات وبارت التجارة ، وفقـد الذهب والفضة من بين أيدي الناس ، واصبحت الحياة مجدبة بائسة، لأن كل تعامل مع الشرق قد انقطـع ، وذلك بينما كانت التجارة العربية في أوجها ، تتجاوز بحر قزوين ، وتصعد مجرى الفولغـا ، وتصل حتى الشمال الوثني .

وكانت البندقية هي التي حطمت هذا الحصار الطويل . لقد تسلحت هذه المدينة الشاطئية الصغيرة من أجل التجارة ، وحققت في هذا الميدان نصراً عظيماً ،اذ مدت جسراً بين الشرق الثري والغرب الفقير ، فوق البحر الذي كان الحد الفاصل بين هذين العالمين، وذلك بفضل ارتباطها بالامبراطورية الشرقية التي استطاعت الحفاظ على سيادتها في البحار، وبالتالي على حرية مواصلاتها بفضل نقاط استنادها الايطالية .

هكذا كانت البهارات العربية ، في كل مكان، في أصل الثروة وفي اصل القوة والنفوذ الاقتصاديين. ان ازدهار الغرب الجديد يخرج مع الفلفل من السلال العربية .

ذلك ان هـذه المواد العربية لن تقتصر على حمل السرور الى القصور وتنبيـل حساء الملفوف الذي يتناوله الامراء الغربيون ، بل ان عودة هذه البضائع الشرقية سوف تؤدي الى قيـام المستودعات والاسواق والمعارض حيث سيزدحم التجار الآتون من كل حدب وصوب . وعندئذ ستأخذ الثروة بالنمو ، والمال بالتداول ، الامر الذي سينجم عنه ، بالاضافة الى اراقة الدماء ، ثورة اجتماعية حقيقية .

والحقيقة ان نصر البندقية هو نصر للتجارة العربية ، وهذه التجارة هي التي ستجمع البلدان الغربية بعضها الى بعض بعد ما جمت البندقية الى الشرق . ولسوف تزدهر التجارة الالمانيـة والفرنسية والهولندية في اعقاب ازدهار التجارة الايطالية، فاذا هي تنتشر في طول البلاد وعرضها، مثل تيار مولد للحياة ، تسقي شبكة متعاظمة ابدا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من المدن والطرق ، وهي الشبكة التي ستتطاول يوماً بعد يوم حتى تبلغ انكلترا واسكاندينافيا .

لكن السفن التجارية التي كانت تؤم الشرق سعياً وراء الرزق، وتقيم في الموانيء العربية بضعة أشهر قبل أن ترفع شراع العودة الى الوطن ، لم تكن ترجع بمجرد حمولتها من البضائع المتنوعة الغالية الثمن ، من اقطان سورية ، واقمشة انطاكية ، وآنية زجاجية مصنوعة في صور ، او معجنات مصنوعة في طرابلس ، او بهارات مستوردة من الهند والشرق الاقصى ، من فلفل وقرفة وجوز طيب وكافور ، وبخور وصبر وتبلج وشبة وصندل وغيرذلك . لقد كان بحارتها يختلطون بالعرب، هؤلاء القوم المضيافين الانيسين، ويتعلمون منهم اشياء كثيرة ، ويحملون في طريق عودتهم ماتعلموه مع ما ابتاعوه .

ومثلما فعل التجار والملاحون ، فعل الجنود الصليبيون من بعدهم حين نزلوا الشطآن العربية بدعوى تحرير بيت المقدس .

وان ذكرى ذلك العصر الذي كان الغرب ينتفع فيه من انوار وثروات عالم عربي يقف في طليعة الحضارة لتحيا بعد في مظاهر واشكال مختلفة.

فقواميس اللغات الاوروبية تعج بالكلمات العربية ، سواء ماتعلق منها بالحاجات اليومية ، او الاطعمة، او الالبسة ، او العقاقير ، اوالتعابير العلمية بصورة عامة .

وكذلك الامر فيما يتعلق بالملاحة وفنونها واصطلاحاتها .

ولقد اخذ الغرب عن العرب فكرة البريد الذي كان الحمام الزاجل الناقل للرسائل في اصله .

ولقد نقل الغربيون الى بلادهم ، وبخاصة في اعقاب الحروب الصليبية ، كثيرا من فنون الزراعة وأساليب الري المطبقة في بلاد العرب ، كما ادخلوا زراعة انواع عديدة من الخضار والفواكه والحبوب.

وكان الاستحمام ، والتطيب بالعطور ، واطلاق اللحية ، وبعض الطقوس الدينية ، وعدد كبير من الأزياء في العصر الوسيط خاصة ، مستعارة من العرب جميعاً .

وهكذا فان الحصار الذي فرضته اوروبا الغربية على نفسها ضد الاسلام قد خُرق مرات عديدة ومتوالية ، بحيث أصبح مئات الالوف من الغربيين اسرى الحضارة العربية وتلامذة لها ، فضلا عن اعجابهم الفائق بها .

ذلك ان رقيا عظيما على المستوى الفكري قد جاء في إثر الانطلاقة الاقتصادية البدائية الناجمة عن توسع التجارة مع الشرق ، وذلك بفضل المجلوب الفكري للحضارة العربية . واذا كان الغرب الرسمي قد استقبل بادىء الامر عناصر ذلك الرقي في كثير من التشكك والتصلب ، فقد استطاعت هذه العناصر على اية حال ان تشق طريقها ، وان تتغلغل في الحياة اليومية، وان تعبد الطريق لهذه الانطلاقة الفكرية التي شملت العالم الاوروبي منذ عصر النهضة والتي لاتبرح مستمرة حتى يومنا الراهن .

فسائر الامم المتحضرة تستخدم اليوم الارقام العربية التي لايمكننا بدونها ان نتصور دليلا للهاتف، او جدولا للبورصة ، او حتى اضافة للاسعار . وان صرح العلوم الجبار ، من رياضيات وفيزياء وفلك، ما كان يشيد بدونها . كذلك كان يستحيل علينا بدونها أن نملك طائرة اسرع من الصوت ،

او صاروخا عابرا للفضاء ، او فيزياء نووية وعلى اية حال، أفلم يرفع الغرب نصبا لهذا الشعب الذي يدين له بتلك الأداةالضرورية في العلوم وفي الحياة اليومية على السواء حين اطلق عليها اسم «الارقام العربية المكتوبة » .

ولقد استعار العرب انفسهم هذه الارقام من الهند ، وهم يسمونها « الارقامالهندية » ، وكان فلكي هندي هو الذي حملها الى بلاط الخليفة المنصور (٧٤٥ ـ ٧٧٥ م) في سنة ١٥١ للهجرة ، ولم يكن لدى الشعوب المتحضرة المقيمة في حوض البحر الابيض المتوسط قبل ذلك ارقام بالمعنى الصحيح للكلمة . فقد كان المصريون القدماء يشيرون الى القيم العددية بخطوط طولانيـــة او عرضانية ، مفردة او متعددة او مختلطة ، كما كان البابليون يستخدمون طريقة للعد تعتمد على ثلاث صور وعلى جملة من الزوايا الحادة والقائمة، المستوية تارة والعمودية تارة اخرى ، وكان عدد هـذه الزوايا ومراكزها تحدد القيمة العددية المطلوبة .

وكان الاغريق يستخـــدمون بادىء الامر الاحرف الاولى من اسماء الاعداد للاشارة اليها، ثم راحوا يستخدمون ابتداء من القرن الخامس قبل الميلاد جملة جديدة للعد تتألف من احرف الابجدية الاربعة والعشرين ومن ثلاث اشارات اضافية من اصل سامي ، وقد اخـذوها جميعاً عن الساميين والفينيقيين .

اما الرومان فكانوا يستخدمون الخطوط بادىء الامر ، على غرار المصريين القدماء ، ثم تطورت طريقتهـــم مع الزمن بحيث اصبحت الخطوط التي يستخدمونها اشبه بأحرف الابجدية .

ومهما يكن من امر ، فان هوة عميقة تفصل عند هذه الشعوب جميعا بين التعـــداد المكتوب والتعداد المنطوق ، وهي هوة لن تملأهـا سوى الارقام الهندية التي تعتمد على كتـــابة الوضع . ecriture de Position

وعرفت الأرقام التسعة عند الهنود منذ القرن السادس بعد المسيح على أبعد تقدير ، وربما قبل ذلك ، لكنها لم تكتمل الا مع ظهور الصفر الذي كان يشير الى الفراغ في الأصل ، وكان العرب في القرن الثامن يستخدمونها جميعاً .

ومع ذلك فان الغرب لم يأخذ بهذه الطريقة الا في اواخر القرن الحادي عشر ، ولم يعممها حتى القرن الخامس عشر . ويعود الفضل الاكبر في تعريف الغرب على الارقام العربية الى الخوارزمي الذي نقلت كتبه جميعاً الى اللاتينية وكانت مرجعاً هاما للعلماء الغربيين . ولا يزال الغرب يعترف حتى الآن بفضل الخوارزمي هذا ، اذ ان كلمة لوغاريتما مشتقة في الاصل من اسمه .

ولا يبرح الالمان ، الذين كانوا سباقين الى ادخال طريقة العد الهندية العربيـة الى الغرب ، يعدون حتى اليوم مثل العرب ، من اليـمين الى اليسار، على خلاف سائر الشعوب الاوروبية، فيقولون ثلاثـة وعشرين مثلا بدلاً من عشرين وثلاثة ، كما يقول الفرنسيون ، او الانـكليز ، او الروس ، الخ .

والامر الذي لامراء فيه هو ان كتب الفلك كانت واسطة نقل الارقام الهندية الى الغرب الذي لم يعرفها الا باسم الارقام العربية فقط .

ولقد كان عرب الصحراء يقفون على النجوم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اهتماما اعظم من الاغريق اوالرومان او الجرمان بل اعظم من اي شعب آخر على وجه البسيطة في الحقيقـة .

فقد كانوا يضربون ابداً في ارض لامحدودة، لايقيمون في مكان مستقر ، ولا يشيدون منازل ثابتة ، بل ان قبة السماء هي سقفهم الوحيد منذ الولادة حتى الموت . وكانت هذه القبة تكشف لعيونهم ، في جو الصحراء الجاف ، عن روائع لايمكن للغربيين ان يتصوروها في اراضيـهم المرتفعة المفعمـة بالرطوبة . وفي هذه الصحراء المترامية الاطراف ، لم تكن تتوفر لهم اية علامة يتعلق نظرهم فيها ويستدلون بها ، فلا جبل ، ولا صخرة ، ولاشجرة ، ولا بحيرة اوبحر قريب ، بل الافق البعيد وحده ، يقطعه من حين لآخر ذلك السراب الخداع الذي يفر كلما اقترب المرء منه ، هكذا لم تكن نظرتهم تكتشف ، في ملء الامتداد العريض الرتيب لصحراءالحجارة اوالتلال المتحركة لبحر الرمال ، اية قرينـة تساعدهم على تحديد موضعهم في المـكان والزمان ، اللهم الا شروق الشمس وغروبها ، اوالقمر، اوالكواكب المتألقة فوق رؤوسهم وتحركاتها، هذهالكواكب التي كان نسق حياتهم البدوية يستلهم عودتها الدورية سنة بعد سنة .

كانوا يعرفون النجوم وحركاتهـا اذن ، ويسمونها باسمائها ، ويجمعونها في كوكبات تمثل مشاهد من حياتهماليومية لقـد بنوا امبراطوريتهم الشاسعة ، وتطورت حياتهم الحضارية ، وترجموا الى لغتهم كتب الفلك الهندية والاغريقية ،ولكن ذلك الحنين الى السماء لم يبارحهم ، فخرج منهم الفلكيون بالألوف .

والحقيقة انه كان لعلم الفلك مغزى ديني عميق بالنسبة الى المسلم ، لانه يوفر اعظم دليل على وجود عظمة خالق السموات والارض ، والنور والظلام ، بحيث يأتي الفلك ، على حد تعبـير البطاني ، مباشرة بعد مايجب ان يعرفه كل فرد من تعاليم الدين .

لكنه كان لعلم الفلك ايضاً ، بالنسبـة الى المسلمين ، مغزى عملي فائق الاهمية بسبب الواجبات الدينية اليومية : مواعيد الصلوات الخمس ، وبدء صيام رمضان وانتهاؤه ، وموقـع الكعبـة ، الخ . وهكذا كان المسلمون معنيين دائماً بالحصول على المعارف الفلكيةمن اية جهة جاءت ، وحين استيقظت فيهم لذة المعرفة في ذاتها ، فقد جعلوا من الفلك احد علومهم المفضلة ، واستغرقوا في بناء المراقب ، وفي القياسات والحسابات ، بحماسة لم يسبق لها مثيل .

لقد شيدوا مراقب اشهرها مراقب المأمون في بغداد ودمشق، والعزيز والحكيم في القاهرة، والمرقب الذي بنـاه السلطان عضد الدولة في حديقة قصره في بغداد ، ومرقب مالك شاه في نيسابور في فارس الشرقية ، ومرصد هولاكو في فارس الغربية . الخ .

وكان الأغريق قد لاذوا بالصمت نهائيـاً ، فاذا العلماء العرب ينفخون في العلوم الفلكيـة روحاً جديدة سوف يستفيد الغرب منها عما قريب. ولعل لذلك اسبابا رئيسية ثلاثة :

١ ـ ميلهم الى الجمع والترجمة ، وهو الميل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الذي سينتزعون بواسطته من النسيان ثروات القدماء العلمية التي ستزودهم بالعناصر الاولية الثمينة ، الضرورية من أجل بناء صرح آثارهم العلمية العظيمة .

٢ ـ عبقريتهم الابتكارية التي ستمكنهم ، على المستوى التقني ، من اتقان الادوات المعروفة من قبل واختراع ادوات جديدة ، وهو الشرط الاولي من اجل الدراسة المنهجية والدقيقة للظواهر الطبيعية من جهة ، وهو ماسيتفوقون به على القدماء حتى درجة فائقة ، ومن أجل الاقبال من جهة اخرى على ابحاث تقوم على أسس تجارب منهجية .

٣ ـ مواهبهم المرموقة للرياضيات ، وحماسهم لحل المسائل بواسطة الحساب ، واستعدادات كثيرة اخرى مكنتهم من تطوير فروع جديدة للعلوم الرياضية ، وخلق المبادىء الاساسية الخاصة بالحسابات الفلكية ، من اجلهم ومن اجل الغرب على حد سواء .

ولعل الساعة التي اهداها هارون الرشيد الى شارلمان عام ٨٠٧ تشكل برهاناً ساطعاً على المقدرة التقنية التي توصل اليها العرب في ذلك الحين . وان إينهارد ، مؤرخ الامبراطور ، ليصفها معجباً في حولياته كما يلي : كانت الساعة مصنوعة من النحاس الاصفر ، ومنفذة بمهارة فائقة . وكانت ساعة مائية فيها تقيس جريان الساعات الاثنتي عشرة ، فاذا ماتمت الدورة ، سقطت اثنتا عشرة كرة صغيرة على صنج موضوع فوق الساعة المائية . وفيما عدا ذلك ، فقد كان فارس من أصل اثني عشر فارساً يقفز كل ساعة من احد الابواب الاثني عشر المفتوحة ، ولا يمر حتى تنغلق الابواب جميعاً في الحال . ولقد كان في هذه الساعة اشياء كثيرة مرموقة أخرى ، لكن تعدادها يقودني بعيداً جداً .. »

واذا كان الاغريق يستهدفون الاحاطة في المحل الاول ، اذا كان الشيء الجوهري بالنسبة اليهم هو اكتشاف التطابق بين كل ظاهرة طبيعية والقوانين العامة ، فقد كان العرب بالمقابل يسعون ابداً الى اكتشاف الجواب الوحيد على أية مسألة علمية معينة ، ولا يكتفون من اجل ذلك بمشاهدة واحدة او عشر مشاهدات ، بل يقومون بالمئات منها . ولما كانت غايتهم هي الاستخدام العملي للنتائج الحاصلة ، فقد كان لدقة هذه النتائج أهمية عظمى بالنسبة اليهم . وهكذا حسنوا دون انقطاع مايملكون من ادوات المشاهدة ، وبذلوا عناية اعظم في استقصاء السماء ، بحيث توصلوا الى اكتشافات لا حصر لها ، منها تحديد مدارات الشمس والقمر والنجوم بصورة متزايدة الدقة ، وتدقيق لوائح بطليموس وتحسينها ، ووضع لوائح اخرى خاصة بهم ظل الغرب يستخدمها حتى ايام كوبرنيكوس ، واشهرها لوائح الخوارزمي واللوائح المأمونية ، واللوائح الصابئية التي وضعها البطاني ، واللوائح الحكيمية التي وضعها بن يونس ، واللوائح الطليطلية التي وضعها السرقلي ، وكانت اساساً للوائح الالفونسية .

« ويقول المستشرق الفرنسي سيديللو Sédillot ان فلكيي بغداد توصلوا في نهاية القرن العاشر الى اقصى مايمكن بلوغه دون عدسات او مناظير » . ولنذكر من هؤلاء الفلكيين الفرغاني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الذي كان سباقا الى اكتشاف ان الشمس والسيارات ترسم مدارات في الاتجاه المعاكس للحركة النهارية ، وثابت بن قوره الذي حسب ارتفاع الشمس الظاهر وطول السنة الشمسية ، والبطاني الذي حقق منجزات فلكية عديدة لامجال هنا لذكرها ، والبيروني الذي صاغ نظرية دوران الارض حول محورها وحول الشمس . لكن نظريته لم تستلفت الانظار بسبب من معارضتها للآراء اللاهوتية السائدة، وابن الهيثم الذي اشتهر في ميدان البصريات اكثر منه في مجال الفلك . فقد كان ابن الهيثم اول من قرر ان الرؤية تتم ليس بواسطة شعاع تطلقه العين في اتجاه الجسم المنظور ، بل بواسطة اشعة تطلقها الاجسام المضيئة الى العين التي تراها اذن بواسطة جسمها الشاف ، ووضع نظرية الظل ، وكان سباقا الى استخدام الغرفة المظلمة في تجاربه ، فقدمت له البرهان على المحرك المستقيم للنور ، وعلى انقلاب الصور ، كما اكتشف تعليل انكسار النور حين انتقاله من وسط الى آخر ، الامر الذي مكنه من تقدير سماكة الجو الارضي بصورة دقيقة جدا (١٥ كيلومترا) ، ودرس اسباب الهالة القمرية ، وتشكل الغسق ، وقوس قزح ، وطبق معارفه هذه على ابتداع اجهزة بصرية جديدة . ولقد سادت نظريات ابن الهيثم في حقل البصريات على العلم الاوروبي حتى الازمنة الحديثة ، ونحن نشاهد ظله يقف خلف الانكليزي بيكون ، والبولوني فيتيليو ، والايطالي ليوناردو دي فنشي، والالماني جوهان كبلر .

وكان ملك الكاستيل الفونس العاشر ، الملقب بالحكيم ، اول من عنى بنقل الآلات العربية الفلكية الى الغرب الذي لم يكن يفكر بعد في دراسة الظواهر السماوية على المستوى العلمي . ولقد عمل هذا الملك ، الذي يدين له الغرب بالشيء الكثير ، على ترجمة سائر المؤلفات الفلكية العربية الى الكاستيلية العامية، وبنى مرقباً عظيما للغاية ، ووضع اللوائح الالفونسية السابقة الذكر التي كانت في الحقيقة ترجمة شبه أمينة للوائح السرقلي ، وقد خدمت في القرن الخامس عشر من اجل تعديل التقويم المتبع . وحين بدأ الغربيون في هذا القرن يصنعون أدوات المراقبة، فان النماذج العربية المتوفرة لديهم هي التي خدمتهم في ذلك .

لكن تطوير الأدوات الذهنية التي تسلح بها العرب قبل نقلها الى الغرب ، لأهم من اكتشافاتهم في مجال المشاهدات الفلكية ، ومن اختراعاتهم في ميدان الفيزياء والتقنية . ولاننس على أية حال ان تلك الادوات الذهنية بالضبط قد كانت في اصل منجزاتهم في ميداني الفيزياء والتقنية على السواء .

فالرومان لم يتوصلوا في مجال الرياضيات سوى لنتائج تافهة للغاية ، اما الاغريق فقد تكرسوا للهندسة ، حتى ان الجبر ارتدى عندهم شكلا هندسيا ، في حين اقتصر الهنود ، الموهوبون هم ايضا ، على الحساب وحده . لكن العرب جمعوا بين حس الكميات الحسابية وحس الكميات الهندسية ، بحيث لم يخلقوا فروعاً علمية جديدة فحسب ، بل طوروا بعض الفروع الاخرى حتى درجة من النضج لم يبلغها الاغريق او الهنود فقط.

http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولذا كان العرب، لا الاغريق، اساتذة الرياضيات في عصر النهضة.

ويكفي ان نذكر هنا مؤلفات الجبر لابي كامل والبيروني وابن سينا وعمر الخيام الذي رفع الجبر الى قمة لم يتمكن احد من الارتقاء اليها حتى ديكارت الفرنسي في القرن السابع عشر.

وكان العرب اول من استخدم الفاصلة للاشارة الى الكسور، كما اسسوا علم المثلثات، والحساب الستيني، وقسموا الدائرة الى ١٦٠ درجة، ووضعوا الحساب التفاضلي الذي أسسه ابن سينا والغزالي.

واخيرا فان نظريات الفارابي، «اكبر المعلمين بعد ارسطو»، في الفنون الموسيقية قد قادته قاب قوسين او ادنى من اللوغاريتم. وان نظريته عن المقادير المتناهية في الصغر، مع نظرية ابن سينا، قد الهمت العلماء الغربيين الذين تعمقوا بعد عدة قرون في هذه الميادين واستثمروها.

لكنه حتى اذا لم تكن سائر هذه الشرارات المنطلقة من العبقرية العربية كافية من اجل احداث الاشتعال، فقد كان النور الذي نشرته على الغرب قائماً للغاية. ان اوروبا قد تعرفت الى اهم مؤلفات القدماء بواسطة العرب الذين الهبوا في اوروبا، بفضل تراجمهم وتعليقاتهم وكتاباتهم الخاصة، روح البحث العلمي. واما نقل العرب الى العالم الغربي ارقامهم، وادواتهم المحكمة، وحسابهم، وجبرهم وعلم مثلثاتهم، وعلم بصرياتهم، فقد جعلوه قادرا بدوره، بفضل اكتشافات واختراعات ابنائه، على القيام بدوره كمرشد في الميدان العلمي.

* * *

ولعل الطب هو اهم مجالات التفوق العربي. وفي تلك الايام، كان منح البركة، والتعاويذ، والصلوات، هي اساليب العلاج الرئيسية التي يطبقها اطباء الغرب في سبيل تخليص البشر من ادوائهم الجسدية.

ذلك ان الايمان بالادوية وفعاليتها كان مفقوداً تماما، لأنه اذا كان يمكن لأي امرىء أن يشفى بفضل مادة يضع ثقته فيها، فالأولى ان يشفى حين يسلم أمره للاله القدير.

وكان الكهنة والرهبان هم الاطباء الوحيدين، لكن الجراحة منعت عنهم بأمر من الكنيسة، بحيث تركت هذه المهنة «الدنيئة» بين ايدي ممارسين أكثر أوقاتهم كفاءة كانوا يتناقلونها خلفاً عن سلف، وعلمهم موضع احتقار رجال الدين على اية حال.

وعلى حد تعبير احد الأساقفة: «ماذا يستطيع الاطباء بأدواتهم؟ انهم اجدر باثارة الالام منهم بتهدئته، وحين يقومون بجراحة في العين بمشرطهم، فمن المؤكد انهم يعرضون المريض لآلام الموت قبل ان يردوا اليه بصره، هذا علماً بأنهم قد يفقدونه بصره كليـاً اذا لم يأخذوا سائر الاحتياطات.

وبالمقابل فان قديسنا الحبيب لايملك سوى أداة فولاذية واحدة، ألا وهي ارادته، وسوى مرهم واحد، ألا وهو موهبته الشافية.»

ومن المؤكد ان مرد هذه الاوضاع هو الاعتقاد بان الخطيئة هي سبب المرض، فاذا تم القضاء على السبب تلاشت النتيجة من تلقاء نفسها. واذا لم يكن بد من العلاج، فعلى المريض ان يتمم واجباته الدينية قبلا، ولايجوز للطبيب ان يعالجه بدون ذلك. وان هو رفض فليحرم من الكنيسة، كما يحرم كل طبيب يداوي امرءاً لم يعترف ويتناول السر المقدس.

وحين كانت الكنيسة تتشدد حتى هذه الدرجة،

كان الطبيب القاهري ابن رضوان يقول : «ينبغي للطبيب ان يعالج اعداءه بنفس الروح والهمة والعطف التي يعالج بها احباءه » .

وطبيعي الا يكون في الغرب مستشفيات في مثل هذه الاحوال . وفي القرن الثاني عشر نقل الصليبيون هــذه الفكرة من الشرق ، وجعلوا يخصصون للمرضى مشافي يقيمون فيهـا ، وكان أوتيل ديو في باريس من أفضلها، ويصفهما كس نوردو بالعبارات التالية :

« كانت الارض المبلطة بالآجر مغطاة بالقش ، والمرضى يتراكمون على هذه المفارش ، وارجل بعضهم تواجه رؤوس الآخرين ، والاطفال الى جانب الشيوخ ، نساء ورجالاً معاً مهما بدا هذا غير معقول ... وكان المصابون بالامراض المعدية يلتصقون بآخرين لا يشكون الا من اضطراب بسيط . ان امرأة تصيح بسبب آلام المخاض ، والى جانبها وليد يتلوى بفعل الاختلاجات، وغير بعيد محموم يشتعل ناراً، ومصدور يسعل دون انقطاع، ومريض يشكو داءجلديا وينتزع جلده بضربات كبيرة من أظافره . . وما اكثر ما كان المرضى يفتقرون الى الاشياء الاساسية ، فلا يقدم اليهم سوى طعام موبوء ، وبمقادير غير كافية ، وفي فترات غيرمنتظمة . ولم يكونوا يأكلون كما يجب الا حين يحمل اليهم بعض المواطنين المحسنين المؤن. ولذا كانت الابواب مفتوحة ليل نهار ، وفي مكنة أي امرىء أن يدخل ويجلب معه مايشاء ، بحيث اذا كان المرضى يموتون من الجوع في بعض الايام فقد كانوا يموتون من عسر الهضم في ايام اخرى. وكانت الديدان تعج في كل مكان ، والهواء في قاعات المرضى نتنـاً بحيث لا يدخلها المراقبون والمرضون الا وقد وضعوا على أنوفهم خرقـة مبلة بالخل . وكانت الجثث تنتظر اربعا وعشرين ساعة ونيفا قبل ترحيلها ، وفي هذه الاثناء كان حتماً على الاحياء ان يجانبوا الموتى الذين كانت رائحتهم تفوح سراعاً في هذا الجو الموبوء ، في حين تغطيهم ذبابات كبيرة مخضرة اللون ...»

وبالمقابل ، فهذه رسالة تصف مستشفى عربياً:

« أبي ، لاتتساءل ما اذا كان يجب ان تزودني ببعض المال ، لاني حين اغادر المستشفى سأتلقى ثياباً جديدة وخمس قطـع ذهبية تمكنني من عدم استئناف العمل في الحال ... اني في القاعة العظمية، الى جانب غرفة العمليات . وكي تصل الي، ادخل من الباب الرئيسي ، وسر في الرواق الجنوبي ، حيث العيادة التي حملوني اليها بعد سقوطي. هناك يفحص المرضى عند وصولهم من قبل الاطبـاء الساعدين والطلاب ، ويحصل الذين لايحتاجون الدخول الى المستشفى على وصفــة يصرفونها في الصيدلية المجـاورة . وحين انتهوا من فحصي ، سجلوا اسمي ، ثم قادني ممرض امام رئيس الاطباء، ومن هنـاك الى قسم الرجال ، حيث استحميت واعطيت ثوباً نظيفاً خاصاً بالمستشفى .

« ثم دع الى اليسار منـك المكتبة والمدرج الكبير حيث يلقي رئيس الاطبـاء دروسه ، واتجه الى اليمين ، واعبر قسم الامراض الباطنية وقسم الامراض الجراحية ... واذا سمعت بعض الالحان عبر احد الحواجز ، فأدخل الغرفة ، فقد أكون في هـذه القاعة المخصصة للناقهين حيث نتسلى بالموسيقى والكتب .

«… اخبرني الطبيب اني استطيع مغادرة المستشفى قريبا ، لكنه ليست بي رغبة في ذلك . ان الاشياء جميعا هنا نظيفة نيرة ، والاسرة طرية ، والشراشف الدمشقية ناصعة البياض ، والأغطية ناعمة مثل القطيفة . وان المياه تتوفر في كل غرفة ، والنور في الليل ، والتدفئة في اوقات البرد . أما الطعام ، فلا تسل عنه … »

وإن المرء ليحسب أنـه يقرأ وصفا لمستشفى راق في النصف الثاني من القرن العشرين ، لكن المقصود في الحقيقة احد تلك المستشفيات التي كانت تملأ البلاد العربية ، قبل ألف عام ، منذ جبال الهملايا حتى البيرينه ، ولاتخلو منها مدينة واحدة . بل لقد كانت قرطبة تضم خمسين مؤسسة من هذا النوع في منتصف القرن العـاشر ، بحيث تتفوق على بغداد الشهيرة بمستشفياتهـا منذ عصر هارون الرشيد .

وفيما عدا ذلك ، فقد كان ثمـة خدمات طبية جوالة في القرى ، ومستوصفات في السجون .

وكانت المعالجة مجانية للفقراء والاغنيـاء على السواء ، وكان لـكل مستشفى املاك موقوفة عليه تخدم مواردها في سد نفقاته .

ولم يكن في مقدور الاطباء ممارسة مهنتهم ، في المستشفى او خارجه ، الا اذا ابرزوا شهادة على كفاءتهم يحصلون عليها بعد اجتياز امتحان امام لجنة يعينها الخليفة . وكان هذا الاجراء مطبقا في الامبراطورية الشرقية وفي الاندلس على حد سواء .

وكنت تجد في بغداد وحدها ثمانمائة وستين طبيباً بالاضافة الى الاطباء العاملين في المستشفيات الحكومية ، وذلك حين كنت تجتاز مقاطعة الرين بأسرها دون ان تصادف طبيبا واحدا .

ويكفي ان يذكر المرء الرازي ، الذي كان احد كبار الاطباء في كل الازمان ، وابن سينا الطبيب الاكبر ، وابن النفيس الذي اكتشف دوران الدم الصغير قبـل وليم هارفي الانكليزي بأربعمائة عام ، وعبد اللطيف البغدادي القائل : « مهما كان احترامنا لجالينوس عميقا ، فانـا نفضل ان نصدق عيوننا الخاصة » ، حتى يشكل فكرة عن تقدم الطب العربي وما حققـــه من منجزات عظيمة .

ولقد كان العرب يمارسون التلقيح ضد الجدري حتى قبل الاسلام ، كما عنوا بالجـــذام بصورة مخصوصة ، وكانوا يعزلون المجذومين في المستشفيات حتى لاتنتقل العدوى منهم . وحين كان الغرب يعزو الطاعون الى اسباب غيبية ، او الى اليهود تارة ، والى الانكليز تارة اخرى ، وكان علماؤه الكبـار يعتقدون ان انتقال المرض يتم بواسطة نظر المصاب ، فان ابن الخطيب الاندلسي (١٣١٣ ـ ١٣٧٤) كتب بحثاً يوضح فيه ان العدوى تتم عن طريق ملامسة المريض او مفرزاته ، الامر الذي مكن العرب من تطبيق احتياطات عديدة وفرت عن بلادهم خطر الوافدة الرهيبة .

وان ابن الخطيب نفسه يحل ، بمناسبة الطاعون ، لغزاً ظل غامضاً حتى ذلك الحين : « لماذا يفلت البعض من المرض رغم ملامستهم المتكررة للمصابين ؟ ان الطاعون يتظاهر بسرعة او ببطء وفقا لقابليـــة العضوية ، فيكون شديد الوطأة عند البعض ، وسليا عند آخرين افضل تكيفاً ، فيما البعض الآخر

لايصابون بهمطلقاً . اما ان المريض يشفى منه ام لا ، فذلك موقوف على مقاومته وحدها ، ولا علاقة له البتة بالصلوات او مسير الكواكب ..» وكانت تلك اول مرة تصاغ فكرة المناعة فيها .

وكان العرب مهرة في الجراحة ، وخاصة في امراض العين ، كما كانوا أول من طبق طريقة التخدير العام في العمليات الجراحية باستخدام خليط من الحشيش واليقة والبنج ، كما كانوا يستخدمون التعقيم بواسطة الكمادات الحارة المغمسة بالخمر الاحمر ، القوي والمعتق . بل لقد كانوا يطبقون طريقة المعالجة بمضادات الحيوية ، وذلك حين كانوا ينزعون عن عدة حميرهم وجواميسهم عفونة الفطور المتراكمة عليها ليصنعوا منها مراهم يطبقونها على الجروح ، او حين ينفخون المسحوق الاخضر للخبز المتعفن في حلوق المصابين بالتهاب الحنجرة ، وهي طريقة لايزال البدو يستخدمونها حتى يومنا الحاضر .

وفي الحقيقة ان المجال لايتسع لذكر كل او بعض ما حققه العرب من اشياء اخرى في الميدان الطبي والعلاجي . ولكنه من المؤكد انهم تركوا مؤلفات طبية تفوق مؤلفاتهم في اي ميدان علمي آخر ، وقد خدمت هذه المؤلفات في تعليم اجيال عديدة من الاطباء الغربيين ، وذلك بنجاح لم يكن يتوقعه حتى اكثر مؤلفيها طموحا .

وان السيل الذي سيستقي الغرب كله منه قد تدفق من مدينة ساليرنا ، في جنوبي ايطاليا ، حيث قامت مدرسة شهيرة للطب تقول الاسطورة ان عربياً يدعى عبد الله كان احد مؤسسيها الاربعة ، وكان قرطاجي يدعى قسطنطين هو الذي نقل من افريقيا الى ساليرنا معارف العرب الطبية ، وان يكن قد انتحلها بادىء الامر .

ثم جاء تيار الترجمات الذي لاينضب له معين ، يتدفق من اسبانيا ، وصقلية ، وايطاليا الشمالية . وكان ذلك يشكل مطلع حركة فكرية عاتية لن يتمكن احد من رجال العلم ، في القرون التالية ، الا أن ينجرف بها ويخضع لنفوذها .

ان افضال العرب على العالم الغربي لاتعد ولا تحصى . فهم الذين نقلوا اليه طراز الحكم المركزي السائد حاليا في سائر الدول الاوروبية ، كما علموه انظمة جباية الاموال ، والجمارك ، وسائر الشؤون المالية الاخرى تقريباً . واننا لنجد آثار فن العمار العربي في جميع بلدان اوروبا الغربية ، وبالخاصة في المناطق التي خضعت لحكم العرب او جاورته . ومما لاريب فيه ان فنون الغناء ، والموسيقى ، والشعر ، تدين للعرب الاندلسيين بالشيء الكثير .

وتلك هي المعجزة العربية . فهذا الانطلاق الحضاري المفاجىء ، الخارج من العدم نوعاً ما ، الذي حققه ابناء الصحراء ليشكل احد الاحداث التاريخية التي تبعث على الذهول . ان الصعود الهائل الذي ضمن للعرب السيادة على شعوب بلغت درجة عالية من الحضارة من قبلهم لظاهرة فريدة في التاريخ ، معجزة يقف المرء حائراً تلقاءها ، متسائلا عن اسبابها وعناصرها .

كيف يمكن لشعب لم يسبق له ان لعب اي دور ثقافي او سياسي ، لم يسبق له ان أسمع صوته في جوقة الامم الفكرية ، ان يجد الجرأة بصورة مباغتة على مقارعة الاغريق ، وهو ما لم تجرؤ

عليه شعوب اخرى كان يبدو انها اقدر منه على التصدي لهذه المحاولة ؟

ان بيزنطة ، هذه الوريثة الغنية للحضارة الشرقية القديمة والحضارة الاغريقية ، والتي كانت اللغة الاغريقية توفر لها بالاضافة الى ذلك الاستقاء المباشر من الينابيع الاصلية ، قد ظلت عقيمة حتى ذلك الحين .

أما السوريون، وهم تلامذة الاغريق الحقيقيون ، فقد كانوا يملكون نفس رأس المال الثقافي الذي سيحوزه العرب فيما بعد ، وذلك بفضل ترجماتهم للمصادر اليونانية . ومع ذلك فانهم لم يعرفوا كيف يطورون ميراثهم الرائع .

وكان يتراءى أن فارس ، التي تملك معرفة الصينيين والهنود والاغريق ، يجب ان تكون بؤرة انطلاق ثقافي عظيم ، لكنها ظلت مجدبة في هذا الميدان ، رغماً عن اقتصادها المزدهر ، وما كانت تلقاه العلوم والفنون فيها من رعاية واهتمام. ولن تكشف فارس عن فكرها الخلاق الا في جو فكري مختلف كل الاختلاف ، وتحت تأثير حضارة مغايرة تماما ، وهما الجو والحضارة اللذان حملهما العرب اليها .

فلا بيزنطة ولا سورية ولا فارس (وهي مع ذلك ملتقى الحضارتين الشرقية والغربية) قد اعقبت القدماء ، بل كان هذا الدور من نصيب شعب لم يكد ينطلق من الصحراء حتى انتزع التفوق العالمي في الميدان الثقافي ، واحتفظ به طوال ثمانية قرون ، اي ضعف مدة تفوق الاغريق انفسهم .

ان النبي العربي قد وحد القبائل العربية وصهرها في وحدة العقيدة والتضامن القبلي العتيق ومنحها قوة اخلاقية فتية وعاتية ، ووضع على رأسها زعماء جديرين تربوا في مدرسته ، فاذا هي تنطلق في موجة جبارة ، واذا هي تحقق انتصارات خاطفة على جيوش تتفوق عليها في العدد والعدة ، وتؤسس امبراطورية مترامية الاطراف ، تمتد من اراضي الهند حتى الاندلس.

لكن النبي علم العرب التسامح ، الامر الذي مكنهم من التأثير والتغلغل بعمق وبصورة دائمة في الشعوب التي أخضعوها لسيطرتهم ، وهو فعل أشد أثراً من تلك الطبقة الرقيقة من الميناء التي وضعتها النزعة الهيلينية او ذلك الطلاء السطحي الذي كانت الادارة الرومانية تتركه عادة في المناطق الخاضعة لها . وهكذا استطاعت تلك الامبراطورية المترامية الاطراف ان تعمل سريعاً، وذلك في بلدان مختلفة المصادر اصولا وتاريخياً ، مثل اسبانيا ومصر والعراق ، فاذا هي حضارة منتظمة ومتناسقة للغاية تنمو وتتطور .

وازدهرت الشعوب المغلوبة على امرها في ظل هذه الحضارة ، واذا هي لم تعتنق جميعاً دين اسيادها ، فقد تملكت لغتهم على الاقل، فأصبحت العربية اللغة الرسمية للحكم ، والقضاء والدبلوماسية والعلاقات التجارية ، والمجتمع الراقي ، ولا بد ان ينطق بها كل من لا يريد الانعزال عن الجماعية. وعلى اية حال ، فمن ذا يستطيع ان يقاوم فتنتها، ورنينها المنسجم ، وسحرها الذي لامثيل له ؟

ان لغة عمومية قد نشأت ، خلال قرن من الزمان ، عن لغة قبلية .

لكن هذه اللغة لم تكن مجرد واسطة للاتصال بل لقد دمغت الجماعية بطابعها، مثلما دمغت بطابع هذه الجماعية. ان عالم افكار اللغة العربية ومفاهيمها وقيمها يقولب أذهان الناس ويترك طابعه في الحياة الفكرية والمادية، بحيث يسبغ مظهراً منتظما على أناسي القارات الثلاث، وما اكثر ما كانوا متباينين من قبل.

وفيما عدا ذلك، فقد نادى النبي العربي بالطموح الى المعرفة في كل مكان وزمان، لأن المعرفة تنير سبيل الايمان. وهكذا لم ينصرم القرن الاسلامي الاول المكرس للفتوحات حتى ازدهر العلم العربي مثل محيط من الزهور. وبينما كانت الكنيسة في الغرب تبذل قصارى جهدها من اجل خنق «العلم الوثني»، ولاتعترف الا بالمعرفة الموقوفة على الله والروح، كان العرب يستولون على الغنيمة الفكرية الضرورية من اجل ثقافتهم، من الاغريق، ومن فارس، ومن لدن الصينيين والهنود على السواء. وحين فتح هارون الرشيد عمورية وانقرة، لم يطالب بأية تعويضات سوى تسليمه سائر المخطوطات الاغريقية القديمة، وكذلك فعل المأمون بعد انتصاره على الامبراطور البيزنطي ميشيل الثالث.

وكانت عملية انقاذ هائلة. لقد حفظ العرب مؤلفات القدماء من الدمار، لكنهم لم يخفوها تحت المكيال، بل احيوها حين ترجموها الى لغة القرآن الحية. وهذا مايشكل الجذر الثاني للازدهار الفكري، لان كل مسلم يجب ان يكون في مستطاعه قراءة القرآن وتلاوته باللغة العربية، وبالتالي ان يتعلم هذه اللغة، بحيث اصبحت «روائع العلم» المترجمة في متناول سائر مواطني الامبراطورية العربية.

وفي حين كان الغربيون يتباهون بجهلهم القراءة والكتابة، كان الشعب العربي بأسره يؤم المدارس. افلم يكن كل جامع في طول البلاد وعرضها مدرسة يستطيع اي مواطن المواظبة عليها؟ ولقد تملك العرب هوى للكتب لم يعرف التاريخ مثيلا له قط، فاذا كل المدن، الكبيرة منها والصغيرة، تملك مكتبتها اومكتباتها الخاصة، واذا كل خليفة، وكل أمير، وكل وزير، وكل عالم، يملك مكتبة خاصة به يحاول ان يغنيها قدر المستطاع، ولا يجمعها للزينة او الترف، بل للتعلم والتثقف. لقد كان الاهتمام بالاغذية الفكرية يميز العربي في ذلك العصر مثلما يميز هوى كرة القدم الانسان الغربي المعاصر، وكل من لايقاسم في ذلك الاهتمام لايعتبر انسانا سويا.

لاعجب بعد ذلك اذا ازدهرت الثقافة، واذا عمد العرب، بعدما استقوا من الينابيع المتوفرة من قبل الى تفجير ينابيعهم الخاصة. وحين اخذ الغرب هذه الاشياء جميعا عنهم، فانهم لم يكونوا مجرد وسطاء لنقلها فحسب. والا فان الاغريق هم وسطاء ايضا، والهنود كذلك. فكل عصر يستولي على الميراث العلمي السابق له، وبقدر مايسقط هذا الميراث بين ايد خلاقة، فانها تعدل جوهره وتحوله وفق ناموسها الخاص. واذا كانت السمة المميزة للفكر الاغريقي هي ذلك الحدس العبقري الذي مكنه من اكتشاف جوهر الاشياء والكائنات، واذا كان هذا الفكر يتهرب

من سبل النزعة التجريبيـــة الموبصة وينطلق باستقامة نحو اولب القوانين والافكار العامة ، فلا بد لنا ان نعترف بان عظمته الخاصة تقوم بالضبط في تحقيقه هذه المأثرة الخالدة ، بحيث يكون من السخف لومه على افتقاره الى الطريقة التجريبية

وانـــه ليكون من السخف ايضا ان نقيس العبقرية العربية على مقياس العبقرية الاغريقيـة ونلومها لافتقارها الى التعليل الفلسفي للكون . ان لكل عبقرية طابعها الخاص وطريقتها الخاصة. وان مأثرة العرب الخـــالدة لتقوم في تطويرهم، بواسطة المشاهدة والتجربة ، للمعطيات العلمية الموروثة عن الاغريق . ان العرب هم مبدعو التجربة بالمعنى الدقيق للكلمـــة ، وهم الخالقون الحقيقيون للاستقصاء العلمي ، فقد كانوا اول من جعل من الوقائع المعزولة عن منتها نقطة الانطلاق لكل بحث ، وعندئذ اصبح الارتقاء الصبور من الخاص الى العام ، او الطريقة الاستقرائيـة ، الطريقة العلمية الاساسية .

وان المنجزات التي حققها رواد العلم العربي على اساس المشاهدة والتجربة ، سوف تحـدد الحركة الاولية لتحرر الفكر الغربي عن طريق روجر بيكون والبير الكبيرولبوناردو ديفنشي وغاليلوس .

ان الفكر الغربي لم يستيقظ من ذلك الخـدر الذي اثقل عليه طوال قرون ، بل طوال ألف عام ، ويفرد جناحيه كي يطير الا بعد ما استملك المنجزات العربية في الميـــادين التقنية والصحية والادارية ، ثم بعد ما تبنى هـذه المنجزات على المستوى الحضاري . ولقـد اصبح وجوده اغنى وأجمل واسلم واسعد بعد ما استسلم للمؤثرات التي اسرف العالم العربي عليه بها في مختلف المجالات ، بما فيها مجال الفنون .

ولقد كان الحقد الديني وعدم التسامح العدوين اللدودين لكل حياة وكل تطور . أما ان الشعوب لن تستطيع ، على النقيض من ذلك ، ان تبلغ أوج ازدهارها دون مبادلات ما بينها ودون احترام متبادل ، ودون فتح سائر حدودها ودون مباراة ودية ، فذلـك ما يؤكده التاريخ العجيب للعلاقات بين العالم الاسلامي والغرب ، وهي علاقات عادت على العالم بالخير العميم رغماً عن الشحناء ورغمـاً عن سائر الشكوك .

وان غوته ، هذا الممثل الاسمى للفكر الغربي ، هو القائل :

« من يعرف ذاته ويعرف الآخرين لايمكن الا ان يعترف ايضاً بأن الشرق والغرب مترابطان بصورة وثيقة لايمكن ان تنفصم . »

الشيطان خلق المدنية



دراسة لاحدث الروايات الامريكية :
جون ريتشي : مدينة الليل
هربرت غولد : الملح
آل مورجان : المعجزة الصغرى

John Rechy : City of night
Herbert Cold : Salt
Al morgan : minor miracle

قلم التحرير

اكتشف الامريكان الصراع التقليدي بين المدينة والريف من خلال رواياتهم الادبية . وقد وضعوا هذا الصراع على صورة مقابلة بين الآلة وبين جنة عدن . فقد غزت الآلة وثقافة المدينة اساطير الحياة الزراعية التي بدت وكأنها تقاوم الفساد الذي يأتي مع المال والصناعـة . على ان الروائيين يجنحون نحو الغموض غالب الاحيان . فمن جهة نجدهم خائفين من العزلة والانفجار ، ومن جهة اخرى نجدهم يتمتعون بذلك . ففي المدينة ، حين يلتفت المرء الى اعماقه ليسترد اعتباره امام نفسه ، يبدو البطل وكأنه نرسيس امام مرآته : فهو يجد صورته ويجد القطيع الضائع من مواطنيه فبامكانه اذن ان يختفي بين زملائه محتميـاً بالوهم الذي تقدمه الحياة الاجتماعية له من انه يعيش بين الناس واحداً منهم . وفي الرواية الامريكيـة مازال الفلاح يهاجر الى المدينة . وينضم الى جماعة المستهلكين الذين يضطرون الى اعالة انفسهم . ولكي تنجح يجب ان تبيع . فلماذا لاتبيـع نفسك وجسدك ؟

ان تعهير الذات صفة محلية للمجتمع الانتهازي وقد ظهرت ثلاثة كتب تعالج هذه الظاهرة التي غدت مألوفة . ان جون ريتشي يصف تحصيل المال بواسطة الجنس . ويعـنى هربرت جولد بالحيوية التي استنفدها الزحام والمزاحمة . ويعرض آل مورغان الـأم القاتل والتلهف الى معجزة تغير كل شيء في احدى أبرشيات المدينة وابطال هذه الروايات جميعهم مقامرون ، كأنهم اعضاء في جمعية للمتأملين الذين يقاومون الروتين ويفزعون من الاستبطان الى العمل بحسب الظروف ان احسن ماانتجه جيروم ويدومان هو رواية بعنوان :

(حجرة الورق) وهي شهادة خام عن ارملة مقامرة تتمسك بما بقي لها من القوة والشرف في العالم غير الشخصي الذي تخلقه الموائد الخضراء . على أن لمعظم رواياته صدى منطق كاشف . يرد الشخصيات الى آلات يستخدمها تجار الدسائس .

ان آل مورغان روائي راسخ القدم . وقد استطاع ان يبث كثيرا من الجد في روايته (المعجزة الصغرى) .

اذ ان بطله الاب موري بريت البالغ سنيه السبعين يملك قوة حقيقية وهدفاً فعلياً يبعده قليلا عن الكآبة التي يثيرها حوله الجنس والتجارة اللذان يخص بهما عالم هربرت جولد في روايته (الملح).

ومع ذلك فان سأمه القاتل لايكبح جماحه الا التسامح والتخلي عن الرهان . اما المنفذ الثاني للسأم فهو النكتة الجارحة ، يقذفها على حالات التيون التي تحيط بتماثيل القديسين : « اعلم أن الطلب الثاني الذي سيطلبونه مني هو ان اضع قائمة المصاريف خارج الكنيسة، وكأنها الوصايا العشر .. لقد رأيت الصورة ، واليك الاصل . » وحين تحدث المعجزة فانها تأخذ شكلا آخر من أشكال التأمل ، وتبدو كفرصة في عالم يحكمه الروتين ويحتاج الى التغيير . ولو ان الروائي مورغان كشف الحجاب عن الصلة الروحية الداخلية بين المقامرة، والفرصة ، والتأمل غير العقلي في الكنيسة والتجارة ، لكانت قصته اجود . فقد جاءت القصة ، كما هي عليه الآن ، ذات لهجة خفيفة لم يستطع معها الكاتب ان يلتقط الصلة النهائية بين الاب وربه .

● قدم هربرت جولد في روايته (الملح) انسان المدينة ذا الياقة البيضاء، المطرود من الطبقة الوسطى، المتوتر في حالتي العمل والفراغ . يعيش حياة مصطنعة تافهة ذات تجربة محدودة ، ويخفي يأسه في الحفلات ـ وهي الوسيلة الحضارية للنسيان ـ وفي اقايين الغزو والخضوع للجنس . اما الهدف المميز للحياة فشيء يبتعد عنه الابطال . ان عالم غولد هو عالم مانهاتن المتحول ، وليس لديه شيء جديد يضيفه اليه سوى ان المدينة بعد اربعين عاما غدت أسوأ . انه يعرف الحاجة الملحة لاعادة اكتشاف الحيوية المبدعة ، والمسؤولية والحياة المستقلة . لكنه لايملك حس التغير الذي تقدمه الاتصالات الحقيقية بين الناس . ان رواية (الملح) رواية فيها حرية ومرارة ، غير ان اتجاهها الايجابي لايعدو ان يكون حنينا الى الحياة الزراعية ، حيث يتذوق المرء الخبز والخضار والهواء غير المشبع بطعم الغاز، وحيث تثبت الارض تحت قدمي الانسان . ان هذه الرواية تجيب على الاسئلة التي تطرحها ظاهرة موت وحياة المدن الامريكية الكبرى . فبطل الرواية يترهات بائع مشموذ يتاجر بالمخزونات وبالبرتقال ويرضي جسده بالفتاة تلو الاخرى دون هدف ، حتى يتوصل الى ارضاء قسوته ، باحثا عن صباه الضائع، مستنفداً حيويته في اللاشيئية . مما يجعل رواية (الملح) أكثر الروايات الامريكية عمقا في معالجتها لظاهرة نضوب الرجولة في المجتمع الذي يخصص الجوائز للاعمال الفردية الحمقاء وللفراغ المريع في حياة الشبان . إن المؤلف يرينا بدقة النقطة التي

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

يتسلل فيها السأم الى لب الحياة في المدينة ،وكيف تتحول الدوافع الى عادات مستجدة . وليس بيتر سوى نرسيس متمدن تآكلت حياته الداخلية فيما انهمك في المحافظة على جمال طلعته . ويستعمل المؤلف في الفصل الثاني اللغة العامية ليقدم لنا دان شايبر صديق بيتر . إن دان فلاح جـاء الى نيويورك ليمجد شبابه بعد زواج خائب وحنين مزيف لأيام الجندية . والاسلوب في هذا كثيف محدد ، مليء بالافعال التي تشرح عاطفة الصديقين نحو نيويورك . إن دان يحصل على الجنس،لكنه يريد الحب . وهو يحتقر الترقية التي حصل عليها في عمله، ولهجته تدل على أنانيته . إن دان يقاوم: فهو يحلق ذقنه بآلة كهربائية عتيقة ويرغب في حيـاة من نوع خاص ، ويشعر بالمرض لمجرد الاقـتراب من ناس يستبدلون الشهوة بالحب . وأسلوب المؤلف في هـذا الفصل يخضع للشعور بالذات ويستخدم الطريقة الهجائية ويصور الذعر الـكامن تحت ظواهر الثقة .

اما القسم الاخير من الرواية فينقل الحديث الى بربارا ، الفتاة التي تخلى عنها بيتر لصديقه دان، ان وجهة نظرها غير واضحة تماما . وفي هـذا الفصل اعادات كثيرة دون زيادات هامة . ويعني استسلام بربارا لدان أن المؤلف يعيد وصف بهجة الحياة وتجديدها . فهي تحافظ على جذورهـا الريفية التي استمدتها من الجنوب وتعيش حياة تقليدية تماما. على أن المؤلف مسرور من شخصياته ذات الياقات البيضاء الذين يتقلبون الى بوهيميين أثناء اللعب وليس خلال الحب الحقيقي الذي لايجده سوى العودة الى الحياة الزراعية . وهو يعود الى مهارته في اسلوب السخرية ، بدافع رفضه للحب الذي يستعمله كعقدة تربط بين الاشخاص فقط . على ان الخاتمـة جيدة : فنفور دان من مرض أسنان بيتر لايعدل به نحو الصحة سوى اعتزام دان وبربارا البحث عن (طريقـة عملية) للعيش معا فيما بعد .

● ويتناول جون ريتشي في روايته (مدينـة الليل) قطاعاً واحداً من أمراض المدينة الـتي تشيع في حياتها اليومية ويسمـح له في الوقت نفسه بأن يكون رمزاً يدل على المجتمع بأكمله دون أن يقدم علاجاً للعصاب المستحـكم . إن حوادث الرواية تدور في الليل غالباً ، ولكن بالرغم من اقتباساته المتكررة عن توموث ، فلديه كابوس يضغط على طبيعة رؤيته المدينـة فهو لايرى في نيويورك أو شيـكاغو أولوس انجلوس او سان فرانسيـسكو إلا معارض لتجارب الشذوذ الجنسي ، حيث يعمل الشرطي حارساً لراحة المواطنين . وهو يقص حـكايات هذه الحدائق البشرية على لسان شاب نرجسي من تكساس يمارس الجنس بالمال . وقوة هذه الرواية تكمن في أنها عرض لسلسلة من الحالات الشخصية لعدد من الرجال ولامرأة غارقة في عالم الشذوذ النسوي . وراوية القصة يشارك في هذا العالم الجنسي دون أن يبادله الحب . وأسلوب الرواية يضعفه الوصف وعلامات الاستفهام واشارات التعجب التي يستعملها المؤلف ليوحي الينا بانطباع أصالة الحادثة .

ان رواية (مدينة الليل) تدور حول حياة شاب ريفي تلقى أول صدمة تموت كلبه ، وتلاها

وضع أسرته وقصة حب يائسة مع فتاة ، ثم تنتهي القصة بأن يكتشف الشاب جذور قلقه ونرجسيته إنه يستطيع أن يعمل في مهنـــة ، لكنه يفضل الحصول على المال بواسطة ارضاء البالغين . وهذا الاكتشاف يعرفنا على مشاعره الشخصية ومدى احساسه بعزلته ووحدته ورفضه الحلول المطروحة أمامه من حب وتسلية .

لقد كان الانتاج الاول لجون ريتشي عملاً فذاً في الرواية الامريكية ، من حيث ان الرجال يكتشفون ذواتهم خلال صحبتهم بعضهم مع بعض: رجال دون نساء ، يذعرهم ـ الى حد الجنون ـ أن يفقدوا شبابهم في مجتمع مقيد بالجنس . وهذا الذعر هو مفتاح الرواية بأكملها . ولا يعرض المؤلف ذعر أبطاله عرضاً طبياً بل يفرق بين العزلة والعاطفة . ويبدأ بطله حياته بقبول العبث في وجود العالم ، ويتقدم بجرأة ليبتكر وجوده الخاص . فهو يتعلم الجنس مع الكره عن طريق أحد النازيين ، كما يتعلم الجنس مع عقاب الذات عن طريق امرأة أفسدت ابنها بتربيتها ، وعدت نفسها مسؤولة عن انحرافه . إن بنيـــة الرواية تقود المؤلف في النهاية الى تشخيص المرض بحيث يظل البطل لايحب أحداً ويثأر من الرجال لجنسه المشوه . وقد يتمنى ان يكون محبوبا لكنه لايريد أن يحب احداً أو يحبه أحد . وهكذا تظل حياته ناقصة ، لأنه يعتقد أن الحب يؤدي الى نقص في الحيوية . ولا يسعى المؤلف الى اصلاح بطله في نهاية القصة ولم يدفعه الحس الأخلاقي الى ذلك . إنه يسجل رؤيته الخاصة في صور لها طبيعة جنسية تفرضها بنية المدينة على ابنائها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



رسالة الصداقة والصديق

لأبي حيان التوحيدي

منشورات دار الفكر
تحقيق الدكتور ابراهيم الكيلاني

عرض وتقديم علي الحاج بكوري

وتلاقيا صديقين وما افترقا ، حيث نعمت المكتبة العربيــة بأثر من آثار ابي حيــان التوحيدي ، أخرجــه الينــا الدكتور ابراهيم الكيلاني ، في حلة قشيبة وتحقيق واف وتحليل دقيق .

اصحاب الحس المرهف ، اولئك الذين اتخذوا الكلمة الطيبة رسالة ، والانفعــال الوجداني ، تعبيراً انسانيا ثرأ ، والالقاء الفكري رابطة منطلق واتجاه ... اولئك الصفوة لاتستطيع لهم جفوة ، وانما تندفع في التفتيش عنهم ولواعوزك الامر الى مصباح ديوجين في رابعة النهار ...

على ذلك تلاقيا ،وازهر اللقاء واثمر وجاءنا الدكتور الكيلاني « برسالة الصداقة والصديق» لأبي حيــان التوحيدي ، على طبق من زرد الفكر ، وتناسق الفن ، واناقة الاخراج ؛ واذا بنا مع المحقق والمؤلف ، لاندري ايهما عاش انفعالاته ، وتمثل بيئته ووعى تيــارات عصره ، وايهما قرأ وتدبر ، وانفعل وتأثر ، فتلاقيا ولم يفترقا ، وامتزجت نفساهما في دفقة وجدانية مشعة تتفجر منهــا المشاعر الانسانية الرهيفة ، والاحاسيس البشرية الصادقة .

ونبدأ بمقدمــة المحقق ... أترانا نستطيع اجتيــازها ..؟! انقرأ الرسالة ونتسرب مع استطرادا تهاوغزارة معانيها وشيق اسلوبها... ان فعلنا ذلك ان يطول بنا السير حتى نعود الادراج نسلك الدرب مستقيا ونتأثر صواه في مقدمــة جامعة وافية،احاطت ووعت،واخبرت وصدقت.

تحدث الدكتور كيلاني في مقدمته عن عصر ابي حيان التوحيدي - القرن الرابع الهجري - وتياراته المختلفة وما انتاب الكيان العربي - في ذلك العصر - من تفكك سياسي واضطراب اجتماعي ، وابان ان الفكر في تلك الاوضاع، لقي ارضاً خصبة زاد في خصوبتها تنافس الحكام - حتى الاعــاجم منهم - في تقريب الادباء والمفكرين ، فنما انتاجهم وتألق نجمهم .

ومن الحديث عن العصر انتقــل المحقق الى

الحديث عن حياة التوحيدي والمنابع التي استقى منها ثقافته، والمفكرين الذين اخذ عنهم، وأشار الى العواصف التي عصفت به واثرت تأثيراً كبيراً في حياته الوجدانية والفكرية .

اما فكرة الصداقة والصديق وبخاصة عند ابي حيان التوحيدي فقد اعطاها حقها من التنويه والجلاء ثم حلل كتابه تحليلا موضوعياً دقيقا ، ابرز قيمة هذا الكتاب النفيس من تراثنا العربي الأصيل .

وهكذا نجح الدكتور الكيلاني فحملنا على جناح الشوق الى رسالة الصداقة والصديق .

بدأ ابو حيان التوحيدي بالتحدث عن العوامل التي حفزته الى تأليفها . ثم بسط باسلوب يعكس نفسيته الفطنة ، وخبرته الواسعة ، طبقات مجتمعه من حيث مفهوم الصداقة لديها ، ومدى تعلقها بروابطها واعتمادها في مجرى حياتها . وفي حوار بارع صور وصور وكشف عن الشروط التي تقوم عليها الصداقة المثالية .

انطلق المؤلف بعد حديث تحليلي ، عن معاني الصداقة وشروطها ، الى سرد ذخيرة ضخمة من شعر ونثر ، تصور لنا ما يحيط بالصداقة من معان وجدانية ، من أعمق جذور الوفاء الى اقصى ابعاد التنافر والتنكر ، وما يتموج بين هذين الطرفين من معاني الرضى والاعراض ، والثقة والشك ، واللين والتشدد ، والتماسك والتحول، والاقبال والجفوة، والتحمل والنفرة...

وتضمنت رسالة الصداقة والصديق - فيما تضمنت - رسائل اخوانية متعددة ، تأنق كاتبوها في اخراجها ، في قالب بياني صاف ، حملت فيض احاسيسهم واشواقهم ، ومدى ثقتهم بصلات الصداقة ، واطمئنانهم اليها ، والاستهانة بأية عقبة تحول دون ازدياد الود وتلاحم الاخاء .

وبعد ...

بين أيدينا كتاب ارتفع في اشعاعاته الوجدانية ... موضوعه قصة النفس في انفعالاتها ولواعجها واضطرابها وزهوها وتفتحها ... موضوع انساني تناوله الأدباء والفلاسفة من كل عصر ومصر ، ولكن هذا السفر النفيس ، يعد فريداً من نوعه في أدبنا العربي ، فليس له نظير في تراثنا قديمه وحديثه، وهذا الموضوع على جلاله لم يعالجه مؤلف عربي بهذا الاسلوب الفريد والاحاطة الشاملة .

يعكس الكتاب بعضا من التيارات الفكرية في عصر التوحيدي ، وهذا ما يجعل منه بالاضافة الى ما يوفره من متعة أدبية ، مرجعا يجد فيه الباحثون ، معلومات قيمة ، تلقي أضواء على ذلك العصر المغبش بالظلام .

ورسالة الصداقة تعبر عن نفسية ابي حيان وتكشف جوانب حياته ، ومن الطبيعي ، والموضوع يصدر عن دوافع وجدانية وعاطفية ان يكون مجالا ينفس عنه كربه ويجلو عمق اختباراته وتجاربه وصلاته مع أهل زمانه .

واسلوب التوحيدي ينسجم مع تدفق العواطف البشرية ، فيه حرارة وانسياب وان تأنق فانما يتأنق ، ليؤكد في الصورة الوجدانية ، قوة اللقاء مع النفس المنفعلة والقلق المتلهف والفكر المتأمل .

رسالة الصداقة والصديق في تحقيقها واخراجها هدية الفكر الوجداني المبدع الى الفكر المتشوق الى لقاء الكلمة الطيبة .

١ ـ لادرّ في الصدف ..

شعر : خليل الخوري

٢ ـ لهيب وطيب ..

شعر : سلامة عبيد

بقلم عدنان بن ذريل

عدمية ذاتية ، عابثة ، يلتقي عندها وجدان قلق للقيم ، والقيم ،والعبث أيضا .. واميال نفس سئمة ، يهدها الفراغ : وتعتصرها فكرة الموت والتلاشي ، والضياع .. تلك معالم التجربة الشعرية ، في ديوان : لادر في الصدف ، لخليل الخوري ..

الشاعر في الديوان متأمل ، وراصد ، ومصور ، وفنان ؛ أنه يتأمل الحياة ،والانسان وعلى الخصوص ، من خلال تجربته ، وكواها المختلفة المفتوحة على العالم ، وعلى الآخرين ..

الحياة تناقض ، وعبء ، وضياع ؛والانسان فيها سمو ، وطهر ، مثلما هو سقوط ، وآثام ؛ والعمر لاينفك يمضي .. انه يمضي الى الموت ، الى العدم ؛ بل كل لحظة من لحظات العمر لحظات فناء ، وعدم ، وتلاشي ..

وقد رصد الشاعر خليل الخوري، احساسه بالزمن ، وانفعاله بعبوره ، وأساه للقيم التي تمجد فيه ، ولاتلبث ان تهدر ؛ وحرص على تصوير ذلك ، بعمق ، وصدق ، ومكاشفة ..

ان الحركة النفسية ، والوجودية ، التي هي اساس النوعين الشعريين في الديوان ، النوع الوجودي التقريري ، والنوع الغزلي ، العاطفي .. هي : التعالي ... انه تعال انساني ، حياتي ؛ انه تعال من واقع ، من سقوط ، من ضياع ، من قيود، وحدود ، لايلبث ان يصطدم بالفراغ ، والعدم ، والقيم المهدورة .. نلاحظ في (اللحظةالعليا) الحس التقريري للاحساس بالقيمة :

ما الذي أبصر .. ماخلف الجنون .
ماوراء الاشتهاء ؟
عدم يصرخ : كن ما اشتهيه ، فيكون
انجم سود ، ولالون ، وبيض
عالم رحب ، عريض
وارتعاش ، فوميض
فانطفاء ..

ونلاحظ في (منتهى اليأس) الاحساس بالزمن الى جانب الاحساس بالتعالي :

لبلاد الرعشة يلتجيء
لمدار اللحظات الاغنى
لكن الرعشة تنطفيء
واللحظات الأغنى تفنى !
الدوك له قصر احنى ؟ .

ولكن تظل التجربة هي هي ؛ تتكشف عن قيمة ضائعة ، وعبث مهدور :

هذي صدفه
لاحت في اعماق الماء
كانت كالنعمى سمراء
وترددنا .. من قبل اصطدنا اصدافا
اصدافاً كانت جوفاء
فترددنا
وتثنت في الماء الصدفه
تغرينا . كانت ملساء
فاصطدناها ، وفتحناها ،
فوجدناها . .
ملأى .. لكن ماء
فرميناها ..

والديوان ان كانت تغلب عليه اصداء السقوط، واحتجاجات التشاؤم ؛ الا أن فيه لمحات نورانية، صافية ؛ ففي (الفجيعة) نسمع .

وفي زمن ليس هذا، وليس الذي سوف يأتي ،
وليس الذي قبل كان ..
رأيتك مقبلة من وراء الزمان ..
على زورق من دخان
بثوب الولاده ..

وفي مثل شهقه
رأيتك تنأين عني ، وكان السراب
يباعد ما بيننا ، والضباب
يلاشيك عني ، وانهار حرقه
تمد صحارى ظلال
فقد كنت يوماً
بكفي هذين وسدت جيدك خد التراب
واطعمت عمري صقور العذاب

في حين نجد في (الشمس والنمل) ملحمة فكرية ، شعرية للاستكشاف ، والمكاشفة ، والسمو ؛ وايضاً التعالي، والسقوط ، والضياع، تغلها حرقة للتشاؤم ، والقلق ، والاسى ..

الشمس عالية ، صليب الشمس مرتفع ،عذاب الشمس حمى ، اخطبوط الشمس ذو المليون رمح مايكف عن العراك .

الشمس تشرق فوق مملكة النمال ، وتلم النمل الملون للمتاهة ، والمتــاهة حفرة الصمت الكثيف ، وعقدة الافعى ، وبئر دون قعر ، غير ان النور وعد بالظلال ، ومن ير النور المشع ير الظلال ، وفي المتاه النمل مرصود ، وثلج الصمت يحفر في الصدور .

الشمس محرقة تجيش . النمل يعبر تائهــا ، مستسلمــا ، عريان في الثبج الكؤود ، ينوء ، يدمى ، الشوك يغمر دربه ، ويغوص في ليل الزوابع ، عينه جراح ، عذاب صليبه ابدا يميع، الرمل ملء عيونه ، والزيت فوق جبينه ، يمتار اعماق الصحارى ..

ولا خلاص . ولا مفر

ويرتمي تموز مطعون الامومة عند اقدام الرماح ، تنوش مملكة النمال .. ولا مفر ..

ويلاحظ في هذه القصيدة ، التي جعلها المؤلف في مقاطع متسلسلة ، التحرر الشعري في الوزن ، والقافية ؛ انها تعدت حدود البحر ، ومداه الى المقطع الموزون ، على اساس التفعيلة ، كما تعدت حدود القافية، ومداها ، للموسيقى الداخلية للمقطع ..

وعلى العموم ، ان قيمة الديوان في هــذه الاوصاف النفسية ، والوجودية؛ وهي ان كانت

ARCHIVE
http://Archive beta.Sakhrit.com

مليئة بالايحـــاء ، والمكاشفة ، حتى في الجوانب المظلمة .. الا أننا افتقدنا ، الى جانبهـــا ، في الديوان : الشعر النضالي ، الاجتماعي ، والثوري ، الذي عرف عن خليل الخوري ؛ وأملنا ان لايحرم منه قراءه ...

* * *

اماديوان – لهيب وطيب – فباكورة شعرية ، يانعة ، للشاعر سلامه عبيد ، غلب عليها الشعر الوطني ، والبوحي ، الذي وفر له صاحبه عناصر القوة والجمال ..

لقد ذاق الشاعر سلامة عبيد مرارة النضال ، والتشريد ، خلال الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥ ؛ ثم عاش طفلا في مخيات المجاهدين ، الذين آثروا صحراء نجـــد على الرضوخ لنير المستعمر الاجنبي ..

وقد تابع كفاحه في الحياة اثر ذلك ؛ فمن مدرساً ، فمديراً للتربيـــة والتعليم ، فنائباً ... وديوان – لهيب وطيب – شعر وطني ، وثوري ، في تصوير كفاح الشاعر ، ومراحل حياته ؛ وهو في مجموعه سلفي ، يلتزم فيه مؤلفه عمود الشعر العربي ، اوزانه ، وقوافيه ، مع شعر موشح ، رقيق ، بليغ فيه ينم عن حس للجرس الشعري ، وقيمته ..

نجد في موضوعات الديوان ، اصداء حياة التشريد في صحراء نجد ؛ واحداث ثورة لبنان عام ٩٤٣ ، ثم ثورة سورية عام ١٩٤٥ على المستعمر ؛ ثم احداث الانقلابات ، او التسلط ، والطغيان فيها ، خاصة حوادث جبل الدروز عام ١٩٥٣ ، والتي نفي فيها الشاعر ايضا الى حمص ثم الوحدة ، والاحداث العربية الهامة في كفاح العرب في العراق والمغرب ، والاحتفال بعودة المجاهد شكيب ارسلان ، اثر جلاء الاجنبي ، او الاحتفال بنقل رفات عادل النكدي الى ارض الوطن ، او الاحتفال بتكريم صالح العلي ، او رثاء عثمان الحوراني ، او ايضا رثاء عدنان المالكي ، او وصف اللاجئين ، وعذابهم ، او الحث على النضال ، والكفاح .. وغيرها ..

يقول الشاعر في (ذكريات) :

حملتني امي مع النسوة الثكلى ،
وهامت مذعورة في الشعـــاب

في كهوف الذئبات ترجو ملاذاً
لبنيهـــا ، من الطغاة الذئاب

والحفاة الايتام حولي جياع
والايامى في غصة وانتحـــاب

* * *

وتنقلت في الخيام مع الحرمان ، في مهمه بخيل السراب
هجرته حتى السباع وحتى قطرات الندى ، وظل السحاب

وترعرعت ، صرخة الثأر في سمعي وناد الحقود في اعصابي
وبلادي في قبضة البغي أشلاء تلوى في لجة من عذاب
تحت اقدام غاصب ، اودخيل ، او عميل مستحدث ، او محابي

ومن بديع قصائده ، قصيدة (ياشعب) :

ياشعب غيري تمنى   لو كان حطاب شعبه

يبري الجذوع بفأس رهيفة رغم حبه
لأرضه ولشعبه(١)..
ياشعب غيري تمنى لو كان ناراً وجمرا
يشوي حياة الأعادي
او ، لاقبض الرماد
في مقلة المستبد والغاصب المتحدي(٢)

وبعد أن يذكر أنه عرف بلاده ، سحرها وفتونها ، كرمها ، ونضالها ، وكفاحها ، يقول :

ياشعب غيري تمنى ..
في يأسه ، ما تمنى
أما أنا فرجائي
أن لايخيب رجائي
في شعبي المتحدي
لغاصب المستبد

وامثال هذه اللمحات الذكية ، نجدها هنا وهناك ، في الديوان ، جنبا الى جنب ، مع المشاعر الوطنية النبيلة ، السامية .. ان الالتزام في الديوان حقا صادق ، وامين ، ومشبوب ، وفي ذلك قيمته ، وقوته ..

---

(١) اشارة الى قول ابي القاسم الشابي :

أيها الشعب ليتني كنت حطابا فأهوي على الجذوع بفأسي

(٢) أشارة الى قول الشاعر القروي :

فكونوا النار تحرق أوقذى في عيون البطل ان كنتم رمادا

النفق والارقام

تأليف : اسكندر لوقا

عرض وتحليل نزار عبيد

مع قدوم فصل الشتاء .. فصل العطاء والمطر يطل علينا من جديد الاستاذ اسكندر لوقا بباقة جميلة اللون كثيرة العطاء في مجموعته القصصية « النفق والارقام » . اول مايلفت الانتباه في هذه المجموعة عنوانها الذي نزع به الكاتب الى الرمزية في التعبير والمحتوى مما يثـــير في نفس الانسان خاصة في حب الاستطلاع والمعرفة .

تبدأ المجموعة بقصة « النفق والارقام » التي تصور للقارىء بشكل جلي واضح واقع الانسان الانهزامي .. السلبي الارادة .. الذي وضع على عينيه نظارة سوداء يرى الوجود والموجودات من خلالها . هذا الانسان الحزين وقف ذات مساء يستعرض شريط حياته التعيسة الاليمة .. حياته التي لاقيمة لها بعد ان كشر الدهر بنابه وسامه القدر انواع العذاب . في هذه اللحظة الرهيبة التي تعتصر الاسى خمرا صور لنا الكاتب جانباً مشرقـــاً من الحياة . . صور لنـــا الالم بفضل مقارنته الموفقة بالفرح والسرور وبضدها تتميز الاشياء — .

اما قصته الثانية « التيار » فقد اعطانا فيها جانباً ثانياً من الحياة في مجتمع يسيطر فيه الزيف ويترعرع الخداع وتداس فيه المثل والقيم، البطل في هذه القصة امرأة رماها القدر بزوج مترف يحسب المرأة متاعاً انيقا جميلا كسيارة فارهة او لباس انيق دون ان ينظر الى الروح كبشر يقدر الحب ، يقدر العطف والحنان . يقدس المثل والاخلاق الفاضلة . وقد اطلق القاص على هذه القصة اسم « التيار » الذي يجرف اخيرا مايقف في طريقه ويحد من هديره . هذا التيار اراده الاستاذ لوقا ان يكون تياراً لعادات وتقاليد اجتماعية تحياها الاسر وسط روائح الخمرة والاجساد المتفصدة بالعرق والموسيقى الصاخبة .

في هذه القصة ايضاً نجد القاص يميل الى المدرسة الرمزية في اختيار العنوان اما طريقة العرض والقالب اللفظي فقد تميز بالبساطة والسهولة وحسن الحوار وحذاقته .

« ودار في رأسها حوار قصير حاد :

قال زوجها حانقا ذات يوم :

— انك نادمة . اعرف هذا الامر تماما .

— وكيف عرفت هذا الامر تماما ؟

– يبدو عليك ذلك كظاهرة مرضية في الامعاء لا يمكن ان تخفى على أحد ». هذه هي عفوية الاسلوب وحسن الحوار عند اسكندر لوقا ظاهرة للعيان في قصصه ولعل البساطة ميزة يتميز بها اسلوب الاستاذ لوقا الخالي من التعقيد والتكلف.

هذا من حيث القالب أما المضمون فقد أتى باقة ملونة من الافكار والامور الاجتماعية الا ان اللون الرمادي الذي يمثل الحزن والسلبية يغلب على اكثر قصصه فنرى ابطاله ابطالا انهزاميين يعتريهم الخور في كثير من الاحيان امام الحياة ومشاكلها والانتصار والفوز يكاد ينعدم عند ابطاله ومرد ذلك الى نوعية ابطال قصص الاستاذ لوقا التي اداها في نظري متشائمة الى حد ما.

الامر الذي عكس اضواءه المنطوية في اللاشعور على مداد قلمه فجاءت حروفه وافكاره ظلا لمكنونات نفسه. ويمضي بنا الكاتب مفتشا باحثا عن الاحزان والآلام التي لا يستطيع السرور محوها ولا الثأر تبديدها كما في قصة « الصنم » قصة الانسانة المغلوبة على امرها التي اتت لتتحمل اعباء غيرها وتمحو بخنوعها كبرياء الآخرين وتعجرفهم.

ماذنب هذه المسكينة حتى يرميها القدر خادمة بين يدي سيدة متعجرفة وجدت فيها مكان الحقد كل ذنبها انها تشبه غريمة السيدة المتعجرفة التي سرقت « كمال » ونازعتها في حبه، فغدت قربانا لأوزار غيرها.

« يؤرقها هذا الوجه : تؤرقها العينان التمليتان. الأنف الدقيق بحجم حبة اللوز، الشفتان الشرهتان. ولا تدري كيف ينبغي لها ان تتصرف. »

في هذه القصة يعطينا الكاتب فكرة جلية واضحة لعذاب بلا ثمن ولحزن لا يبدده الثأر والانتقام.

استعرضت في هذه السطور القليلة بعض قصصه ولا استطيع التصدي لكافة القصص غير اني استطيع استنباط بعض المميزات والخصائص من هذه المجموعة.

اول مايبادر القارىء ويظهر له بوضوح عند قراءة المجموعة العاطفة الصادقة التي يعيشها القاص في جميع قصصه حتى يخاله أحد شخوص أبطالها أو أحد الذين عاشوا تلك الأجواء على خشبة مسرح الحياة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اضف الى ذلك أصالة العاطفة في جميع حروفه وأفكاره مما يجعل القارىء يسبح في بحر واسع مياهه عاطفة الخير .. عاطفة المحبة .. عاطفة الحنو على الانسانية وعلى كل معذب في هذه الارض وما اكثر المعذبين فيها ؟ ! . أما اعتماده على التحليل النفسي فهو المحور الرئيسي الذي يرتكز عليه في معظم أفكاره وتصوراته. فتراه سابراً اغوار النفس مفتشاً في مجاهلها ومتاهاتها باحثاً عن الحقيقة والخير والألم عند كل بطل من أبطاله. وكثيراً ما كان يجد الحقيقة عارية عن كل زيف ظاهرة دون قناع مع انه أحياناً اخرى يقف في حيرة من أمره عند تضارب العواطف ووقوف الشر أمام الخير وجهاً لوجه.

←

مجموعة قصص تأليف محمود الظاهر – بغداد

عرض وتحليل: سعد الله ونوس

منذ اول قصة اجتذب اهتمامي هذا الكاتب الشاب الذي لم أقرأ له من قبل .

. . رجل متمدد في الفراش ، والسماء تمطر في الخارج . وحبات الماء تتشكل على الزجاج طيفا مشنوقا يشد أنشوطته المرنة الى العميق . . الى الكثافة والصمت ، حيث تتفور (الأنا) عبر سياق زمني مختلط تتكشف مختلجاتها فيه بايماءات كالصمت ؛ لكنها عنيفة كالدوي ينسفح على مدى خاو

بالأمس قتل زوجته . تم القتـــل مراراً في مخيلته . وكانت السادية التي تؤكسد دمه تبحث عن اشباع أشد اثارة . عن القتل المتكرر اليومي الذي يرسم حكاية عذاب لاتنتهي . لكنها ماتت . . هكذا ، وكأنها قد اهانته المرة الثانية .

في المرة الاولى ، ثمة حدث غامض انطبع اتفاقا في الباطن كصورة في الحلم . الا انهـــا – مع هـــذا – كانت اقوى من الاحداث الواقعية في ذروة تفجرهـا . رجل يلتقيه . . . وباب يصفق . . وثياب امرأته مبعثرة . وتهيج وساوس تسأم النقـــاش ، وتكره مماحكات الاستجوابات . وساوس ربما اطلقتها رخاوة قبلية ، وربما كانت ناجزة قبل ان يطفو ذاك الحدث الغامض ؛ لكن ما قيمة هذا كله اذا كانت قادرة على تغيير وجود بأكمله ، وفصم كل العقود الحياتية التي تحدد هذا الوجود ؟! . .

ان الموت ذاته رغم الثلوجة التي يفرضها على الشعور لم يهدىء شبق التعذيب النابع من هـذه الوساوس . (أنا رجل لايختلف عن الآخرين . كنت ابحث عن شيء يعادل الذل او يوازيه . . شيء استطيع به تمزيق الاهانة التي لحقتني باهانة مماثلة . . . . . قطرات الماء المشنوقة هذه تذكرني بخطة كنت قد اعددتها لهـــا . ولكنني وجدت نفسي غير قادر على تنفيذها . وبالتالي لم ترق لي الفكرة . كانت سريعة . وانا كنت اريد موتا بطيئا . . بطيئا الا انها ماتت . . ماتت)

ولافائدة من البحث عن الحقيقة الموضوعية ، كما لاغناء في التلكؤ امام الحكم الخارجي ممثلا بمؤسسات العدالة والاعراف العامية . ان المؤلف

→

واذا أردنا أن ننسب كل قاص الى مدرسة في القصة أو نصنفه حسب اتجاهه القصصي فانني اضع الاستاذ اسكندر لوقا في مدرسة القصة الواقعية لنهجه المنهج الواقعي في اكثر قصصه وفعلاً لقد وفق اسكندر لوقا في هذا الاتجاه رغم الطابع المأساوي الذي غلف بـــه اكثر قصصه .

وقد كان لاسلوبه السهل المبسط الأثر الأكبر في اظهار الأفكار والابطال اظهاراً موفقاً .

يرفض ذلك منحياً (خارجية) اللوحة . ليس ثمة خارجية . هنالك دخيلة فحسب . ذات تختزل بانفعالاتها واصطراعاتها وتحيزاتها وقلقها العالم برمته . ثم ما العالم ؟ انه صورتنا عنه . وهكذا فالحقيقة اذن داخلية لاريب .

ومن هـــذه الزاوية يمكن ان يلقي ضوءاً ساطعاً على الأقاصيص الست ، التي احتوتهـــا مجموعته النـــافذة ، والتي استقها الكاتب من لزوجة واقعه الرث الذي ينضح بالتناقض ، والتراكم المتعفن لقيم هرأها الزمن دون ان تهترىء في نفوس – المتواجدين – بها .

فأحداث هـــذه القصص لاتبدو في معظمها شرائح مجتزأة من تيار وعي يحيا في الزمان . وعي فردي متناسب مع ابعاد الشخصية ، يجابه وجوده دوما من خلال احتكاكاته اليومية مع ظروفه وبيئته ومصاعب حياته . فليس هنالك ملامح او أطر . تبدأ في الاعماق المبهمة ، وتمشي في هـــذه الاعماق نفسها ، وقد تكشفت بعض زواياها ، وتضوأت عذاباتها في لقطات ذكية متناثرة ، وتعليقات هامسة لها حميميتها وحرارتها الخاصة .

فأم جوقي ، والصغير حمزة ، وهيلة ، وغيرهم .. شخصيات تتفتح ، وتتبلور ملامحها بالاستبطان الذكي الموائم لوضعياتها الماهوية والتاريخية .

وهذا الاتجاه في القصص عسير وشاق . بل انه (شمرة) تفرق واديين . اذ أن الغوص الى ظلال الباطن قد يغري بتداعيات متلاحقة تفتقر الى النظم او وحدة الغرض ؛ فتتحول القصة بذلك خليطا مرتبكا يتوه فيه القارىء دون ان يجد متكأ يقف عليه بيقين . او قد يبقى الغوص رهن فكرة مسبقة تريد ان تؤكد جوهرها ؛ فيعتسف جواً باطنيا مفتعلا يبرر الفكرة ، بيد أنه يعمى عن تبرير نفسه .

والترجح بين هـذين المزلقين يشخص اقسى مشاكل الاقصوصة العربية المعاصرة . فالاستبطان يحتاج الى موهبة خاصة ترفدها الثقافة النفسية المعمقة ، والى اختيار حاذق للحظتي النفاذ والانسحاب . وبدون هذين العاملين لايمكن ان ننجو من العثار ، ومن التخلخل التزييفي الذي يطبع كثيراً من انتاجنا .

والذي ادهشني لدى محمود الظاهر هو تخطيه تجربة (الشمرة) دون ان يهوي في غور اي من الواديين . حقا انه يرتعش احيانا ، لكنه غالبا لايسقط ، فهو يتخير بمهارة نادرة افتتاحية لحنه .. لحظة غامضة ، ملفوفة ومختصرة كالجرف في التيار يجمع الامواه في دوامة متشابكة توحد الماضي بالحاضر والمستقبل . ثم ينطلق اثرها يحلل ويستكشف ، تحميه حادثة صغيرة من التشتت والضياع ، وبصيرة واعية من العسف والافتعال ، مستغلا في تجواله الايجاز ، والجمل المقطعة الموافقة لاجواء النفس .. وتناوب الصيغ بين الـ (هو) والـ (انت) ، والـ (أنا) . وتناوب صيغ الكلام باختلاف ايحاءاتها مفيدة ولا شك في استنفاد كامل الحالة النفسية وترجمة شتى وقائعها .

اما الفكرة الاساسية التي تدور حولها اقاصيصه ، فهي انعكاسات الاوضاع المتردية على انسانه الذي يحيا في جوفها . هنالك الصبي الذي يفر من بيت ابيه في حالك الليل خوفاً من العقاب ، بعد ان

ARCHIVE
http://Archivebeta.sakhrit.com

تمردت يده تحت الحاح القهر والصفعات والعذاب الموصول ، فضربت بطن خالته الحبلى . حمزة الصغير الذي يشرح لنا بافكاره الساذجة، المتساوقة حكاية قرية يفتك بها الظلم الاجتماعي والاقطاع والاملاق .

وهنالك هيلة التي يقلقها الموت المنتظر تدفع اليه شبهة كاذبة ، والتي تضطر بتأثير هذا الرعب الى الفرار مع حبيبها ، فيا يرغي والدها متوعداً بغسل العار .. وهنالك ايضاً الفتى الذي يرتعد من عصا الاستاذ الغبية الجاهلة مأساته ، اذ تتوزعه مشكلتا بيع صينية البقلاوة في الليل ، والمدرسة في النهـــار .. وهنالك ام جوقي التي يضطرها الزمان الى التذلل لباقر الاعور ، بعد ان كانت — في القديم — تحسن الى بؤسه ومسغبته ، وبعد ان رفضته في الشباب زوجاً لها .

واذن فان استبطانات الكاتب ليست تهويماً في الفراغ ؛ بل انها صرخات احتجاج تستمد صلابتها من تطرف السلب الذي يفجرها ... انهـــا — بتعبير آخر — تعرية نفاذة لأمراض الواقع وشوهاته ، دون خطابيـــة سقيمة او تهويل فج عقيم .

ولعل ذلك ما يجعلنا نحترم هذه اللقطات القصيرة ، اكثر من تلك السديميات التي يحترف نسجهـــا الكثيرون ، والتي تعجز عن اقرار اي معنى ، او اية فكرة الا الفوضى الذهنيـــة التي يتحلى بها اصحابها .

تبقى بعدئذ ملاحظة كنت اود لولا ضيق المجال التبسط في الحديث عنها . انها عامية الحوار . ترى لماذا ؟

قال نجيب محفوظ مرة في معرض التعليق على مشكلة العامية : (انني ادهش الذين يثيرون هذه المشكلـــة ، فالقارىء الذي يفهم السرد المكتوب بالفصحى لن يعجزه فهم الحوار الفصيح ، ثم ان العامية لاتخطط للواقعيـــة ، لاننا في مجال اغنى واعمق من التصوير الفوتوغرافي) .

وتعليق نجيب محفوظ واف حول هـــذا الموضوع ، نضيف اليه ان استعمال العامية عبارة عن افقار لشمولية القصة ، فيتركها لصيقة بيئة محلية ضيقة ، ويسورها بحواجز مانعة للفهم ... يبرهن على ذلك هذا المطلع : « قالوا عكال الزير مال .. يابوي تراني لاحجيت وياه ، ولا اعرفه منين . بس عيوني كبلن بعيونه وشفاي رجفن لما كرب بي وخفك كلبي لما مشي حذاي هذا الصدج يابوي . والله ما اجذبت وحاشي التكي وياه وخلي ايد بايـد . بس لبعيد .. لبعيد . تراني يابوي انا احب هواي وكلبي يرف عليه) .

اني اتساءل : كيف يمكن المصري مثلاً او التونسي ان يفهم هذا الكلام .. ام ان ما يعنينا هو الفهم المحلي فحسب ! لا .. ان واقعنا القومي يفرض علينا نظرة اوسع وابعد .. اضافة الى ان الفصحى لاتعوزها امكانيات التبسيط الهائلة وتكفي قراءة بعض روايات نجيب محفوظ للتيقن من ذلك . كما ان الفوتوغرافية شيء يختلف عن الفن ، بل يختلف كثيراً .

حول جولة المسرح الفرنسي بدمشق

للدكتور رفيق الصبان

العبقري .. والحقل الأجرد

غرفة غارقة في ظلمة حارة ، ضوء شيطات ينساب من نافذة وهمية .. ورجـل وامرأة في فراش واحد .. وكل شيء في ارض الغرفـة مبعثر .. ثياب المرأة الداخلية السوداء .. معطف الرجل وقميصه المفكك .. كأس من الخمر مقلوبة وثلاثة كتب دون نظام أمام النار . وزوج عجوز يصل الى دار عشيق زوجته ... ويدور بينه وبين العاشق .. حديث طويل مليء بالعبارات الزنجة ، ينتهي بوصول الزوجة واختفاء الزوج المسكين .. وراء (باراقان انيق) خوفاً من ان تكشف زوجه انه يلحق بها ويعبث بتصرفاتها الخاصة التي هي قبل كل شيء ملك حقيقي لها .

او امرأة شابة تعلن في جريدة كبرى عن حاجتها لرجل جميل انيق لمهمة ذات خطر مقابل اجر كبير .. وحين تكتشف امر هذه المهمة نجد ان الزوجة الخائنة تريد ان تضل زوجهـا عن عشيقها الحقيقي صديق العائلة الحمـيم فتلجأ الى استئجار رجل آخر كي تزيف ماضيها امام زوجها ، وكي تجعل العشيق المستعار يدفع ثمن خيانة لم يرتكبها .

او امرأة في الاربعـين تعشق احـد اصدقاء ابنها .. وتؤويه لديها في بيتها المنعزل وتجعله يترك احلامه وحبه ليعيش معها في حلم مسحور صنعته فراشة موهومة فقدت كل الوان اجنحتها .

او عاشقان يهيمان باخلاص في حب مشترك الى ان تأتي احابيل امرأة لعوب .. فتجعل المحب الساذج ينسى حبه وتجعل العاشقة تندفـع وراء ثوب رمادي اللون صنع من غبار الماء ، ستدفع لاجله حياتها .. وترضى بالزواج من رجل رأته مرة واحدة .. ولكنها عرفت كم يمكن لهـذا الرجل ان يمنحها من اشياء اخرى غير الحب .

هذه هي بعبارة سريعة موجزة .. الصور التي قدمها لنا في دمشق فريق جان هيبرتي للتمثيـل الذي أتى الى دمشق برحلة مسرحية ثقافية اراد فيها ان يقدم لنا روائع المسرح الفرنسي الحديث : (لنحلم حلما) لساشا غيتري (نينا) لاندريـه



روسان (دومينو) لمارسيل اشارد (آلة الكتابة) لكوكتو والخيانة المزدوجة لماريفو. اني لااهزل ولااحاول ان ابرر نعم . من كل صفحات الادب المسرحي الحديث اختارت الفرقة الفرنسية الشابة هذه الاسماء غيتري وروسان واشارد وكوكتو (اذا وضعنا جانبا ماريفو الذي اصبح فاتحة الطعام لاية وليمة يقدمها المسرح الفرنسي اليوم .. في اي قطر كان وفي اية مناسبة كانت) .

ان المرء ليصاب بشيء اكثر من الدهشة . . نوع من خيبة الامل !! والتساؤل ! ألم يجد مدير الفرقة الماهر في كل صفحات المسرح الفرنسي الحديث سوى هذه الاسماء ؟؟ يخيل لي لحظة ان فرنسا كانت مهدا لاهم الحركات الفكرية ... ربع القرن الاخير .. فهي التي قدمت للعالم سارتر وكامو وآنوي ومونترلان ، وهي التي جعلتنا نكتشف حرارة فلسفة سارتر وبراعة والم كامو .. لذع انوي ومهارته في التركيب المسرحي وبراعة مونترلان المذهلة احيانا في سبك الجمل التي تسمع والتي تقال .. فرنسا التي فتحت اكبر مسارحها لتقدم لنا مسرحيات (بكيت) التي هزت الدنيا فيما بعد وعالم اينسكو المضطرب المعقد القائم على عبثية لامتناهية في اللفظ وفي الحادثة وفي الفكرة .

فرنسا التي اعتبرت مسرح (بيراندللو) مسرحا لها .. ومسرح تشيخوف ذا روح فرنسية اكثر منها سلافية .. والتي تقدمه اليوم كل موسم على مسارحها الرسمية وكأنه مؤلف فرنسي اصيل

فرنسا التي اعتبرت نفسها حارسة للثقافة الاصيلة حتى لو انها من غير بلدها .. والتي دافعت حتى الموت عما اعتدنا ان ندعوه بالمسرح العقلي ، تقدم لنا بعد انقطاع مسرحي دام اكثر من عشرة اعوام روسان واشارد وغيتري ؟؟ اعرف ان هؤلاء المؤلفين الثلاثة هم ابرع من كتب (كوميديات الشارع) واعرف بعد ذلك انلهم شأناً كبيرا في ملء صالات كبيرة من المسارح كل موسم .. لسهولة مسرحياتهم وسلاستها ولبعدها عن أي عمق نفسي .. وأعرف بعد ذلك كله ان مسرحياتهم تضحك اي جمهور كان في اي وقت عصيب . ولكن هل يعتبر كل هذا مبررا لتقديم هؤلاء المؤلفين كلهم لجمهور لازال يعاني مرحلة مخاضه المسرحي ولا زال يبحث عن طريق الشمس بصعوبة ؟؟

اني افهم ان يكون النجاح باشعته ذات الالف بريق قد اعمى الى حين بصر المشرفين على الفرقة ودفعهم الى اختيار ما اختاروه لنا !! ولكن مالا أفهمه على الاطلاق .. ان يساء تمثيل (ماريفو) الى الدرجة التي رأيناها عليه كي تقدم المسرحيات الاخرى باطار نراه براقاً وبحماسة وصلت الى حد الهوس في بعض هذه المسرحيات (كنينا مثلا) .

ولكني اتسرع في ابداء الاحكام ، ولعل من الافضل لي ان اتبع الطريقة الديكارتية المنهجية وان احلل المسرحيات تباعا كما عرضت لنا .. قبل ان اصل الى استخلاص نتيجة عامة سلبية كانت ام ايجابية .

عالم ماريفو عالم مصنوع من احجار الشطرنج . عالم من العواطف المتقلبة ومن الستراتيجية المصنوعة التي تدور فيها الدمعة دورة فراشة قبل ان تنحدر .. والتي تموت فيها الصرخة وراء مروحة عريضة مفتوحة من الدانتيل الفاخر .

كي نحب ماريفو علينا ان نؤمن مثله بلا ديمومة الاشياء .. وبجريان الماء الاسود وراء كتلة كثيفة من الاشجار .. يجري بينها ليصل الى ساحة مضيئة من الشمس تحاول ان ترفع عنه رائحة العفن العالقة به .

ان ماريفو يضع لنا في كل مسرحياته مخلوقات متغايرة مختلفة تماما .. يصطدم بعضها بتلك بعضها الآخر كالنجوم المتباعدة دون ان تتصل ابدا .. وعلينا (كما اعتقد) قبل ان تقدم ماريفو ان نفهم هذه الحقيقة التي لا يستقيم بدونها مسرح (ماريفو) ، او « الماريفوداج » الأثور كما اعتاد الفرنسيون ان يدعوه .

ومسرح ماريفو بعد ذلك يحتاج الى هذه المهارة في اظهار برود العاطفة .. واخفاء جرحها، اشعار المتفرج انه امام كتلة من المرمر الذي يحترق من الداخل . او انه امام عاصفة لابد لها ان تثور ... وان هذه العقلانية الباردة في تسيير العواطف لابد لها ان تنفجر يوما مهما كان الامر .. وان تجعل من الواقفين في طريقها تماثيل من الملح .. ولعل (توقع الانفجار) هذا هو ما يعطي مسرح ماريفو اهميته المعاصرة برأيي . . ولعل نجاح جان فيلار وبلانشون في تقديم مسرحيات ماريفو العام الماضي في فرنسا كان يعود الى شعورهم



بالمأساة عند ماريفو وراء قناع الكرنفال الملون . . واحساسهم بان حركات الشخصيات الموزونة ليست الا رقصة الموت لرجل يشعر بالخنجر في احشائه.

وهذا ماغاب تماما من مخرج مسرحية (الخيانة المزدوجة) فما رأيناه كان اداء بارداً لنص بارد وحركات موزونة لمجموعة من الدمى . . تتحرك حركة قد فرضت عليها . . وحين تصرخ صرخة الالم احيانا يخيل الينا ان الصرخة قد جاءت في غير محلها . . وان الممثل او الممثلة اللذين اطلقاها قد اخطآ المكان او النص او اخطأوا فهم انفسهم ودورهم .

العاشقان البريئان اللذان كان عليهما ان يمثلا البراءة في المسرحية كانا مثالا للاعتباطية والغباء وعدم تعدي الحدود الضيقة التي يعيشان فيها .

والمرأة الوصولية التي تحيك المؤامرة كي تعجل الفلاح الشاب يسقط في فراشها ، وكي تدفع العاشقة الساذجة الى احضان امير المقاطعة لم تكن في مستوى دورها . . لم تصل بينه وبين شخصيات (لا كاو) في (علاقاته الخطرة) وانما جعلت منه دوراً يعتمد على حركة اليدين (وقد كانت بارعة اخاذة) وعلى ارتجاف العنق وعلى الابتسام في غير موضع الابتسام . . اني لا أشك في موهبة السيدة ليزدولامار . . فهي موهبة كبيرة وقد اثبتتها في المسرحية الثانية التي تلت الماريفو . . ولكنها هنا قد بدت في غير مكانها . . وكم يحز في نفسي ان اقول ذلك عن ممثلة كبيرة من الكوميدي فرانسيز يفترض فيها ان تجيد تمثيل شخصيات ماريفو اكثر من ان تبدع في شخصية لاندريه روسان . .

ولا ألوم باقي الممثلين .. فالثياب التي اجبروهم على ارتدائهـا كانت اكبر بكثير من اجسادهم الصغيرة اللينة .. لذلك تاهوا في مجاهل لم يعتادوا عليها .. واغرقونا معهم في بحر زائف لاقرار فيه . رجل واحد نجا من كل هـذا الدمار ، ووضع اصبعاً نبيلة على دور نبيل فاعادنا الى عالم ماريفو المليء بالشباك التي يضيؤها نور مجنون عابث : هو ريموند جيروم الذي لعب دور الامير العاشق الذي يحيا وحدته والذي يؤمن بعبث الحب .. ولكنه يرغب مع ذلك بتأكيد عبث حياته وعبث العواطف بأن يفسد عاطفة شابة قد تعيده الى الايمـان اذ قاومته وقاومت الاعيبه . » اني لا أنسى نظرته الاليمة الاخيرة .. والفتاة العاشقة تضع رأسها الصغيرة على كتفه .. انها نظرة الرجل الذي نال انتصاراً لم يكن يرغب فيه .. والذي غاص الى الابد في وحدة ثقيلة قاتلة ستكون سجنه وجلاده وسماءه في آن واحد .

اني اتصور لو تسنى للخيانة المزدوجة ان يمثلها ممثلون كريموند جيروم في كافة ادوارها ،ولكن يبدو ان سخرية الاشياء ارادت ان تفتتح الفرقة الفرنسية موسمها لدينا (بخيانة مزدوجة) ولعل عنوان مسرحية ماريفو كان هو وحده الشيء الحقيقي الذي فسر لنـا كافة الامور في هـذا الموضوع كله .

واذا انتقلنا الى (نينا) لروسان وجدنا كل شيء قد تغير فجأة ، وكأن عصا مسحورة قدلمست هذه الشخصيات التي كانت قبل سهرة واحدة دمى متحركة ، دبت فيها حياة من نوع خاص فراحت تلتهب وتصرخ وتحيا حياة محمومة ، وتدفع بنص من الدرجة الثالثة الى مستوى الكوميديا الحقيقية والى مستوى الالم المصهور الذي لايطبعه الزيف .

(نينا) امرأة قوية ، وشأن كل الاقوياء في العالم ، هي امرأة وحيـدة ، الحب بالنسبة اليها وسيلة مكشوفة تقود دوما الى (الوحـدة) . هذه الوحدة التي بدأت (نينا) تقبلهـا كقدر محتوم ، وكمصير لايمكنها الهرب منه . تقول في احد مقاطع المسرحية (انني افهم الامور . افهمها كيف تقع ، وافهم اسبابها ونتائجها ، افهم ماذا يحب الرجال ، ولماذا يحبون ؟؟ ولكن مالا افهمه هو انني لم استطع العثور على الانسان الذي يفهمني ان هذا يبدو مضحكا حين تقوله ، ولكنه يبدو فاجعا عندما افكر فيه) .

هذه المسرحيات ذات النص البارع السهل وجـدت في ريموند جيروم وليزد ولاما روجاك دومنيل مجموعة من الممثلين استطاعوا ان يدفعوا بالنص الى اعماقه البعيـدة وان يلقوا اضواء على شخصياتهم المسرحية زادتها عمقا وكثافة ،وهكذا خرجت ليزد ولامار بمشكلة (نينا) عن ابعادها الظاهرية كمشكلة خيانة زوجية وجعلتها تأملا خفيا وحزينا عن بلاهة العواطف البشرية وعن امتداد النفس العملاقة ووحدتهـا الكئيبة . وهكذا استطاع جيروم ان يرسم لنـا صورة آسرة عن شخصية العاشق الذي لاهدف له ، والذي يفكر بالموت كحل ممكن ضمن حلول اخرى يستعرضها ليخرج من ازمـة نفسية تعذبه . واستطاع الى جانبه (دومنيل) بمهارة نادرة ان يرسم لنـا نموذجا حقيقيا لزوج خائب يدور دائمـا في فلك غيره .. ويحلم بالمغامرات التي لم يستطع ان يحققها

في حياته والتي ينظر اليها من وراء نظارات سميكة ، ويضحك لها من اعماقه كما يضحك الطفل حينايرى المارد يخرج من قمقمه المسكين .

انني لا أرى في تفوق مسرحية (نينا) على مسرحية ماريفو انتصاراً للمسرح السهل على المسرح المعقد قدر ما ارى فيها درسا لما يمكن للتمثيل ان يفعله في انجاح مسرحية ما ..

لقـد فشل المثلون الفرنسيون في التعبير عن روح ماريفو وقطعوا كل الاسلاك الذهبية الشفافة التي تعب في صنعها جيل كامل من المثلين قبلهم ، ولكنهم كم نجحوا في جذبنا الى مسرح (روسان) الشبيه بعلب الحلوى الملونة التي تختفي فيها بضاعة تفسد الاسنان .

سوء التمثيل هو ايضاً ما استرعى الانتباه في مسرحية كوكتو (الآلة الكاتبة) ولكن ان كان نص ماريفو قد جذب اليه رغم رداءة الاداء بعض المستمعين فان زيف كوكتو قد اكسده المثلون هذه المرة بشكل لا يقبل المناقشة او التبرير .

جان كوكتو انسان عجيب ، حاول كل شيء ، وكتب في كل شيء ، كان شاعرا وقصصيا وروائياً ، كتب للمسرح واخرج للسينما ووضع اسسا جديدة لرقصات باليه ، هندس للديكور ورسم اللوحات الكبيرة وزين الكنائس ، بل انه زاول ادمان الافيون وكتب عن ذلك كتابا طويلا ، ولحن الاغاني وقام احيانا بتمثيل بعض ادواره ، التي وجد ان لا احد من المثلين يمكنه اداءها ، واخيرا قام ببعض الامور الفنيـــة الاخرى التي لا اذكرها كلها الان .

انا لا ادعي ان كوكتو لم يكن موهوبا ، وانما اقول ان تعدد مواهبه قد جرفه الى نوع من عدم التركيز مؤسف احيانا ، وانه قد كشف الزيف الكبير الذي يكمن وراء مواهبه التي احسن اكثر من غيره تعدادها وتعداد اصولها .

وبعـــد ان الناحية التي تثير اهتمامنا اليوم من كوكتو هي كتابة المسرحية فانني لن اتردد عن القول بان جان كوكتو ، قد منح المسرح الفرنسي عددا من المسرحيات الجيدة التي سايرت روح عصره وعبرت عنها ، واشهرها في رأيي (باخوس) التي عالج بهـــا مشكلة الحرية والرجل الحر في القرون الوسطى ومسرحية (الآلة الجهنمية) التي طرح فيها بطريقة متينة جذابة مشكلة اوديب الملك بشكل عصري حاد . ومسرحيـــة (الآباء المخيفون) التي رسم فيهـــا صورا رائعة لنماذج بشرية تعاني من عواطف معقدة غامضة . لذلك لا ادري السر العجيب الذي دفع فرقة (جان هيبرتي) الى اختيار مسرحية (آلة الكتابة) لتقديمها للجمهور الدمشقي كنموذج لاعمـــال كوكتو المسرحية . (الآلة الكاتبة) مسرحية الفها كوكتو سنة ١٩٤١ في غمرة الحرب العالميـــة الثانية ورمى فيها كما اعترف في مقدمته الى تصوير الريف الفرنسي ومخازيه والى تصوير طبقـــة بورجوازية ريفية تموت مختنقة بخيوط عنكبوت صنعتها هي بنفسها .. الفكرة رائعة وقد سبق كوكتو اليها كاتب آخر هو (فرانسوامورياك) بقصصه المختلفة الغارقة في جو ضبابي بارد وبرائحة عطر مجهول يفوح عبر السطور ..ولكن كوكتو ليس مورياك . . وخاصة في (الآلة الكاتبة) المسرحية هزيلة مفككة لاتستقر على حال .. فهي

حينا مسرحية بوليسية .. وحينا آخر مسرحة نماذج بشرية وحينا ثالثا مسرحية توائم .. وحينا رابعا مسرحية امرأة عجوز تعشق حبيبا شابا من رفاق ابنها : اضطراب في تفكير المؤلف .. اضطراب في تسلسل الحوادث .. اضطراب في تصوير الشخصيات واخيرا شاعرية جافة في الحوار تحاول ان تثبت نفسها دون نجاح.

وكما قلت قبلا لم يساعد التمثيل بأية صورة من الصور على انقاذ الموقف بل زاده تعقيداً .. اذ لم يكن (جان لويس جيا) الذي قام بدور الفتى ، سيئا قدر ما كان في هذه المسرحية ولم تكن ليزد ولا مار متصنعة قدر ما كانت في دور (سولانج) المرأة العجوز التي يدفعها الملل الى حيا كة مصيرها بيدها .

رجل واحد استطاع ان ينقذ نفسه من هذا الدمار كلـــه .. وان يعيدنا الى جو المسرح الصحيح هو جاك دومنيل الذي نجح في جمـــله الصغيرة الى اعادة ثقة المتفرج التي تزعزعت منذ الربع الساعة الاولى للمسرحيه .

اما مسرحية (مارسيل اشارد) دومينو .. فهي لم تبد لي فارغة خفيفة كما سمعت من الكثيرين عنها .. بل اني اميل الى القول مع بعض النقاد الفرنسيين ان دومينو ربما كانت ابرع ما كتب هذا المؤلف الفرنسي السهل الذي الف حتى اليوم مايقارب الثلاثين مسرحية نجح معظمها .. والذي اشتهر بأنه يفتش عن نجاح الكلمـــة المسرحية الفوري اضعاف مايفتش عن سيكولوجية ابطاله وعن طرح مشاكل انسانية عامة .

(دومينو) شاب مغامر يمتاز بجمال الوجه والاناقة والذكاء .. ولكن يعوزه المال والمركز الاجتماعي رجل خبر الحياة وعركها ولكنه لازال مع ذلك دون عمل يفتش في اعلانات الصحف عن (عمل) يملأ له حياته وجيبه .

وتقع المصادفة حينما يقرأ اعلانا غريبـــا في في صحيفة يومية تعلن فيه صاحبته عن حاجتها (لرجل) يقبل ان يمثل دور عشيق زائف لها كي يبعد شبهات زوجها عن عشيقها الحقيقي الذي يعتبره الزوج المخدوع صديق العائلة الكبير .

ويوافق الشاب على هذه الفرصة العجيبة .. ويدخل رحى الدائرة الارستقراطية ليمثل دوره ولكنه في هـــذا الجو الملون يكتشف امورا كثيرة .. ويجعل الزوجة الشابة تكتشف معه ان قصة حبها الخارقة التي تريد الحفاظ عليها ليست الا قصة مسكينة .. وان حياتها مع زوجها وعشيقها حياة تافهة تعوزها الكثافة .. وانهـــا لازالت شابة تستطيع ان تحيا حياة المغامرة والكفاح .. اذا آمنت بها حقا ، واذا توفر لها الرجل الذي يقف الى جانبها ، وان عليها كي تشعر بانسانيتها ان تكون صادقة مرة واحدة في حياتها وان تهجر حياتهـــا الزائفة لتبني حياة زرقاء زرقة الافق .

وتنتهي المسرحية بان تتبع الزوجة (دومينو) المغامر تاركة حياتها وزوجها وكل مااعتقدت لحظة ما انه راسخ صامد في نفسها . المسرحية ضاحكة طبعا ... وهذه الامور كلها التي لخصتها تدور في جو خفيف مليء بالكلمات السريعة التأثير وبالحل المحبوكة حبكا محكما ، وبالفرص المعطاة للممثلين كي يظهروا كل مالديهم من مواهب : هذه

القرص قد احسن استغلالها كالعادة (جاك دومنيل) الى ابعد حد .. يتبعه في ذلك (ريموند جيروم) ولكن الحرارة والكثافة اخطأت (ماوفيتيون) التي اكتفت بأن تكون جميلة تحسن الحركة ، ولاتحاول ان تعطي اية ابعاد خاصة لدورها ، مع انه كان يمكن لهذه الممثلة ان ارادت ان تجعل من دورها مفتاحا نرى بواسطته عالماً مزيفا . . ونرى من خلال تطورها عالماً آخر ممكنا تصبح فيه امرأة تتحكم في مصيرها آ دمية حلوة في واجهة مليئة بالشرائط الملونة !! ولكن الممثلة مع الاسف اختارت الطريق السهلة وجعلت دورها يسير في طريق الكوميديا الضاحكة التي ننساها بعد لحظات من رؤيتنا اياها .

نعم ان مسرحية (اشارد) ليست تافهة . . وفيها بناء جيد وفيها افكار بعيدة . . ولكن مارأيناه على المسرح في دمشق كان لايتعدى سهرة ممتعة ولطيفة فيها تمثيل متقن وفيها بعد ذلك عشر جمل لاذعة جعلت القاعة تضج بالتصفيق .

هؤلاء الابطال الثلاثة انفسهم وبنفس شخصياتهم (الزوج والزوجة والعشيق) عادوا الينا في مسرحية ساشا غيتري (لنحلم حلما) ليعيدوا تمثيل ادوارهم . . واذا كنت استطيع ان اضع دون تردد ملاحظاتي نفسها التي ذكرتها قبل قليل عن الاداء فانني لا استطيع بحال من الاحوال ان اكررها فيما يتعلق بنص (ساشاغيتري) . فاذا كان نص أشارد مليئاً بالامكانيات فان نص غيتري نص فارغ وسطحي ووقح . . فهو يجعلنا نرى اولا رجلا وامرأة في فراش واحد ويجعلنا نرى بعد ذلك حركات مبتذلة وحواراً جريئاً لا ادري سببه ولاأجد له مبرراً على الاطلاق .

هناك جرأة في التعبير في مسرحية (لنحلم حلما) قد تعجب البعض اذا كانت لها اسبابها اما ان يكون مبررها هذه الصورة اللامبالية التي تنكشف عن عدم فكري رهيب فهذا مالم افهمه ولا أقره مهما كانت الاسباب والدوافع ! !

ولعل التصفيق الذي قوبلت به هذه المسرحية لن يكون سبباً دافعاً لهذه الفرقة ــ الجيدة رغم كل التحفظات ــ يدفعها لأن تختار لنا مسرحيات اخرى لغيتري ان شاء الحظ وعادت الينا في يوم من الايام .

واخيرا . . ومهما يكن من امر . . فانني لا أنكر ان مجيء هذه الفرقة كان نصراً مسرحياً حقيقياً لدمشق . . رغم الاعتباطية في اختيار النصوص ورغم تفاوت مستوى الممثلين .

لقد انقذتنا فرقة جان هيبرتي من تيار السهولة والروتين الذي تسير عليه اسابيعنا الفنية . . وان تلقي اضواء حلوة على حقلنا الفكري . . وان تقدم لنا درسا رائعا عن كيف يمكننا ان نخلق شيئا من لاشيء وكيف ان الذوق والحس الفني السليم يمكنه ان ينتشل اكثر المسرحيات سواداً وكيف يكفي احيانا ان يظهر ممثل عبقري واحد حتى يصبح الحفل الاجرد بستانا مليئا بألف زهرة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من الذي يذكر البحر

هذا العنوان يحمل اسم رواية للكاتب الجزائري محمد ديب ، وقد عالج هذا الكاتب حياة الانسان الجزائري الحديث معالجة صحيحة أرخ فيها فترة من تاريخ الجزائر البطولي وقد ترجم الكتاب فريد انطونيوس ، وراجعه انطون مقدسي . والرواية من منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي وملتزم الطبع والنشر مكتبة اطلس . وتقع في ٢١١ صفحة من القطع المتوسط والطباعة الانيقة وتباع بـ ١٣٥ ق.س.

تاريخ العمل

ان تاريخ العمل متصل اتصالا وثيقا بتطلع جماهير العمال الدائم الى مستقبل افضل .

وقد لعبت ادوات العمل دوراً جوهرياً خلال هذا التطور اذ طالما كانت الاداة هي العامل الرئيسي للانتاج . وكانت لاتتحرك الا بقوة الانسان العضلية كان مردود العامل رديئا . حتى جاء استعمال الآلات فسمح بزيادة ملحوظة في الانتاج وازدادت الخيرات الموضوعة تحت تصرف البشرية لتؤمن رفاهها بنسب كانت قبل قرن مضى تكاد تتجاوز حدود التصور ، بيد ان حالة العمال لم تتماش مع خط الانتاج . فلم يتمكن المأجورون في اوروبا من الحصول على تحسن مطرد في مصيرهم الا بعد نضالات وآلام لا تحصى.

وكان من نتائج الثورة التكنيكية — وهي الحدث الرئيسي في تاريخ العالم — ان ادت الى انتقال العمل من الحقول الى المدن . ففي نهاية القرن الثامن عشر ، كان السكان الزراعيون يقدرون بثمانين بالمائة من مجموع السكان . بينما انخفضت هذه النسبة في الايام الحاضرة الى حوالي الخمسين بالمائة . فاصبح العمال والزراع متعادلين في الوقت الحاضر تقريباً . ولقد اعطت هذه الزيادة في العمال واستقطابها المراكز الكبرى اهمية العمل ورجحانا ما كان يملكها حتى ذلك الحين.

وقد حاول مؤلف هذا الكتاب ان يعطي بالقدر الممكن صورة مشخصة لهذا التطور . كما حاول المترجم ان يأخذ بلادنا كمحور رئيسي دون ان يغفل مع ذلك المظاهر الاوروبية لهذه المسألة العالمية .

تاريخ العمل من تأليف فرانسوا باريت وترجمة فائز كم نقش واصدار وزارة الثقافة والارشاد القومي ويقع في ٢٣٥ صفحة ويباع بـ ١٦٠ قرشا سوريا .

الانتظار والمطر

مجموعة قصص للكاتب القصصي العراقي موفق خضر ، صدرت عن منشورات مكتبة النهضة ببغداد ، وقبل ثلاث سنوات قدم موفق خضر رواية بعنوان « المدينة تحتضن الرجال » وكان آنذاك وجها جديدا بين كتاب القصة في العراق وقفاً شاباً يريد ان يعبر في صدق

وحرارة عن قطاعات مختلفة من الحياة ومن جوانب النفس الانسانية بكل مافيها من خير وبساطة وسذاجة وشر .

وفي « الانتظار والمطر » يشق موفق خضر طريقه في عالم الكتابة والقصة في شيء من الفهم العميق والاحساس المدرك لمسؤولية الكاتب ازاء فنه وازاء الحياة وازاء الناس .

وقد ضمت المجموعة القصص التالية : لحظة العذاب – ظل على المعبد – الانتظار والمطر – القمة – الشاعر وقصيدة المساء – الرجـال العمالقة – الحيـاة تحت مظلة واحدة – الباب المغلق وراء الحدود الخضراء – الموجة البريئة – الشارع الذهبي – الانسة الصغيرة –

في الربوع الاندلسية

في الربوع الاندلسية الجزء الثالث من سلسلة الرحلات التي تصدرها وزارة الثقافة والارشاد القومي ،وهذا الكتاب من تأليف الاستاذ سامي الكيالي تحدث فيه عن الحياة الاسبانية وبخاصة عن مدريد التي يصفها بأنها اخذت من الشرق صفاءه واشراقه ومن الغرب ملامح من عنفه وماديته، فكان لها من هاتين الظاهرتين حياة أميل الى الاستمتاع والتأمل منها الى الكد والجد والعمل . والكتاب مليء بالمشاهدات العميقة في الحديث عن اندلس العرب « اسبانيا » ويقع في ١٢٠ صفحة من الورق الابيض القطع الكبير .

١٣ قصة لعاصم الجندي

في ١٣ قصة ازمة

ازمة الانسان العربي ، وقد فجعته المتناقضات، فانحسر الى الداخل ، يعيش – يحترق بصمت .. بانفعال وتمزق صامتين .. حتى اذا ثقل عليـه العبء ، فجر كل شيء عن طريق القلم ، عندما يملك الوسيلة الى ذلك ..

في « ١٣ قصة » محاولة من هذا القبيل ، فيها الكثير من الاحكام ، والتمرد، والاصالة .

في موجة القصص القصيرة التي تجتاح الاسواق، على القارىء ان يبحث عن الصدق ، والمتانة ، والاخلاص في العطاء ، قبل ان يجرفه التيار .. وامل القارىء العربي ، يجد مايحقق طلبته في هذه المجموعة لعاصم الجندي .

قطعة شمس

مجموعة قصائد حديثة للشاعر فاروق مردم ، قسمت الى ثلاثة اقسام: مزامير جزائرية – الارض والبشر – حين تبلغ العشرين ، قدمها بمقطع من قصيدة لبابلو نيرودا التي يقول فيهـا : لينبش حفارو القبور مادة الشؤم – لينثروا ذرات الرماد الاسود – وليتكلموا بلغة الدود – اما انافليس امامي غير البـذر – والعذوبة والرسوم اللولبية الساطعة –

وفي قصيدة بعنوان « الصديق الجزائري » يقول الشاعر فاروق مردم :

صديقي من بلاد المجد والاحزان
يخوض الموج بحارا بلا مركب
صديقي اليوم في غربه
حزين كالنجوم البكم في وهران
صديقي ليس قديساً

برود النبع ظمانا ولا يشرب
صديقي امه القصبة
رويداً يابلاد المجد والاحزان
صديقي سوف يسرج للاغاني
مهره الاشهب .

والقصيدة بالطبع من وحي الثورة الجزائرية العظيمة التي تجاوب معها الشاعر تجاوباً صادقاً ، والقصائد في اكثرها جاءت تعبر عن مشاعر شاب تجاه كثير من المشاكل التي تواجه الانسان في عالمه المضطرب المتلاطم الامواج الذي ينوء تحت ثقل العاصفة المريرة ..

قلوب الأطباء

مجموعة قصص أشرف عليها الدكتور صبري القباني . والقصص في هذا الكتاب ليست قصصاً مهنية تهم الاطباء وحدهم وانما هي قصص واقعية صادقة نبتت من الحياة وامتازت عن سواها بانها استوعبت حياة البشر جميعاً . ان بعض صور الحياة هذه التي تضمها دفتا هذا الكتاب ، قد دبجته اقلام نفر من كبار الكتاب في العالم وعلى رأسهم « ادغار همنغواي » و « انطون تشيخوف » كما ان فيها صوراً اخرى حقيقيــة بأرقامها وتواريخها واسمائها . كأن هذا الكتاب دروس طبية في قالب قصصي ، اوهي آيات فن القصص العالمي باسلوب طبي ، اوهي صور من الحياة . بل الحياة ذاتها في احدى وثلاثين قصة بذل الدكتور القباني جهداً غير ضئيل في اختيارها وتنسيقها وتقديمها لقارىء في ذلك الثوب الجذاب .

موج البطولة

الديوان الشعري الثاني الذي صدر للشاعر صابر فلحوط ، قال الدكتور حبيب حداد في مقدمته للديوان : ليس الشعر في التراث الانساني اقدر على اظهار عظمة الشعوب في اوج وثبتها وانعتاقها ، اوتصوير صمودها في طور كبوتها ورقادها ، وليس أجل منه على الاطلاق في كل القيم الحضارية خلوداً على مر الزمان واصالة في ثروة الايام . فيه تنطبع ذكريات الامـــة في سالف ايامها ، ومن خلاله تتجلى صبوتها ومطامحها لبناء غدها . وهو ارفع الوان الفن واقدسها رسالة ، ومن هنا تبدو مسؤولية الشاعر صاحب ذلك الفن وحامل تلك الرسالة .

وقد ضم الديوان اكثر من خمسين قصيدة من الشعر القومي المتدفق ويقع في ٢٣٢ صفحة من القطع المتوسط والطباعة الانيقة .

غرفة بملايين الجدران

الكتاب الثاني للشاعر محمد الماغوط ،اصدرته مؤسســة النوري للطباعة والنشر بدمشق ، سبق ان صدر للشاعر كتاب بعنوان « حزن في ضوء القمر » عن دار مجلة شعر ببيروت .

وحتى الان لم يصمد هذا النوع من الشعر امام هجمات النقاد المختلفة ، لكن محمد الماغوط بقدرته على الابداع في الصورة اكتسب احترام معارضي هذا اللون من الأدب . بل ودفعهم الى كتابة دراسات مختلفة عن نهجه الشعري .

وقد كتب الشاعر قصائد كتابه الجديد مابين عامي ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠ ـ حيث قضى هـذه

الفترة في لبنان . . وهـــذا مقطع من احدى قصائده النثرية .

ماذا يريد الصدر البرونزي
والبحر الراكب فرسه الجميلة ؟
لاأريد الشوارع قصيرة هكذا .
اريدها عميقة وهيابة
طويلة وفاتنة
كأحشاء مبعثرة في الريح
اريد فقط
ولحظة واحدة
ان اداعب الزبد الابيض بعقالي
وانا مبحر الى مكان ما
تحت مطر حزين .. حزين ..

فن العرائس وتحريكها

يحمل هـذا الكتاب الرقم « ٥ » في السلسلة الفنية التي تصدرها مديرية التأليف والترجمة في وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق، وهو من تأليف بوجو كوكوليا وترجمة نجاة قصاب حسن.

والكتاب يقص حـكاية هذا الفن الجميل « تحريك العرائس » فحياة الدمية تبدو للناظرين شيئا سحريا باهرا ، ولذلك نجد الجمهور في كل الازمنة وكل الاجيـال يحب مسرح العرائس حباً جماً ، ولذلك استطاع مسرح العرائس خلال تاريخه الطويل ان يجتـاز كل ما اعترضه من صعوبات. صحيح اننا لانملك أية وثيقة عن وصف الاستقبال الذي لقي به اول جمهور في التاريخ مسرح العرائس ، ولكن لو ان محدثا مجهولا نقل الينا تلك الصورة ، لقال يقينا ان النظارة انبهرت ابصارهم اذ انبعثت الحياة في الاشياء : ولقد تصرمت عصور كثيرة منذ ذلك اليوم الذي ولد فيه اول مسرح للعرائس في سكون الشرق الاقصى ، واكتشفت منذ ذلك اليوم اشياء كثيرة في الطبيعة والحياة . ثم لا يزال الناس يتحمسون ويدهشون لمسرح العرائس ، هذا المكان الذي تعيش فيه الدمى حياتها المدهشة ...

العرب والعراق

بحث قيم للاستاذ علي الشرقي ، قال في تمهيده للكتاب : لقد تملح الادب المصري قائلا : ان الله سبحانه خلق النيل والنيل خلق مصر ، واذا تملح الادب العراقي فلابد وان يقول ان الله خلق الفراتين .. والفراتان خلقا العراق، لان ذلك الماء الجاري ونابتة الماء هما سبب الحضارة العراقية الاولى والاخيرة ، وكل حضارة في العراق ابتدأت ببداوة تأتي خشنة فتنعم ، ثم تنغمس في بلهنية العيش حتى تترهل وتغشاها موجة جديدة من البداوة اصلح للحياة وتكاليف الحياة. على مثل هذا دار الفلك دوراته المديدة، وهكذا أرخ الاستاذ الشرقي العراق منذ نشأته الاولى الى ان اصبح عربيا خالص العروبة

حول عاتكةوأزواجها

النقد

كتب الينا السيد يوسف حزوري من حلب يقول : الاستاذ منير العادي في نقده وتصويبه لاعلام المنجد – الجزء الثاني – المنشور في العدد التاسع السنة الثانية ؛ وفي ص ٣٢٩ يذكر عاتكة بنت زيد زوج عبد الله بن ابي بكر ويذكر شيئاً من شعرها في رثاء زوجها عبدالله ولكن لم يذكر انها بعد ان قتل عنها زوجها عبد الله بن ابي بكر اول ازواجها تزوجها عبد الله بن الزبير فقتل عنها فتزوجها الخليفة عمر بن الخطاب وقتل عنها فتزوجها بعد الحسين بن علي بن ابي طالب فقتل عنها و كلا رثت بشعر رقيق ، وكان عبد الله بن عمر يقول : من اراد الشهادة فليتزوج عاتكة ، وهنـــا ينتهي كلام المنجد وانا لا احب الانتقاص من معلومات الاستاد العادي ،ولكن ماروي يناقض بعضه البعض الآخر ويجب ان لا يعبث الانسان بالوقائع التاريخية دون الرجوع الى المصادر الاصيـــلة لاستجلاء الوقائع . واني اؤكد ان هذا الترتيب الزمني الذي اورده الاستاذ العادي ليس من الحقيقة بشيء .

فزوجها الاول ولاشك عبد الله بن ابي بكر وربما يكون صحيحاً ان زوجها الثاني عبد الله بن الزبير ، وهنا لايمكن ان يكون زوجها الثالث الخليفة عمر بن الخطاب بعد مقتل ابن الزبير عنها لان ابن الزبير قتل بعد سنة ٧٠ ه في الحجاز عندما خذله اصحابه امام جيش الحجاج بن يوسف الثقفي وذلك في عهد خلافة عبد الملك بن مروان وعمر بن الخطاب قتل في المدينة عام ٢٣ ه ومما يزيد في الالتباس انه تزوجها الحسين بن علي وهذا واقع ولكنه قتل عام ٦١ ه .

الرد

وقد أوضح الاستاذ العادي على الاستاذ حزوري مايلي مصححاً الوقائع وترتيبها :

عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل من بني عدي قبيلة عمر بن الخطاب من قريش .

كان اول ازواجها عبد الله بن ابي بكر الصديق ، رمي في حصار الطائف بسهم في السنة الثامنة للهجرة ، ومات في المدينة بعد وفاة النبي « صلى الله عليه وسلم » سنة ١١ هـ متأثراً من رمية السهم .

وثاني ازواجها الخليفة الثاني عمر بن الخطاب « رضي الله عنه » قتل وهي في عصمته سنة ٢٣ هـ .

وثالث ازواجها ابو عبد الله الزبير بن العوام ، قتل عام ٣٦ هـ في وقعة الجمل المشهورة ، قتله ابن جرموز غيلة .

ثم تزوجها الحسين بن علي ، قتل عام ٦١ ه ثم تأيمت بعده .

وروي ان مروان بن الحكم خطبها بعد ذلك فقالت ما كنت لأتخذ حماً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما روي ان علي بن ابي طالب خطبها بعد مقتل عمر فقالت اني لأضن بك على القتل يا ابن عم رسول الله .

المراجع ،السيرة «ابن هشام» ج٣ص٣٠٦ الأغاني ، ج١٦ص١٢٦ وفيه مجمل قصتها

حول أعلام المنجد

الملكيون

كتب البناقداسة مار اغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك انطاكية وسائر المشرق للسريان الارثوذكس الايضاح التالي :

لقد تضمن القسم الثالث من نقد الاستاذ منير العبادي لاعلام المنجد ، المنشور في عدد كانون الاول ١٩٦٣ من « المعرفة » كلامه على مادة « الملكيون » الواردة في الصفحة ٥١٢ من اعلام المنجد بما يلي : « الملكيون » بفتح الميم واللام خطأ والصواب بفتح الميم وكسر اللام نسبة الملك مرقيانوس » ص ١٥٤ . فرد عليه الاستاذ عمر الدقاق في عدد شباط مصوبا ماجاء في اعلام المنجد .

أما نحن فلا نتعرض هنا لتخطئة اي منهما ، ولكننا رأينا ان نبحث هذه المادة من حيث انها اسم فقط . « الملكيون » ـــ اطلقه السريان الارثوذكس ، بلغتهم السريانية ، في النصف الثاني من القرن الخامس ، على اخوانهم الذين قالوا بمقالة مرقيان ملك الروم في المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١ ، وهم الروم. فجاء بالسريانية «..Malkoie» أو ملكايي أو «..» Malkonie ملكاني اي باسكان اللام . وهكذا لفظه كتبة العرب ومؤرخوهم حين عربوه ، فقالوا « الملكيون والملكائيون والملكانيون والملكية والملكائية » جمع « ملكي وملكائي وملكاني » باسكان اللام مطلقاً .

قال محمد بن احمد البيروني في كلامه عن كلندار الكنيسة الانطاكية « القول على ما يستعمله النصارى « الملكائية » في الشهور السريانية .. النصارى مفترقون فرقا ، فالاولى منهم « الملكائية » وهم الروم ، وانما سموا بذلك لان ملك الروم على قولهم » . وذكر القلقشندي نقلا عن شهاب الدين العمري الدمشقي « وصية بطريرك النصارى الملكائيين .. الذي هو رأس الملكانيين وقال عبد الله بن اسماعيل الهاشمي في رسالته الى عبد المسيح بن اسحق الكندي « وناظرت مع اهل فرقكم هذه الثلاث التي هي ظاهرة ، اعني الملكية القايلين مر كيانس الملك وهم الروم ...

وهكذا ضبطه الفرنج ايضاً فقالوا « Melkite » أي باسكان اللام .

فليست مادة « الملكيون » اذا لا بفتح اللام كقول صاحب اعلام المنجد ولا بكسرها كقول الاستاذ منير العبادي ، بل باسكانها كما هي في اصلها السرياني .

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

رد على علي رشاد أديب

ارسل الينا السيد محمد خير الدالاتي من جبلة كتاباً يقول فيه :

خلال حديث الاستاذ رشاد علي اديب عن سورة الممتحنــــة في مقاله المنشور بعنوان : « رد على تصحيح » في الصفحة (٢٤٧) وما بعدها من العدد ٢٤ عدد شباط ١٩٦٤ من هذه المجلة ، وقعت عدة اخطاء منها : ـ

أولاً ـ سقطت كلمة (مؤمنات) من الآية العاشرة من سورة الممتحنة وذلك بعـــد كلمة: علمتموهن في السطر السادس من اسفل . ـ العمود الاول ـ . ص ٢٥٠ (١)

ثانياً ـ في السطر الثاني من اسفل ، من العمود الاول ص : ٢٥٠ ، وردت العبارة الآتيـــة :

« ان المسلمين والمشركين كانوا اتفقوا في صلح الحديبية أن يعيد كل من الطرفين الأفراد الذين يأتونهم من الجانب الآخر » .

فاستغربت ورود هـذه العبارة المخالفة للحقيقـة ، وبالاخص على قلم الاستاذ رشاد علي اديب الذي بين يديه من الكتب والمراجع مايعوز بعضه على كثير من الناس . .

(١) الخطأ طباعي ـ المعرفة

وفيمايلي أورد اقوال فئات ثلاث من الناس (مؤرخين ومفسرين وكتاب سير ومغاز) قدماء ومحدثين .

المؤرخون

١ ـ أورد الطبري في تاريخــــه ص ٦٣٤ (الجزء الثاني) طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٦١) مانصه : ـ

« انه من اتى رسول الله من قريش بغير اذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع رسول الله لم ترده عليه . »

٢ ـ اورد الشيخ محمد الخضري في ص١٢٦ من الجزء الاول من : محاضرات تاريخ الامم الاسلامية ما نصه :ـ

« من اتى محمداً من قريش من غير اذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يرد عليه . »

http://Archivebeta.Sakhrit.com

المفسرون

٣ ـ اورد ابن كثير في ص ١٩٦ من المجلد الرابع من تفسيره طبعـــة عيسى البابي الحلبي وشركاه مانصه : ـ

« انه من اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصحابه بغير اذن وليه رده عليــه ، ومن اتى قريشا ممن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يردوه عليه . »

٤ ـ اورد الالوسي في ص ٧٦ من الجزء

الثامن والعشرين من تفسيره (روح المعاني) طبعة دار الطباعة المنيرية بالقاهرة مانصه : —

« ان من اتى محمدا من قريش بغير اذن وليه رده عليه ، ومن جاء قريشا من محمد لم يردوه عليه . »

اصحاب السير والمغازي

٥ — اورد ابن سعد ص ٩٧ من الجزء الثاني من طبقاته طبعة داري صادر وبيروت سنة ١٣٧٦ هـ — ١٩٥٧ مانصه :-

« وانه من اتى محمداً منهم (من قريش) بغير اذن وليه رده اليه ، ومن أتى قريشاً من أصحاب محمد لم يردوه » .

٦ — أورد ابن هشام في سيرته التي هذبها الاستاذ عبد السلام هارون طبعة دار سعد مصر ١٩٥٥ م ، ص ٣٤٨ مانصه :-

« انه من أتى محمداً من قريش بغير اذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم ترده عليه . »

وهكذا نرى ان المؤرخين والمفسرين وأصحاب السير والمغازي يجمعون على ان معاهدة صلح الحديبية ما كانت تنص على ان يعيد المشركون من يأتيهم من المسلمين اطلاقاً .

ثانياً — في السطر الأول من العمود الثاني ص ٢٥٠ من نفس العدد وردت العبارة التالية :

(وكانت أم كلثوم بنت ابي معيط ..)

والصحيح اضافة اسم (عقبة) بين كلمتي : بنت وبن أبي : أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط كما ورد في روح المعاني للالوسي وفي طبقات ابن سعد طبعة داري صادر وبيروت ص ٢٣٠ من المجلد الثامن .



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يقدمها متري حمارنة

غزو القمر

لايزال علماء الفضاء الاميركيون يحاولون جاهدين بان يتوصلوا الى الاسباب التي ادت الى اخفاق آلات التصوير في ارسال صور القمر في المرحلة الاخيرة من رحلة السفينة المسماة (رينجر السادس). فقد كانت سفينة الفضاء المذكورة تؤدي وظيفتها طبقا للبرنامج المقرر حتى بعد دخولها نطاق جو القمر او بحر السكون كما يسمونه . ارسل رينجر السادس المعلومات القيمة المطلوبة عن تبدل الحرارة داخل السفينة ومعلومات عن جهد البطاريات ووضع الهوائيات . ولكن المعلومات التي بثتها



الات تصوير رينجر السادس التي اخفقت في تصوير سطح القمر

رينجر لم تستطع ان تعطي شيئا عن سبب اخفاق الات التصوير في ارسال صور للقمر في المرحلة الاخيرة .

ومهما كان سبب الاخفاق فقد اصيب جميع علماء الفضاء بخيبة امل لانهم كانوا يعولون كثيرا على الصور التي كانت سترسلها الاجهزة الخاصة لانها ستكون بالغة الاهمية بالنسبة لارسال رجل الى القمر . فارسال انسان الى القمر يتوقف الى حد بعيد على المعلومات الصحيحة الخاصة بسطح القمر .

وبالرغم من اعتقاد بعض الفضائيين بلزوم الحصول على هذه المعلومات قبل المجازفة بارسال انسان الى القمر ، يرى فيرنر فون براون رئيس مركز مارشال للبحوث الفضائية بانه باستطاعة العلماء ارسال مركبة فضائية الى القمر وتصميمها بحيث تلامس سطح القمر اذا ارادت ذلك ورأت بقعة ملائمة . اما اذا رأى الفضائي الذي سيكون بداخلها ان نزوله سيكون خطرا ، سيتحول الى بقعة اخرى .

ويرى فون براون بان لاخوف من وجود تراب ناعم على سطح القمر قد تغور فيها المركبة وحجته في ذلك ان انعدام الجو في القمر يقضي بوجود مثل هذا التراب الناعم ويقول براون بانه حتى لو وجدت مثل هذه البقع على سطح القمر فيمكن تجنب الهبوط فيها .

ARCHIVE

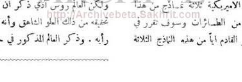
وبالرغم من الفشل الذي اصيبت به التجربة، الا ان العلماء يرون انهم قطعوا شوطا بعيداً في مشروع ارسال الانسان الاول الى سطح القمر ولسوف يحاولون من جديد حتى يتم لهم النصر في النهاية .

طائرات نفاثة تزيد سرعتها على الفين من الاميال في الساعة

تتحدث الاوساط العلمية العالمية عن توصل بعض مصانع الطائرات النفاثة المشهورة الى صنع طائرة نفاثة بشكل الرمح تزيد سرعتها على (٢٠٠٠) الفي ميل في الساعة الواحدة ومزودة بكل وسائل الراحة بحيث تتسع لنقل من (١٥٠) راكبا الى (٢٢٧) راكباً مع متاعهم . والجدير بالذكر ان منظر الطائرة المذكورة يشبه الحربة وذلك لانها ستزود بجناحين يمكن طيهما لزيادة سرعة الطائرة وامام المصانع الاميريكية ثلاثة نماذج من هذا النوع الجديد من الطائرات وسوف تقرر في الاول من ايار القادم اياً من هذه النماذج الثلاثة ستختار . ولن يكون الاختيار بالطبع الا بعد اجراء سلسلة من التجارب الشاملة الفنية. ويتوقع العلماء بان المصانع ستتمكن من انتاج الطائرة المذكورة على نطاق واسع في تاريخ لايتعدى سنة (١٩٧٠) .

هل يستطيع الفضائي رؤية الاشياء العادية على الارض من كبسولته الفضائية

بعد ان دارغوردون كوبر الفضائي الاميريكي اثنين وعشرين دورة حول الارض ذكر للصحفيين والعلماء بعد عودته سالماً الى الارض انه استطاع رؤية الدخان يتصاعد من مداخن اكواخ اهل التيبت في جبال هملايا وكان يشاهد الاحراش في اميريكا بكل وضوح من ارتفاع ١٥٠ ميلا في الفضاء وكذلك شاهد بعض السيارات تشق طريقها عبر صحاري الهند . ولكن العالم روس آدي ذكر ان ذلك مستحيل تحقيقه من ذلك العلو الشاهق وأنه كان مخطئاً في رأيه . وذكر العالم المذكور في حينها ان ماخيل



طائرة نفاثة تزيد سرعتها على الفي ميل في الساعة وتحمل (٢٢٧) راكباً

له مشاهدته على سطح الارض من مثـــل هذه الاشياء لم يكن صحيحاً وانـــه مجرد أوهام وخيالات ناشئـة عن انعدام الوزن والحالة النفسية الشاذة التي يكون فيها الانسان في مثـل تلك الاجواء .

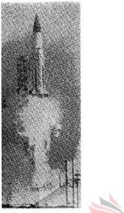
ولكن لفيفـاً من العلماء عادوا فأيدوا في الاسبوع الماضي صحة اقوال كوبر وان مارآه او ادعى انه رآه على سطـح الارض من ذلك العلو الشاهق كان صحيحاً لامجرد وهم أو خيال . وذهبوا الى القول بان الفضائيين المدربين تدريباً خاصاً يمكنهم مشاهدة هذه الاشياء التي ذكرها كوبر بوضوح تام . ويعزون ذلك الى تأثـير الدماغ والخبرة والجهاز البصري .

سباق الفضاء

يقول علماء الولايات المتحدة بانهم قد لحقوا بالاتحـــاد السوفييتي في مضمار صنع الصواريخ والسفن الفضائية الجبارة .

وبعد هدوء نسبي ، يتحدث العلماء في كيب كنيدي عن اعظم صاروخ استطاع ان يصنعـه البشر الا وهو صاروخ ساترن الجبار الذي يزيد طوله على طول تمثال الحرية واثقل منه وزنا مرتين .

زود الصاروخ المذكور بثمانية محركات جبارة ذات قوة دافعة بلغت مليون ونصف المليون من الارطال . ويعتبر اعظم من صاروخ اطلس الذي حمل الفضائيين الاميريكيين الى مدار الارض بثماني



اطلاق ساترن اعظم صاروخ اطلق الى الفضاء

مرات . ويبلغ وزن الصاروخ المذكور (١٩) طناً . وقدوصل الى ارتفاع ٤٧٣ ميلا . ويقدر العلماء بانه سيظل يدور حول الارض عدة اشهر . وقد زود الصاروخ المذكور في المرحلة الاخيرة منه باجهزة علميـــة دقيقة كثيرة ومعقدة لتزويد العلماء بالكثير من الحقائق العلمية المثيرة التي يريدون الوقوف عليها قبل اقدامهم على ارسال انسان الى القمر . وكان اطلاق ساترن .تقدمة لاطـــلاق صاروخ رينجر السادس الى القمر والذي فشـل في مهمته اذ توقفت آلات التصوير الخاصـة التي زود بها والتي كان متوقعا ان ترسل ثلاثة آلاف صورة لسطح القمر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أزمات في تاريخ الحياة على الارض

يقول بعض العلماء بان الحياة على الارض ظلت تسير قدما منذ ان وجدت قبل اربعة بلايين سنة ومع ذلك فسجل الحيـــاة الماضية الذي نجده في المتحجرات لايدل على ذلك . فمن دراسة المتحجرات المختلفة التي عثر عليها العلماء في انحاء عدة من العالم، تبين لهم ان تطورات فجائية وقعت فاختفت بعض المخلوقات الـتي كانت تعيش على الارض . ويعزو العلماء ذلك الى احتمال انقراض هذه الاحياء من جراء شتى العوامل من بيولوجية وغير بيولوجية ففي غضون عشرات الالوف من السنين التي ظهرت فيها الحياة على الارض، كان هنالك آلاف الانواع من النبات والحيوان . ولكن بعـد عصور من التطور والنجـاح البيولوجي ، اختفت مجموعات كبيرة من هذه النباتات والحيوانات واختفت فجأة . اما اسباب انقراضها واختفائها فغير معروفة تماماً وتشكل في الواقع احدى العقبات امام الوقوف على تاريخ تطور الحياة على الارض .

واول من وجه الانظار الى هذه الحقيقة ، كان العالم الفرنسي كوفيير . ويعزو كوفيير هذا انقراضها واختفاءها من سلسلة المتحجرات التي تملأ الارض الى كوارث طبيعية أطلق عليها اسم « الثورات الطبيعية .» ويقول بانه توصل الى هذه النظرية بعد دراسة دقيقة وشاملة لطبقـــات المتحجرات النباتية والحيوانية والصخرية في منطقة باريس . ولقيت نظريته هذه معارضة ونقـداً شديداً على اساس انه اهمل العوامل الجيولوجية وعزا هذه الاحداث الى الفيضانات . اما «داروِن» فانكر ماذهب اليه كوفيير وعزا اسباب اختفاء الـكائنات الحية الى هجرتها وتغيير بيئتها .

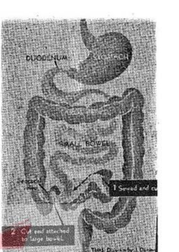
ويقدر العلماء ، بعد دراسة دقيقة للمتحجرات بان لا اقل من (٢٥٠٠) من نوع من الحيوانات عاشت على الارض مدة معدلها الوسطي (٧٥) مليون سنة ثم تركت وراءها سلسلة من المنجزات ويقولون بان ثلث هذه الانواع لايزال حياً حتى اليوم اما الثلثان الآخران فقد انقرضا .

وهنالك نظريات اخرى عن اسباب الانقراض الجماعي الذي اصاب بعض الانواع ولكن احدثها النظرية القائلة بان انقراض بعض الاحياء بصورة جماعية ، يعود الى انفجار الطاقات الاشعاعيـــة المفاجيء الذي وقع في بعض الاجرام السماوية القريبة من ارضنا . ولكن اقرب النظريات الى الحقيقة تلك التي تعزو هذا الفناء الى التقلبـــات الجوية القاسية المفاجئة .

ويرى العلماء بأن الحياة اليوم معرضة للانقراض اكثر من اي وقت مضى بسبب اتساع انتشار الاجناس البشرية وتطوير وسائل الابادة الجماعية والنجاح في صنع المواد الكيماوية والسامة والاسلحة النووية التي تهدد الاحياء بالفناء .

الكولسترول واثره في النوبات القلبية :

يحاول الاطباء بان يجدوا فيما اذا كان تخفيض نسبة الكولسترول في الدم سيحول دون اصابة الانسان بنوبات قلبية . وقد ذكر الدكتور هنري بانشوالد الاستاذ في جامعـة منيسوتا في تقرير له قدمه لجمعية جراحة القلب أنه باجراء جراحة في



مراحل العملية الجراحية الفذة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الامعاء الرفيعة تمكن من تخفيض نسبة الكولسترول في الدم بصورة دائمة .

وخلاصة النظرية ان الانسان سواء تناول اطعمة تحتوي على مادة الكولسترول او لم يتناول فان الجسم يقوم بصنع هذه المادة بصورة طبيعية كل يوم . فمعظم مادة الكولسترول تصل الى الدم عن طريق الترشح في الجزء الثالث من الامعاء الرفيعة . ويرى الدكتور باتشوالد بانه بواسطة قطع ذلك الجزء من الامعاء الرفيعة يمكن تجنب عملية هضم هذه المادة فيتم خروجها عن طريق الامعاء الغليظة دون ان تتسرب الى الدم . وقد اختار الدكتور باتشوالد لاجراء عمليته المرضى المصابين بامراض قلبية والذين ترتفع في دمائهم نسبة مادة الكولسترول وبعد ان قطع الجزء الذي يرى انه يفرز تلك المادة وصله بالامعاء الغليظة . والعملية بسيطة للغاية ولكن الدكتور باتشوالد يرى فيانه سيمضي عام قبل التأكد من انخفاض نسبة الكولسترول في الدم نتيجة العملية المذكورة .

وقد اجرى الجراح المذكور التجربة على اربعة من المرضى كانت نسبة الكولسترول في دمائهم تزيد على ضعفي الكمية العادية . وقد تبين بعد العملية ان نسبة الكولسترول قد انخفضت الى اربعين بالمائة اي الى المستوى العادي او قريباً منه .

الرؤية بواسطة الجلد

يعتقد العلماء الروس ان واحدا من كل ستة اشخاص يستطيع بان يميز الوان الاشياء وتصميم الاقمشة بواسطة حاسة اللمس . وقد توصل البروفسير الروسي ليو نتييف الى طريقة علمية بواسطة جهاز خاص لمعرفة ما اذا كان في مقدور العلماء تطوير الحاسة البصرية في جلد العميان وفي ذوي النظر العادي او الضعيفي البصر . ويأمل البروفسور ليو نتييف انه بعد التجارب العديدة التي اجراها بالاشتراك مع اطباء آخرين سيصبح في الامكان تطوير الرؤية الحسية عند ضعاف البصر .

ويرى الدكتور طوبياس الاميركي ان الرؤية بدون نور ممكنة وذلك عن طريق الاحساس بالضوء واللون الناتج عن تهييج شبكة العين بحافز غير اشعة الشمس . ويطلقون عليها طريقة الفوسفين (Phosphene) . وقد ثبت للعلماء والباحثين بان الفوسفين او الاحساس البصري يمكن تجربته في اثناء القيام بتجارب دوران الجسم البشري

بسرعة فائقة من اجل القيام بالرحلات الفضائية . فقد ذكر الاشخاص الذين اجريت عليهم هذه التجارب انهم رأوا الاضواء التي كانت تتلألأ امام عيونهم بشكل ضباب او بقع لامعة مع العلم بأن عيونهم كانت معصوبة باحكام .

معجزات الجراحة في الصين

مازالت الصين الشعبية تشق طريقها بخطى جبارة في جميع المجالات ومنها مجال الجراحة وصناعة الاطراف الصناعية . وقد استحوذ الجراحون الصينيون على اعجاب العالم بما سجلوه من نجاحات فذة في هذا المجال ومن اشهرها العملية الجراحية التي اجريت للشاب الذي بترت يده فاعادوا اليد المبتورة الى مكانها وفي عملية اخرى تمكن الجراحون من تزويد فتى يبلغ الرابعة عشر من عمره بيدين صناعيتين تكادان تكونان معجزة في هذه الصناعة . والفتى ابن صياد بترت يداه نتيجة انفجار لغم قبل ثماني سنوات .ولكن الجراحين تمكنوا من تزويد الفتى بيدين صناعيتين دقيقتي الصنع ومرنتين بحيث مكنتاه من الكتابة وتناول الطعام وحمل مازنته خمسة كيلوغرامات والقيام باعمال اخرى شاقة بكل سهولة وراحة . واستلم الفتى بعد نجاح العملية ستة آلاف رسالة تهنئة . وقد اجريت العملية الناجحة في مستشفى الشعب الاول في شانغهاي بدون مقابل.

اصل الانسان

يعتقد نفر من العلماء اليوم بأن الانسان والقرد انحدرا من مخلوق عاش على الارض قبل ملايين السنين وان كانوا لايفكرون احتمال انحدار الانسان من القرد .وقد أيدوا ذلك باكتشاف جمجمة الانسان الاول في افريقية ، قرب القاهرة .

وقد اكتشف العلماء في الصين في مقاطعة لانتين فكا متحجراً للانسان الاول . والفك في حالة سليمة . وقد تؤدي دراسة هذا الكشف الجديد الى القاء مزيد من الضوء على اصل الانسان ويعتقد بان الفك يعود للانسان الاول الذي عاش في الصين قبل نصف مليون سنة . والجدير بالذكر ان هذا الاثر المتحجر هو الاول من نوعه الذي يعثر عليه العلماء في الصين . وقد اكتشف العلماء الى جانب هذا كثيراً من المتحجرات الحيوانية مثل الفيل والنمر والخنزير البري وغيرها وقد عثروا كذلك على بعد ثلاثمائة متر من الفك على ادوات حجرية كان يستعملها الانسان في قطع الاشجار والصيد .



الفك المتحجر الذي عثر عليه في الصين للانسان الأول قبل نصف مليون سنة

غذاء كيماوي جديد للنباتات والازهار

توصل علماء الكيمياء في جنوب افريقيا من ايجاد مسحوق كيماوي جديد غريب من خصائصه اطالة عمر الازهار المقطوفة باضافته الى ماء المزهرية التي توضع فيها باقة الزهور . والمركب الكيماوي الجديد رخيص الثمن . ومن مميزات المادة الكيماوية المذكورة انها تضفي لونا غامقاً على الزهور وتزيد من حجم البراعم بالاضافة الى ابقائها محتفظة بطراوتها ولونها الطبيعي مدة طويلة.

مخترع جديد

تتحدث الاوساط العلمية باسهاب عن مخترع تمكن من ايجاد طريقة علمية لرفع السفن الغارقة وبذلك يوفر كثيراً من المصاعب التي كانت تواجه السلطات البحرية في جميع انحاء العالم .

والمخترع الفذ شاب مهندس يدعى وليم واطسن يعمل في معمل خاص لصنع الادوات المختلفة من اللدائن (البلاستيك) في امريكا .

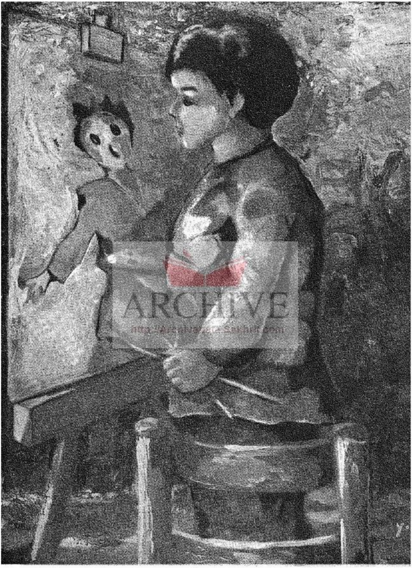
وطريقته تتلخص في رفع السفن الغارقة بواسطة فقاعات بلاستيكية تقوم بطرد الماء من السفينة وتعويمها .

ويقول واطسن هذا ان الفقاقيع تتكون في جسم السفينة بواسطة مزج مادة الراتينج ومادة الحفارة . وتقوم سفينة الانقاذ بايصال هاتين المادتين الى السفينة الغارقة بواسطة خراطيم خاصة. وتحتاج الطريقة هذه الى غطاسين ماهرين. ولذلك لايمكن تعويم السفن الغارقة في الاعماق السحيقة لان الغطاسين لايمكن ان يصلوا لاكثر من عمق بضع مئات من الاقدام لذلك لم يتمكن من استخدامها في انقاذ الغواصة شرشر التي ترقد على عمق يزيد على الثمانية آلاف قدم .

وقد اثبت واطسن بعد عدة تجارب قام بها انه يمكن تكوين فقاقيع اصطناعية تكفل تعويم السفينة الغارقة تحت ضغط مائي كبير على عمق تسعين قدماً او اكثر .

http://Archivebeta.Sakhrit.com





يوسف الايوبي — في المرسم — مجلة المعرفة

الفنان

ولد الفنان يوسف ايوبي في دمشق عام ١٩٣٣، ثم اوفد من قبل وزارة التربيـــة والتعليم الى انكلترا لدراسة الفنون التطبيقية في الكليـــة المركزية للرسم ثم لدرس تصميم وطباعة النسيج والرسم وهو الآن مدرس ثانويات دمشق وفي كلية الفنون الجميلة وفي مركز الفنون التطبيقية بدمشق .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اللوحة

اسلوب السيد يوسف ايوبي يميل الى التعبيرية الواقعية وهـــو يحافظ بنفس الوقت ان يـكون لموضوعاته خلقيـــة فلسفية . وينجلي اسلوبه الدرامي باستعماله الخطوط والحـدود السوداء .

وفي لوحته « في الموسم » وهي لوحة زيتية على قماش تمثل طفـلا في الموسم يبدو اسلوبه التعبيري واضحاً .

واللوحـة من مقتنيات وزارة الثقافة والارشاد القومي .

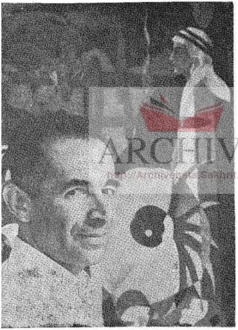
فنون

يقدمها حسن كمال

الجمهورية العربية السورية

حفل تأبين الفنان الراحل ادهم اسماعيل

في العشرين من شباط الماضي أقيم في قاعة المحاضرات في المتحف الوطني بدمشق وتحت رعاية وزارة الثقافة والارشاد القومي حفل تأبين كبير بمناسبة وفاة الفنان ادهم اسماعيل، وقد ضم الحفل جمعاً غفيراً من الحضور وفي مقدمتهم بعض السادة الوزراء والادباء والفنانين وعدد من اخوان الفنان واصدقائه والمعجبين بفنه .



ARCHIVE

الفنان ادهم اسماعيل امام لوحته بورسعيد

افتتح الحفل بآي الذكر الحكيم وتلته كلمة وزارة الثقافة التى القاها الدكتور يوسف شقرا، وتحدث فيها حديث العارف بتفاصيل حياة الفنان الراحل ، واستهل حديثه : كنا اطفالا دنيانا زقاق ضيق يقع بيتنا في اوله وبيتك يا ادهم عند نهايته ، وعلى امتداد هذا الزقاق المترب الموحل طالما لهونا ولعبنا وحلمنا ودرسنا وفكرنا . . . وفي مخيلتي الآن دارك كمعظم دور المدينة فقيرة متواضعة .... وكانت افكارنا اكبر من

أجسامنا ، كنا نخطط لجيل كبير كبير ونحن في العاشرة .... اية حياة عريضة كانت تمور في ذلك البيت الصغير الكبير ، المظلم المضيء ، الفقير الغني ، بيت ادهم بيتنا نحن .

ويتابع الدكتور شقرا كلمته فيقول : وفي روما وفي باريس حدثتني عن مواسمك المنتظرة بايمـــان لا يتزعزع وانت مازلت بعد في بداية الطريق ، وشهدت القـــاهرة وشهدت دمشق ماوعدت ، روما وباريس من مواسم خصبة ومن جني وفير ، فاذا بك الفنان المبدع ، واذا بفنك يفرض نفسه في بلدك وتتلقفه عواصم اوربا وامريكا تلقف التقدير والاعجاب .

لك يا ادهم علينا اكثر من منة فلعلنا نستطيع ان نقدم لك شيئاً مما قدمت لبـلادك ولقد والله اعطيت وكنت كريماً في عطائك . ولكن فجيعتنا انك لم تعط كل ماعندك ، ولقد كان عندك الشيء



الثائر المطارد



حسناء

الكثير وكله ينضح بالروعة والاصالة . اما نحن اصدقاؤك ، كيف نستطيع ان نستعيض عن حياتك الزاخرة بالحركة ... بكلمات باهتة خرساء .

اختتم الدكتور شقرا كلمتـــه الرقيقة المفعمة بالعاطفة النبيلة ازاء اخ عاش معه صغيراً واعجب به وبفنه كبيراً : لغيري ان يتحدث عنـك فناناً عرفتك انساناً وعايشتك انساناً وما املك الا بعض الصور استعيدها فاستعيد بها ذكراك لعلي اراك حياً من جديد تسعى هنا بيننا .. تبتسم ابتسامتك المحببة ثم تنفض عنـا وتنفض عنك وتمضي انت ونمضي نحن ولكنك تظل مع الحيـاة مع الخلود بما تركت من آثار وما خلفت من ذكريات .

ثم تحدث في جملة من تحدثوا عن حياة الراحل صديقه الاستاذ محمود حماد الذي عايش الفنان في حله وترحاله وكان آخر المتحدثين شقيق الفنان الراحل الاستاذ صدقي اسماعيل الذي تحدث عن

ARCHIVE
http://Archivebeta.sakhrit.com

تجربة اخيره ادهم مشيراً الى الجوانب الخفية في تلك التجربة . ويقول الاستاذ صدقي : ان الاوراق اليابسة التي تتساقط في الخريف هي قصيدة شعرية تبعث النشوة . والجد الطاعن في السن الذي يغادر المنزل دون عودة يترك كثيرا من روعة معنى الحياة ، جيل ينبغي ان يفسح المجال لجيل آخر انها سنة الكون ، اما الموت الذي يأتي في منتصف الطريق فانه المأساة التي تحمل اليأس والتحدي ...

وبعد انتهاء الحفل التأبيني انتقل الحضور يتقدمهم السيد وزير الثقافة والارشاد القومي الى قاعة المعارض في المتحف الوطني حيث افتتح معرض الفنان الراحل الذي ضم ٣٢٥ لوحة ، تعتبر خلاصة حياته الفنية .

وادهم فنان عرفناه مذ بدأ حياته الفنية فعرفنا فيه حب تحري الحقيقة والسعي وراءها سعياً لم يعرف التوقف ، فنان عرفنا فيه الرأي والعمل المتواصلين في صمت وايمان ، ما كان من اولئك الذين يحبون ان تسلط عليهم الانوار ، كان همه الوحيد ان يؤدي الرسالة الملقاة على عاتق الفنان أحسن اداء وأن يخلق لنفسه فناً رفيعاً نابعاً من ارضه من ترابه ، من تقاليده ، فناً أصيلاً لامستوردا غريبا وان كان قد تعلم تقنية العمل الفني في اوربا وعاش فيها ردحاً من الزمن الا انه قضى وهو يعتز بعروبته وتراثها ، وكان أميناً على احياء ذلك التراث فاللغة العربية التي كانت حروفها مصدراً من مصادر الفن العربي الاسلامي رأيناها فناننا يحيطها في عمله الفني بكل عناية ، فالعديد من لوحاته جعل فيها الحرف العربي العنصر البناء كما في لوحته ، « ان لم تجلي ضيفاً ... »



ان لم تجلي ضيفاً

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولوحة « ليت هنداً انجزتنـــا ... » كل ذلك باسلوب جديد والوان مشرقة استمدها من شرقه الذي يعيش فيه .

ومما لايمكن ان يتطرق اليه الشك انه كان لسعة اطلاعه على التيارات العالمية في الميدان الفني وتجواله المتواصل في عواصم الفن ومتاحفه، كان لكل ذلك اثره الناجع في تطوير الفنان وانتقاله من مرحلة الى اخرى بايمان وثقة حتى رأيناه في مرحلة التجريد اللامثالي الذي ترك فيه الكثير من الافـكار الواضحة ، تجريد استمده من اصالة الفن العربي الذي نمت فيه بذور الفن التجريدي، باجلى مظاهره .

هذه كلمة متواضعة عن معرض الفنان وان كانت كل لوحة من لوحاته تحتاج الى دراسة عميقة لمافيها من الاصالة وقوة التعبير .

نجاح معرض «مركز الفنون التطبيقية» الاول :

افتتح سيادة الاستاذ شبـلي العيسمي وزير الثقافة والارشاد القومي يرافقـــه الامين العام المساعد للشؤون الثقافيه وكبار موظفي الوزارة ، المعرض الاول لانتاج طلبة مركز الفنون التطبيقية

وقد تفقد سيادته المعروضات التي بلغ عددها « ٢١٣ » قطعة من مختلف الفنون (تصميم أغلفة — اعلانات — خط عربي — حفر على الخشب — فريسك — طباعة على القماش — ميدالية — زخرفة — تحف صغيرة) فحازت تقديره واعجابه واثنى على القائمين بادارة المعهد وبالتدريس فيه وعلى مالمسه من اقبال الطلاب على الدراسة باندفاع ودأب .

وفي ختام الزيارة القى احد اولياء الطلاب كلمة شكر فيها وزارة الثقافة على هذا المشروع الفني الكبير . ثم قام بزيارة المركز السيد وزير الاعلام الدكتور سامي الجندي واطلع سيادته على انجازات الطلاب ، وقدم تهانيه الصادقة للفنانين والقائمـين على المركز كما وعد تشجيعا للطلاب ، وخدمة للفن في سورية بشراء قطع من انتاجهم بغيـة اهدائها لزوار الاجانب .

هذا وقد شاهد المعرض يوم افتتاحه عـدد كبير من الزوار . اثنوا بحرارة واعجاب على الدقة التي اتسمت بها النتائج الاولى كما ادهشتهم السرعة التي برعمت فيها جهود المركز وأثمرت .

والجدير بالذكر ان المركز حديث النشأة بدأ دورته الاولى التي سميت فيما بعد باسم الفنان الراحل ادهم اسماعيل في ٤ آب ١٩٦٣ لتحقيق جملة من الاهداف الفنية كايجاد المختصين من المواطنين في مختلف الصناعات التطبيقية والوطنية، وتوفير الوسائل الكفيلة ببقاء هـــذه الصناعات وازدهارها وتعميم الفنون التطبيقية بين اكبر عدد ممكن من المواطنين لتدخل كل بيت وكل مكتب بأيسر الاساليب .

لندن

معرض للفنانة الكويتية منيرة القاضي

اقيم للفنانة العربية الكويتية منيرة القاضي معرض خاص في « اليوفيجن غالاري » في لندن ، وكتبت عنها الصحف اللندنية قائلة «فنانة عربية تغزو لندن بلوحاتها الفنية الواعية » .

ومنيرة القاضي لاتنتمي الى مدرسة معينة في الرسم ، فهي تمزج الحضارة الشرقية مع الحضارة الاوروبية .



الام تحتضن

للفنانة منيرة القاضي

وكانت هذه الفنانة قد استقرت في لندن منذ عام ١٩٥٩ واقامت معرضها الاول في هذه المدينة عام ١٩٦٠ ، واقامت معرضها الثاني في مدينة « درهام » عام ١٩٦٢ .

واشتركت في معرض الفنانين العرب الذي اقيم لهم في R . W . S . Gallery في لندن وكان باشراف الناقد الشهير السير هربرت ريد .

بروكسل

سرقة لوحة لروبنس

كثرت في الآونة الاخيرة سرقات المتاحف كثرة مريعة وبات المسؤولون عنها يفكرون في تشديد حماية التراث الوطني ، حفاظاً عليه من الضياع وان كانت أكثر تلك السرقات تعود في النهاية الى محاربيها دون أن تعود بأية فائدة على السارقين ، وفي أواخر شباط الماضي وقعت سرقة في متحف بروكسل وكانت الضحية لوحة للفنان روبنس رسم فيها وجه زنجي في أوضاع مختلفة ، وقدقدر الخبراء ثمنها بـ (٢٠٠٠٠٠) مائتي ألف دولار أي مايقارب ال (٨٠٠٠٠٠) الثمانماية ألف ليرة سورية . واللوحة المسروقة كما تشير سجلات المتحف كان الفنان قد رسمها عام ١٦١٥ وتعتبر واحدة من أربعين لوحة من لوحات روبنس الموزعة في انحاء بلجيكا ، وقد دخلت المتحف عن طريق ثري بلجيكي اشتراها من باريس عام ١٨٩٠ بمبلغ ١٦٠٠ دولار .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد أثارت هذه اللوحة جدلا عنيفا يومئذ لأنها لاتحمل توقيع الفنان روبنس ونسبها بعض المؤرخين عام ١٧٤٦ الى الفنان « فان ايك » مدعين أن روبنس ما كان ليهتم بالزنوج بل كان همه الوحيد رسم النساء العاريات وانه لايعقل أن تكون لوحة الزنجي هذه من أعماله الفنية وكانت الكلمة الفصل عام ١٨٦٧ للخبراء الفنيين الافرنسيين الذين دحضوا هذا الادعاء واكدوا نسبها الى روبنس .

وتقول الصحافة العالمية اليوم أنه تم العثور على اللوحة المسروقة وانها ستأخذ مكانها من جديد في متحف بروكسل .

ايتاليا

لوحة بمليون ليرة سورية

اكتشفت في احدى كنائس ايتاليا احدى لوحات الفنان الافرنسي دولاكروا الذي احتفل العالم بأسره في أواخر العام الماضي بمرور مائة عام على وفاته .

وقد بيعت اللوحة المذكورة بما يعادل المليون ليرة سورية تقريباً ولا غرابة في ذلك لأن الفنان يعتبر صاحب مدرسة فنية جديدة حطمت القيود القديمة وانطلقت الى الوجود بمبادىء جديدة انها المدرسة الرومانطيقية .

روما

يقيم في الوقت الحاضر عدد من فنانينا في روما ويمارسون هناك نشاطاً فنياً ملحوظاً يقومون من خلاله بالدعاية الحسنة لبلادنا .

وفي الشهر المنصرم أقام الفنان رولان خوري معرضاً رائعاً لآخر انتاجاته الفنية لهـذا العام . وتفيد الصحافة الايتالية أن المعرض الفني حظي باهتمام رواد الفن والجمهور لما يتميز به عمله الفني من الشخصية والاصالة والألوان المتوقدة . والفنان رولان خوري هو أحد فنانينا المجددين في الفن وفي لوحاته الأخيرة عودة الى الواقعية ولكن بثوب جديد .

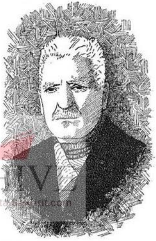
طوكيو

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تمثال فينوس في المهرجان الرياضي بطوكيو

وافقت ادارة المتاحف في فرنسا على اعارة تمثال ربة الجمال فينوس الى اليابان لعرضه خلال المهرجان الرياضي الدولي الذي سيقام هناك في أواخر الصيف الحالي ، ولا غرابة في ذلك اذا علمنا ان تمثال فينوس هو مثال جمال الاجسام وكمالها والتمثال المذكور يعتبر من أهم القطع الفنية التي يضمها متحف اللوفر في باريس وقد اتخذت كافة الاحتياطات الضرورية لوصول التمثال سالماً وأعد له مكان أمين على الباخرة الحاملة له مع عدد من المرافقين .

في مقر الخلود



عباس محمود العقاد

يوم الخميس ، الثاني عشر من آذار ١٩٦٤ ، والتاسع والعشرين من شوال ١٣٨٣ نعي في القاهرة ، عباس محمود العقاد ، الكاتب والفيلسوف والباحث ، والشاعر والصحافي السياسي المناضل ، فاهتزت لنعيه منابر العروبة ومحافلها ، وبكته أجيال من ابناء العروبة الذين تتلمذوا على كتبه ، ونشأوا في مدرسة ثقافته ، طوال خمسين عاماً أو أكثر .

كان المغفور له عباس محمود العقاد ، في مطلع هذا العصر ، آية من آيات الثقافة الشاملة ، والذكاء المتوقد ، والاخلاص للفكر والقلم والعمل الثقافي . وعندما كان المثقفون قلة في منعطف القرن التاسع عشر مع القرن العشرين كان العقاد رائداً في تماس الثقافة العربية مع الثقافة الغربية . وحوالي منتصف القرن العشرين عندما غدا احتكاك الثقافتين على نطاق متوسع ابداً ، لتوافر عدد المثقفين ، الدارسين في معاهد الغرب ، وعندما ظهر الاتجاه الى تقليد الثقافة الغربية روحاً ومظهراً وخشي على تراثنا العربي الخالد ، نخبة من المخلصين لعروبتهم وعربيتهم كان الفقيد الخالد ، أسبق من كتب وألف في

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

عبقريات الاسلام والعروبة، بالأسلوب التحليلي الجديد الذي اتبعه مؤلفو الغرب للتحدث عن عبقرياتهم الفكرية والدينية . ومثلما عرف العقادجمهوره العربي في مطلع العصر ، بغوته ، ونيتشه ، وشوبنهور ، راح يعرف الناس من بعد ، باعلام الاسلام ، وعباقرة الأدب والشعر العربيين . واعطى مؤلفاته كثيراً من ثقافاته الواسعة في التاريخ ، وعلم الاجتماع ، وعلم النفس ، كما أعطاها من روحه وأخلاصه لتاريخ أمته وأمجادها .

وان يكن الفقيد الخالد قد لقي في حياته الكثير من الألم والعنت والمشقة وكان عليه أن يعيش من قلمه وحده ، دون رفد من وظيفة أو منحة ، فقد عاش عنيداً أبياً ، عزيز النفس مصون الكرامة ، فكان في موقفه الاخلاقي من نفسه ووسطه ، وحكامه مثال الانسان المكتمل الرجولة ، ثم انه قد انتهى من صراعه مع دهره واهل زمانه الى الاعتراف العام بقدره ، ومكانته ، وتفوقه ، وكان في آخر ايام حياته يعيش عيشاً كريماً هادئاً، محاطاً باحترام الجميع وتقديرهم .

والمعرفة ، تشارك العرب مشرقاً ومغرباً في الأسى والحزن كما تشاركهم في الاجلال والتقدير لذكراه الخالدة .

من حياة الفقيد

● ولد يوم الجمعة قبل ٧٥ عاماً عام ١٨٨٩ ، تحت شمس اسوان .

● توفي يوم الخميس ١٢ آذار ١٩٦٤ على أثر جلطة لم يتحملها قلبه .

● ترك وراءه تراثاً أدبياً ضخماً ، في ثلاثةوثمانين مؤلفاً تشتمل الوانمن الفكر والأدبوالشعر والقصة والبحث والتاريخ والحضارة .

● شيع جثمان الراحل على نفقة وزارة الثقافة والارشاد القومي .

● احب كتب العقاد الى نفسه هي كما قال . . . : في الادب (ابن الرومي) . في العبقريات (عمر بن الخطاب) . في الدراسات النفسية (أبو نواس) في الفلسفة (عن الله والفلسفة القرآنية) في الاجتماع (المرأة في القرآن الكريم) .

● للعقاد عشرة دواوين شعر أشهرها : وحي الاربعين . هدية الكروان . عابر سبيل . أعاصير مغرب .

● قال قبل ٤ سنوات : ان سبب نجاحي هو العمل المتواصل ، والثقة بالنفس ، وعدم الاكتراث بآراء الناس ، وتحديد الغاية وعدم الانصراف عنها .

● لم يكن يحمل من الشهادات سوى الشهادة الابتدائية ، وقيل فيه : ان العقاد قد تخرج من جامعة العقاد !

● تنبأ له الشيخ محمد عبده بأنه سيكون كاتباً عظيماً . وهكذا كان ، وكانت أمنيته أن يصبح مهندساً زراعياً أو ضابطاً . ولكن أمنيته لم تتحقق .

● عمل في الهاتف ، ثم عمل في وزارة الاوقاف بالقاهرة ولكنه رمى بالوظيفة ليمسك بالكتاب ... أي كتاب .

● وكان يقول : كلما ازددت معرفة ازددت شعوراً بما أجهل . ان عالم المجهول الآن كما أراه أوسع مائة مرة منذ كنت اعتقد عندما بدأت حياتي.أنني اقرأ لأني لابد أن أستوضح شيئاً جديداً .

● اول مقال ظهر له في جريدة الدستور ثم كتب في كل صحف مصر تقريباً ، وناضل نضالاً صحافياً سياسياً .

● لم يترك لورثته (اخيه احمد وولدي اخيه عامر وعزن) الا كتبه وتتعدى الاربعين الف كتاب من الأدب والفلسفه والشعر الى الفلك والطب الى الجغرافيا .

● ذاق مرارة السجن ٩ شهور لأنه قال تحت قبة البرلمان : انا نسحق اكبر رأس في الدولة اذا ما وقف حائلاً ضد رغبة الشعب في اصدار القانون .

● كان يقتات من قلمه .

● تعود أن يبدأ احاديثه الاذاعية هكذا : أيها السادة والسيدات .

● ولد معه في العام نفسه في الشرق : نهرو وطه حسين .

● تقرر أن يعاد طبع كل مؤلفات العقاد كتراث تعتز به مصر .

● اطلق اسم العقاد على قاعتين احداهما في مجلس الفنون والآداب والاخرى في الدار الجديدة للكتب ، وستخصص هذه القاعة لعرض تراثه وكتبه . وسيقام له تمثال نصفي في كل من هاتين القاعتين .

جولة الشهر مع تيارات الفكر العالمي

يقدمها فؤاد الشايب

ديموقراطية المجتمع الاشتراكي اليوغوسلافي وادارته الذاتية — المؤسسات التي يقوم عليها هذا النظام، وكيف تتكون، وتمارس سلطاتها الاجتماعية والسياسية من وحدات الأساس حتى الوحدة العليا في الدولة — نتابع في هذه الجولة تحليل ملامح التحول الاشتراكي في طراز من ديموقراطية الشعب العامل — نستعرض نقداً ماركسياً لأشكال التحول اليوغوسلافي، وجانباً من التشاد العقائدي الصيني — اليوغوسلافي.

http://Archivebeta.Sakhrit.com

بعد أن اوجزنا في جولة العدد الماضي كليات المبادىء الاشتراكية في الاتحاد اليوغوسلافي، وقلنا أن هذه المبادىء قد تحولت بالواقع الى مؤسسات سياسية، يمارس بها الشعب سلطات متوسعة، بقصد تقليص سلطة الدولة بالذات، وأن قاعدتي الأساس في النظام اليوغوسلافي هما : الممارسة الديموقراطية بالاقتراع العام، والادارة الذاتية. فاننا في جولة اليوم التي نقصرها على الاشتراكية اليوغوسلافية، سندرس مؤسسات هاتين القاعدتين، ونحلل عناصر التحول في هذه التجربة الجريئة.

الادارة الذاتية L'AUTOGESTION

ان النص الدستوري الذي يعلن ان الشعب العامل ، هو وحده ولي السلطة وادارة الشؤون الاجتماعية - يجد توقيعه الواضح في نظام الادارة الذاتية . **والادارة الذاتية، تشمل جميع وحدات الانتاج والخدمات على السواء** من المصنع والمتجر ، والتعاونية الى المدرسة والمستشفى والعمارة الكبيرة ، وقد كانت الادارة الذاتية محصورة في بعض الوحدات الاقتصادية الانتاجية عام - ١٩٥٠ - فجـــاء الدستور الجديد ، بعد استقرار الدولة على نجاح التجارب الماضية ، يوسع الادارة الذاتية لتشمل عددا اكبر من الوحدات الاقتصادية ، والخدمات الاجتماعية معا الى جانب المؤسسات الحكومية ، والمستقلة - مرافق عامة وشركات الخ - وليست تقتصر الادارة الذاتية ، على وحدات الانتاج ، والخدمات ، والمؤسسات ، والمرافق العامة ، والشركات ذات العلاقة بالجمهور ، بل تمتد الى منظمات العمال انفسهم التي يؤلفونها ، كالنقابات ، والاتحادات ، بحيث يضاف الى اشراف العمال على العمل ، اشرافهم على توجيهه ومعالجة مشاكله ضمن هذه المنظمات ، وعلى شتى المستويات .

الوحدات الاجتماعية السياسية

كذلك تطبق الادارة الذاتية ، في خـــط عامودي آخر ، هو خــــط الوحدات المسماة بالوحدات الاجتماعية السياسية - الوحـــدات المعروفة عندنا بالوحـــدات الادارية - من الكومون - Commune - بلدية واحدة او مجموعة بلديات ، الى الدائرة - arrondissement - وهي مجموعة كومونات - الى المقاطعة ذات الاستقلال الاداري province ، الى الجمهورية الاتحـــادية - R . Féderée - الى الاتحاد - Féderation

وهنا ، تتخذ الادارة الذاتية ، طابع معالجة الشؤون العامة ، ضمن حدود السلطة السياسية الممنوحة للوحدة ، ومايتفرع عن هذه السلطة من شؤون ، كالتخطيط ، وتوزيـع الدخول .

ففي (الكومون) - وهي وحدة الاساس - وعن طريق ادارتها الذاتية ، تعالج الشؤون ذات النفع العام ، وتوجه قضايا التنمية الاقتصادية ويتم تنسيقها . ويجري التوفيق بين المصالح الخاصة ، والمصالح العامة ، اي ان الادارة الذاتية في (الكومون) تمـــارس سعة من من الصلاحيات التي لاينص قانوناً على انها من اختصـــاص الجمهورية المتحدة ، أو الاتحاد . ولايقف تماس (الكومون) بالشؤون العامة عن طريق انتخاب جهاز ادارته الذاتية فحسب ، بل انها لتنتخب ايضا مندوبيها لترسلهم الى وحدات اجتماعية سياسية أعلى واوسع.

ويتم التكامل بين المجتمع وعماله ، والمنظمات العمالية فيه ، ضمن حدود الوحدات الاجتماعيـة السياسية ، اما عن طريق التعاون المصلحي الحر بين مختلف الوحدات الاقتصادية او الاجتماعية ، التي بينها ترابط علاقات وتبادل منافع . واما عن طريق الادارة الذاتية للوحدة الاجتماعيـة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

السياسية ، التي تتعامل وفق الصلاحيات الممنوحة لها ، مع الادارات الذاتية ، لمؤسسات وهيئات، تتحرك ضمن حدود هذه الوحدة . وبهذا تحقق الادارة الذاتية ، تلازم العمل الاقتصادي الاجتماعي السياسي ، دون انفصام . **وهذا مايرمي اليه النظام اليوغوسلافي : الا يكون المنتج مجرد اداة انتاج ، كما في بعض الانظمة الاشتراكية ، ولامجرد صوت انتخابي ، كما في الانظمة الديموقراطية الرأسمالية .**

الجمعيات التمثيلية

وهنا نشعر مع القارىء ان المشهد بحاجة الى تبسيط وتوضيح عن طريق تفاصيله، ومسالكه . اذ أن الجديد في الاشتراكية اليوغوسلافية ، هو ترجمتها العموميات والكليات الى ممارسة عملية منظمة ، ومركبة على الغالب .

ان أهم ما سنوجه اليه الضوء ، في ساحة التفصيل ، ان اصطلاح (جمعية تمثيلية) Assemblée Representative لايقتصر على انتخاب مجموعة من الممثلين او النواب ، يجتمعون في العاصمة وحدها ، ويسمى تجمعهم ، بمجلس النواب ، أو بالمجلس التشريعي أو بالمجلس الاعلى او بالجمعية الوطنية . . الخ . . بل هو بالواقع جسد سياسي قائم فعلا على جميع المستويات ، من الكومون الصغير ، حتى الاتحاد في العاصمة(١) ، أي بالتفصيل في كل من : الكومون ، والدائرة ، والمقاطعة المستقلة ، والجمهورية المتحدة ، والاتحاد .

والجمعية التمثيلية هذه ـ البرلمان ـ على جميع مستوياتها ، انما ينتخب اعضاؤها انتخاباً ، كما سنوضح . ويسمى المنتخب للجمعية الاتحادية – اي البرلمان المركزي – **نائباً** Deputé كذلك مسماه في كل من جمعيات الجمهوريات المتحدة ، وفي المقاطعات . اما في الدوائر وفي الكومونات ، فيسمى Conseiller ـ **عضو مجلس** ، وليس مستشاراً ، لأن الوظيفة ، والعضوية ليستا استشاريتين .

الديموقراطية والادارة الذاتية في وحدة الاساس

لنلق نظرة على اسلوب الممارسة الاشتراكية في (الكومون) ، وحدة الاساس ، حيث (الجمعية التمثيلية) المنتخب اعضاؤها بالاقتراع السري ، تمثل سلطة الشعب ، مواطنين وعمالا .

ومما هو جدير بنا ان نعرفه ، في البدء ، ان اصطلاح (مواطن) في الدستور اليوغوسلافي

---

(١) قد يكون من المفيد ان نذكر بأن الجمهورية الاشتراكية الاتحادية اليوغوسلافية ، مؤلفة من ست جمهوريات متحدة R. Féderée هي ١ – البوسنة والهرسك ٢ – ومقدونية ٣ – وسلوفانيا ٤ – وصربيا ٥ – وكرواتيا ٦ – ومونتينغرو ـ ومن مقاطعتين تتمتعان بادارة مستقلة هما ١ – فويفودين و٢ - وكاسوفو ميتوهي .

الاشتراكي، **يشمل كل فرد ، بلغ الثامنة عشرة من العمر ، وحق له ان يكون ناخباً ، ونائباً او عضو مجلس .** والمواطنيـــة ، في الاشتراكية اليوغوسلافية ليست مجرد نداء اخوي ودي ، انها كلمة ذات محتوى سياسي ، يقرر حق الانسان في ممارسة السلطة ، مهما يكن جنسه ودينه ولونه وعمله ، والمنظمة التي ينتسب اليها . وهذا هو وجه الديموقراطية السياسية في الاشتراكيـــة اليوغوسلافية .

وهذا هو الجديد حقاً في التحول الاشتراكي. اذ أن الديموقراطية هنا لاتقتصر على العمال ،في تجمعاتهم وقياداتهم، بل تشمل جميع (المواطنين) مها تكن صفاتهم الاقتصادية والاجتماعية، طلاباً أم صناع حرف ، أم مزارعين ، أم تعاونيين أم موظفين ، طالما ان الفرد منهم قد بلغ سن الثامنة عشرة . وسنرى في كيفيـــة اجراء الانتخابات لجمعية الكومون صورة عن هذا الطراز الشعبي في ممارسة الاشتراكية ديموقراطياً. **ومعنى (ديموقراطياً) هنا، ينصرف الى عدم اخضاع المجتمع لدكتاتورية البروليتاريا ، والى عدم اخضاعه في الوقت نفسه الى سيادة رأس المال.** فالعمل هنا ، قاعدة المجتمع ، ومقياس علاقاته الاجتماعية والسياسية .

في الجمعيـــة الكومونية : Assemblée Communale – فيهذا البرلمان الاصغر ،يقوم مجلســـان Conseils – احدهمـــا مجلس الكومون والثـاني مجلس طوائف العمــــل Communautés de travail – (١) .

فكل مواطن بلغ الثامنة عشرة من عمره ، يحق له أن ينتخب وينتخب لمجلس الكومون ـ المجلس السياسي ـ بينما لاينتخب وينتخب لمجلس طوائف العمل سوى العمال المستخدمين ضمن حدود الكومون الادارية ، في المؤسسات الاقتصادية ، والمصارف ، وفي المؤسسات الثقافية والاجتماعية ، والصحية وفي اجهزة الدولة ، والمنظمات الاجتماعية السياسية ، واعضاء التعاونيات والصناع واعضاء الغرف الحرفية .

وتتم عملية الانتخاب ، بالمراحل التالية :

اولا ـ يجيء الاتحاد الاشتراكي في الكومونات اسباب التجمع للمواطنين ، ليرشحوا ممثليهم ، في اجتماعات عامة . كما يجيء بالاشتراك مع منظمات العمال ، اجتماعات عمالية عامة لترشيح ممثلي العمال وبالاضافة الى مرشحي الاجتماعات العامـــة ؛ يستطيع كل خمسين مواطنـــاً أن يرشحوا احد المواطنين للمجلس السياسي بينما لايقبل ترشيح

---

(١) نقصد بطوائف العمل ، انواع وظائف العمل من اقتصادية ، وثقافية ، واجتماعيـــة التي يمارسها العمال في مختلف المؤسسات العمومية ، والرسمية ، وقد وجدنا اقرب الكلمات الى المعنى المقصود من Communauté هو (طائفة) .

ممثلي العمال لمجلس طوائف العمل الا في اجتماعاتهم العامة .

ثانيا ـ تأتي مرحلة قبول الترشيح ، بعد الترشيح فيقبـــل المرشح بأصوات اكثرية المجتمعين من مواطنين او من عمـال ، شريطة ألا يقل عدد المجتمعين عن خمس عدد الذين يحق لهم الانتخاب في الدائرة الانتخابية .

ثالثا ـ ثم تأتي مرحلة انتخاب المرشح بالاقتراع السري ، بعد أن يكون الاتحاد الاشتراكي قد قام بمهمته في اعداد التجمعات ، للمناقشة والمداولة في احوال المرشحين . فاذا كان المرشح واحداً يجب أن يحصل على اكثرية الأصوات المطلقة ، واذا كان ثمـــة اكثر من واحد ، ينجح من المرشحين، من ظفر بالعدد الأكثر من الأصوات اي بالأكثرية النسبية .

سنعود ثانية الى الممارسة الديموقراطية صعوداً حتى الجمعية الاتحادية ، أي ـ البرلمان الفدرالي اليوغوسلافي ـ . وقبل ذلك لابد ان نتعرف الى الشق الثاني من التنظيم الاشتراكي اليوغوسلافي وهو الادارة الذاتية ، في وحـدة الأساس ، الكومون .

يجب ان نعلم اولا ، أن البرلمان الصغير أي جمعية الكومون ليس جسداً تمثيلياً شكلياً ، أو مما توصف به المجالس النيابية الغربية ، بل هو بموجز القول مجمع سلطات الشعب . انـه ليس رمز ارادة الامـــة ، كما يقال في المصطلح الديموقراطي الغربي الشائع ، بل مشغل الأيدي التي تخدم الشعب ، تجمعت لتمارس عملا ، وواجباً

وحقاً ، انه تجمع عمل ، لا تجمع نظر . مع انه لا ينظر من وظائفه ايضا . **انه بالاصطلاح اليوغسلافي ، جهـاز تنفيذ (الادارة الذاتية .)**

فاذا القينا نظرة على وظائف الجمعية الكومونية بالنصوص الدستورية ، علمنا أن الجمعية، في ادنى وحداتها ، **هي جهاز السلطة العليـــا والادارة الذاتية ، ضمن حدود الحقوق والواجبات ـ المادة ٧٨ من دستور ـ ١٩٦٣**

يعني ان هذا الجسد النيابي التمثيلي ،هو الذي يضع السياسة العامة للوحدة السياسية الاجتماعية ـ الكومون ـ ويتخذ القرارات في كل ما يمس الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية ، وشؤون التنمية ، والتخطيط والميزانية الخاصة بالوحدة ـ وهو الذي يختار الموظفين ـ ويراقب نشاط الاجهزة السياسية والتنفيذية ، والادارية ، التي يعينها ويحق له عزلها وهي مسؤولة أمامه .

ومن اختصاصه وواجباتـه ، تحسين العمل وتطوير القوى الانتاجية ، وتوجيه التنمية ، والتنسيق بين المرافق المختلفـة ، بالاضافة الى المهام الرئيسية في تحديد الحاجات المادية والاجتماعية والثقافية ، للكومون ومواطنيه ، وتقرير ما اذا كان يكتفي بالموارد المحلية في موازنة الكومون ، أم يلجأ الى الجمهورية او الى الاتحاد للمساهمة في نفقات الانتاج او الخدمات . ويرعى أمن الجمهور وسلامة الأرواح والأموال ، ويضمن حقوق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشكوى والتظلم من المرجع الأدنى حتى الأعلى وسوى ذلك من مهام وواجبات وحقوق لاينص الدستور على انها في نطاق سلطة الجمهورية أو الاتحاد.

وواضح من هذا أن نظام الادارة الذاتيـــة في المجتمع الاشتراكي اليوغوسلافي ، يهـــدف الى تحقيق اللامركزية ، بأبرز صورها جملة وتفصيلاً ، واللامركزية هنـــا ، لاتتناغم مع الديموقراطية الشعبية ، في مكافحتها التحكم البيروقراطي ، فحسب (١)، بل تنسجم مع الاهـــداف الاساسية للاتحاد اليوغوسلافي السياسي ، ذي الجمهوريات الست ، والاقليمين المستقلين ، حيث **لايمكن الا باللامركزية ، تحقيق الانسجام بالتعدد** الانسجـــام الاجتماعي السياسي ، والانسجام الاداري معاً .

وهنا في هذه النقطة من توضيح ملامح النظام الاشتراكي نتساءل كيف نلتقي هذه الوحدات الصغيرة واين ؟! **أو لايخشى أن تصبح الدولة ، في نظام هـذه الاستقلالات الصغيرة الماثلة في الكومونات ، خمسمائة واحدى وثمانين دولة ـ عدد الكومونات الحالي في يوغوسلافيا ـ يديرها جمهور جم غفير بعـــد اثنين واربعين الفاً وتسعمائة وسبعة مستشارين — عدد مستشاري جمعيات الكومونات كما** ظهر في انتخابات عام ١٩٦٣ . —

---

(١) معلوم ان الايديولوجية الاشتراكية الماركسية ، والتمركسة ، تنزع في الاصل الى كسر شوكة الدولة ، وتسلط بيروقراطيتها . ولقد لوحظ من بعد ماركس ، وفي تطورات الاشتراكية عبر القرن العشرين ان قد لازمهـــا داء بيروقراطية الاجهزة الادارية ، والتكتيكية ، بحيث بات الاشتراكيون المثاليون ، يخشون من تكون طبقة حاكمة جديدة ، تخرج من صفوف العمال ، لتخون قضية العمال ، حتى في ظل دكتاتورية البروليتاريا ، وقد لاحظ القراء في جولة المعرفة عدد ٢٤ — أن هذا التسلط البيروقراطي والتكنوقراطي ، اخذ يشغل بال الرئيس خروتشوف ، فأقبل عليه يكافحه من طريقين : طريق تشغيل اجهزة الحزب بالوحدات الاقتصادية الدنيا والعليا ، لزحزحة الوطأة البيروقراطية عنها ، وطريق تشغيل الوحدات نفسها بالحافز الشخصي ، مع منحها بعض الصلاحيات ، للتحلل من رزوح البيروقراطية الادارية ذات التسلسل ، وفي هذه الطريق جنوح نحو التيتوية. على ان التيتوية قد وجدت مخرجاً اوسع فسحة واقل حرجاً في ممارسة الديموقراطية الشعبية والادارية الذاتية ، عندما تخلت من فروض (دكتاتورية البروليتاريا) وقيادية الحزب الانحصارية ، بحيث اصبح من اضخم اعباء الحزب أن يساعد المواطنين على التدرج في معالجة شؤونهم وتقريرها بالاستغناء عن الدولة والحزب معـــاً . وهذا هدف ماركسي مثالي .

جواباً نقول ان الدولة بنظام الكومونات وصلاحياتها الواسعة ، قد تخففت بالواقع من الكثير من أعبائها التي طالما عرقلت حركتها ودورتها بلاطائل ولامبرر . ولرب زاعم يزعم أن الدولة باجهزتها العليــا المركزية ، تتقن الادارة الصغرى والكبرى ، باكثر ماتتقنــه هذه الوحدات الصغيرة الكثيرة . ان مثل هذا الزاعم لايؤمن حقاً بقدرة الشعب ، ولا بقيمة الديموقراطية . اذ مثلما نفترض المحاذير في نظام تعدد الوحدات ، نفترض أيضاً في تسلط المركز على الوحدات تسلطاً لاقيمة معه لجمهور الشعب ، ولمبادىء الحكم الشعبي. ويبقى أن باحثي التجربة اليوغوسلافية وصانعيها يقولون لنا ان نجاح الادارة الذاتية في الوحدات الاقتصادية خلال السنوات العشر التي مضت ، حدا بهم الى التوسع في تطبيقها على الكثير من الوحدات الاجتماعية والسياسية ، لتشمل بالفعل جميع مرافق الدولة وشؤونهــا ، من ادارة الاتحاد ، حتى ادارة عمارة ذات عشرين طابقاً ، تخضع للملكية الجماعية .

ولننظر الآن الى جانب آخر من النظام ، حيث لاتقتصر ادارة الشعب على ادارة بلديته ، بل تستمر صعداً حتى تستوي في المقر الذي يمكنه من ادارة دولته ايضاً . توضيحاً لهذا الجانب من الممارسة الديموقراطية ، لابد من ان نمشي قليلا مع هذا الخط الصاعد ، ودليلنا دستور الاتحاد نفسه وبعض أقوال مشرعيه .

ان السلطــة العليا في الاتحاد الاشتراكي اليوغوسلافي تشريعاً وتخطيطاً وتنفيذاً هي (الجمعية الاتحادية) في العاصمة ، أي البرلمان الاتحادي . والجمعية مؤلفــة من خمسة مجالس Conseils . لكل مجلس سلطات وصلاحيات ، اما أن يمارسها مع غيره من المجالس ثنائياً ، أو جماعياً ، عن طريق الاجتماعات العامة ، في شؤون عليا نص عليها الدستور . وهذه المجالس هي : المجلس الاتحادي ، **وهــو مجلس مندوبي المواطنين** القادمين من الكومونات والجمهوريات . والمجلس الاقتصادي ومجلس التربية والتعليم ، ومجلس الشؤون الاجتماعية والصحية ومجلس التنظيم السياسي ، وهي مجالس اربعة يحتلها **مندوبو العمال** ، القادمون من مختلف طوائف العمل ، في الكومونات والجمهوريات . وهنا في رحاب السلطة العليا تبدو ايضاً ثنائية (المواطن) و (العامل) .

فكل مواطن يتمتع بحق التصويت اطلاقاً ، يجوز ترشيحه للمجلس الاول من الجمعية وهو المجلس الاتحادي . ويتم ترشيح المواطن في الاجتماعات العامة التي يعقدها المواطنون في الكومونات .

اما المجالس الاربعة الاخرى فيقتصر حق الترشيح لها على العمال ، واعضاء ادارات العمل في وحداته ، كالمصنع والمتجر مثلاً ، ومنظماته التي تماثل نشاطها ، نشاط احد هذه المجالس ، من اقتصادي الى ثقافي ، الى اجتماعي الخ .. مع الملاحظة ان مجلس التنظيم السياسي ينحصر حق الترشيح له ، علــى الأعضاء من العمال في

ادارات منظمات العمل ، كالنقابات والاتحادات ، اي اعضاء الهيئات المسؤولة ، وذلك تحقيقاً لاشراك العامل في الهيئة السياسية العليا في البلاد، عن طريق اداراته ووحداته الصغيرة .

أما كيف يصل المواطن اوالعامل ، في الكومون ، الى أحد مجالس الجمعية الاتحادية ، فطريقه يدل بوضوح على التصميم الدستوري الهادف الى ربط الوحدات الصغيرة بالكيان القومي الكبير . ففي المادة ١٦٩ من الدستور نص على ان المواطن المرشح يصبح نائباً في المجلس الاتحادي بعد أن تنتخبه جمعية الكومون انتخابا ، ثم بعد أن يعزز هذا الانتخاب بفوز المرشح باغلبية الاصوات المطلقة في الكومون ، عن طريق الاقتراع المباشر : اي انه ينتخب مرتين او على درجتين . أما في المجالس الأربعة الأخرى ، التي يرشح لها العمال في احدى طوائف العمل ، فيكفي ان تنتخبهم جمعية الكومون ، باكثرية الأصوات. ولعل نظام الدرجتين لانتخاب المواطن يدلنا اولا على اهمية المجلس الذي سيتوجه اليه المرشح ، وهو اخطر مجالس الجمعية والدولة كما سنرى ، وثانياً لأن (المواطن) الذي لاينتسب لاحدى طوائف العمل ، يجب أن يمر بمصاف دقيقة ، حتى يستحق شرف التمثيل .

نلاحظ في هذا الجانب من عملية الصعود ، الامور التالية :

١ – ان المواطنين عامة ، قد افسح لهم الدستور فرصة ثمينة ، لاحتلال ارفع سلطات الدولة واكثرها شمولا .

٢ – ان الدستور قد اخضع انتخابهم بالاقتراع العام كما اشرنا ، للحصول على الاكثرية المطلقة لمجموع ناخبي الكومون ، بما فيهم ، بالطبع العمال الناخبون . ويعني ذلك ان (المواطن) وان لم يكن (عاملا) فلا بد من رضى العمال عنه ليخرج الى الصفوف المتقدمة من الادارة السياسية العليا .

٣ – ان الاقتراع العام في الكومون ، عن طريق تجمع اصحاب حق الانتخاب في اجتماعات مواطنين أو عمال ، يقطنون ضمن حدود كومونهم ، سواء لانتخاب اعضاء جمعيتهم الصغرى أم لانتخاب نواب جمعيتهم الاتحادية – ان هذا الاقتراع يضمن بلوغ سدة السلطة العليا ، لأناس يمثلون حقا طبقتهم واختصاصهم ، ووسطهم ، فيحق لهم أن يمارسوا صلاحيات سياسية الى جانب صلاحيات اجتماعية واقتصادية بالأخص اذا علمنا **أن الأكثريات الدستورية والقانونية التي يحق لها أن ترسل مستشاراً أو نائباً الى جمعية من الجمعيات في جميع المستويات من الكومون الى الاتحاد ، قد اعطاها الدستور في أي وقت شاءت حق عزل هؤلاء المستشارين والنواب . مع العلم أن مدة العضوية في أي جمعية حددت باربع سنوات ، وتتجدد عضوية نصف الاعضاء كل سنتين ، ولا يجوز الجمع**

ARCHIVE

بين عضوية الجمعية ، وعضوية مجلسها التنفيذي ، مرتين متواليتين .

كذلك ، وبنفس الاعتبار تحدد العضوية في مجالس العمال المنتخبة بمدة سنتين ، والعضوية لجان الادارة بسنة واحدة ولايجوز انتخـــاب عضو مجلس العمل ، لعضوية لجنة الادارة مرتـــين متواليتين . وبديهي أن القصد من هـذه القيود عدم السماح مع التقادم الزمني ، بنشوء (طبقة حاكمة) تفسدها بيروقراطية السلطة ، فتعزلها عن شعور المواطن العادي ، أو العامل ابن الشعب .

٤ — تشير باهتمام ، الى المركز الممتاز الذي يمنحه الدستور ، المجلس الاتحادي في الجمعيـــة الاتحادية . ان هذا المجلس المؤلف بالانتخابات

كما رأينا من مندوبي المواطنين ، هو أكبر سلطات الدولة اطـــلاقاً ...

فكل قانون من القوانين أو قرار من القرارات التي تتخذها المجالس الاخرى في الجمعية ،وهي مجالس الاقتصاد ، والتربية والتعليم والشؤون الاجتماعية ، والتنظيم السياسي ، يجب ان تكون في جلسة مشتركة ثنائية وعلى قدم المساواة بين أحد هذه المجالس والمجلس الاتحادي الذي يصدر باسم المجلس المختص القوانين والقرارات المتخذة بالتصويت .

وبالاضافة الى سلطة المجلس الاتحادي التي يشارك بها كل مجلس من هذه المجالس على حدة فانه ينفرد بممارسة صلاحياته في ادارة شؤون الدولة ومرافقها وهي الشؤون الخارجية ، والدفاع القومي ، وأمن الدولة ، وتعيين رئيس المجلس التنفيذي الاتحادي واعضائه ، وعزلهم ، وتعيين وزراء الاتحاد وعزلهم ... الخ ...

الحقائق الأساسية في التحول الاشتراكي اليوغوسلافي

ليس من مشروع جولتنا التبسط في قراءة مواد الدستور اليوغوسلافي ، وتحليل مواده ، الا ماساعدنا عـــلى تصوير ملامح الحيـــاة الديموقراطية بالممارسة ، والادارة الذاتيـــة في أضيق حدودهما ، في الكومون ، وهما كما سبق ان ذكرنا ، دعامتـــا النظام الاشـــتراكي اليوغوسلافي ، ورمز التحول الكبير حقاً في التطبيق العملي للنظريات الاشتراكية .

فاذا ما ألقينا نظرة شاملة على ماسبق أن أوجزناه من صور لبعض المؤسسات السياسية ، واشكالها التي تستوعب مبادىء الديموقراطيـــة والادارة الذاتية ، امكننا تقرير بعض الحقائق الأساسية التي نعتبرها في أساس هذا التحول ، الفريد المثال ، في حياة الاشتراكية المعاصرة .

من هذه الحقائق:

أن القيادة اليوغوسلافيـــة تؤكد انبثاق دستورها الجديد ، من المثالية الماركسية ، ومن التجربة الناجحة التي مارستها خلال السنوات العشر الماضية . واجلى اهداف هذه المثالية ، **تبديد التجمع البيروقراطي ومركزيته وازالة الاشكال الدولة التقليدية بالتدريج**

فاذاعلمنا ان الماركسيين المتعصبين ، يأخذون على التيتوية استعجالها سلوك هذه المغامرة مما يصح فيه تطبيق القاعدة (من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه) لاسيما وان مجتمعها لم يبلغ بعد بالتصنيع والتشريك مرحلة التخلص من اشكال دكتاتورية البروليتاريا التي هي أشكال الحضارية الدولة ، فان الماركسية التيتوية تعتقد أن قد بلغت بالتجربة والممارسة ، مهما يكن مستواها التصنيعي ، حدود الدخول في ابدال اجهزة الدولة ، بأجهزة الادارة الذاتية ، على نطاق واسع ، اقتصادي واجتماعي وسياسي وان من شأن الادارة الذاتية أن تخلق بالعادة ممارسة افضل لسلطة الشعب . اذ ليس من الضروري ، تأبيد مرحلة الترقب والانتظار في ظل دكتاتورية الدولة ، كما أنه ليس من العدل المثابرة على سياسة الحرمان والشدة وتشغيل العامل بالأجرة وحدها ، وحرمانه من حرية اختيار العمل ، ومن حق التمتع بمكافأة الجهد المبذول والانتاج الجيد بما يتعدى الأجرة اليومية الى انشاء علاقة اجتماعية جديدة ، بين العامل والعمل هي الكسب المستحق بقدر الجهد المبذول ، كما وكيفاً .

فان كانت الديموقراطية الرأسمالية تنكر على العامل حقه في هذا الكسب المشروع ، لأن الاعتراف بحقه هذا ، يناقض طبيعة الاحتكار الرأسمالي ـ وان تكن الاشتراكية بدكتاتورية الدولة ، لاتفسح له مجال الانتفاع بهذا الحق ، بالرغم من ان نظام المجتمع برمته ، قد خلق من أجله ، فان المجتمع اليوغوسلافي يخطو خطوة واسعة ، نحو تحقيق **كرامة المواطن** في شخص العامل ، بالاضافة الى **أهمية المنتج** في شخصه أيضاً .

ان الدستور اليوغوسلافي الاشتراكي يمنح العامل ، مرة وصف (مواطن) ، ومرة وصف (فرد) ، ويؤكد اهمية هذين الوصفين ، ليؤكد معاني المساواة والشرط الانساني . ان المجتمع ليس امتصاصاً لشخص الانساني ، ولا افتئاتاً على فرديته ، بل ان النظام الاجتماعي برمته ليس الا لخدمته واعداده لدوره في الجماعة ، متزايد الفعالية والنشاط والفائدة . **وعلى هذا فالانسان كفرد ، وكعضو في مجتمع عامل ، صاحب حق في ان يتمتع بثمرة عمله وتقدم مجتمعه المادي ، وفقاً لقاعدة (من كل حسب طاقته ، ولكل حسب عمله) ، شريطة أن يعمل لتطوير الاساس المادي لعمله ولمجتمعه ـ خلاصة من مقدمة الدستور ـ**

ومن الحقائق الأساسية :

أن الدولة اليوغوسلافية بعد أن اعلنت ان مجتمعها اشتراكي ديموقراطي ، السيادة فيه للشعب العامل ، وللادارة الذاتية ـ المادة الاولى من الدستور ـ

وبعد ان اعلنت في مقدمة الدستور ان عمل الانسان هو الاساس الوحيد لتملك العمل

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاجتماعي – إبعاد الرأسمالية بهذا الشق من التعبير –

وأن عمل الانسان هو الاساس الوحيد لادارة الانتاج – إبعاد تحكم الدولة –

بعد ان اعلنت الدولة، هذه الكليات المؤكدة اشتراكيتهــا وسيادة الشعب العامل ، لم تخش التجوال في حدود واسعة من التصرف والاجتهاد حتى لنكاد أن نقيم تماساً طويلا مع عدة نقاط على حدود الديموقراطية الليبرالية المعهودة في العالم الغربي .

ولعل ابرز نقاط هذا التماس في اعلان الدستور :

– حق التصويت لكل مواطن بلغ الثامنة عشرة ، بحيث يتمكن من بلوغ مراكز ادارة الدولة اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً .

– حرية الابداع العلمي والفني ، وتملك حقوقه المادية والمعنوية .

– حرية ممارسة الشعائر الدينية، وتأليف منظماتهــا ، وجواز مساعدة الدولة لها ، بشرط واحد ، هو عـــدم زج الدين في الاستغلال السياسي .

– المجتمع يحمي الأسرة ويلزم الأبوين بتربية ابنائها وتعليمهم .

– حق الارث مكفول ضمن الحدود القانونية والدستورية .

– اعلان حرية العامل في اختيار مهنته .

– الحقوق المكتسبة بالعمل حقوق مقدسة .

كذلك يشار باهتمام الى تصرفات واجتهادات واسعة ، غير متصلبة ، في وصف الملكيــات الخاصة وتحديدها ، وتشجيعها في بعض الظروف والأحوال .

من ذلك : حق تملك المبـــاني السكنية ، والمباني اللازمة لممارسة عمل فردي بقصد الحصول على دخل – نص دستوري – كذلك ملكية مواد الاستهلاك والاستعمال الشخصي.

– حق تملك عشرة هكتـارات من الأراضي الزراعية لكل أسرة وجواز زيادة المقدار بقانون .

– اعلان حق الاشخاص ،دستوريا باستعمال الوسائل الخاصة في الزراعة وسواها من ميادين النشاط الاقتصادي ولهؤلاء الحق أيضاً في تاليف جمعيات تعاونية بينهم ، بشكل منظمات عمل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان تشجيع الزراعات الخاصة في يوغوسلافيا من الشؤون المقررة ، دفعاً لعجلة الانتاج وزيادة الدخل القومي . على أن النص الدستوري الذي يبيح استعمال الوسائل الخاصة في (ميادين النشاط الاقتصادي الاخرى) بمثابة الدستور اباح للقانون حرية التصرف زراعة وتجارة وصناعة وخدمات . وهو شأن جدير بالتسجيل في عملية التحول التي نعرضها .

اباح الدستور للقانون تعيين الحالات التي يجوز فيها للمواطنين القيام باعمال مهنية واعمال خدمات **بقصد الحصول على** دخل خاص بهم **وهذه الاباحة** تشكل مساحات **واسعة من العمل الحر.**

وأكثر من ذلك :

فقد منع الدستور تشغيل الاشخاص واستغلالهم بقصد الربح ، الا انه يجوز بقانون **السماح لأشخاص يشتغلون بعمل خاص وبوسائلهم الشخصية أن يستعينوا باشخاص آخرين لم يحدد الدستور عددهم .**

أما في تعامل الاتحاد اليوغوسلافي ، مع العالم دولاً وشعوباً ، فقد جاء في مقدمة الدستور **اعلان المجتمع اليوغوسلافي مجتمعاً مفتوحاً على العالم كله .**

فبديلا عن (الثورة) الاشتراكية ووحدانية البروليتاريا العالمية ، وتناقض الرأسمالية والاشتراكية وتعارضها في طبيعة نظام كوني يسير نحو زوال الرأسمالية ، وبديلا عن تحقيق الاشتراكية بالحرب والثورة ، والعنف ، وقتل الخصوم وتدميرهم اينما كانوا . بديلا عن كل هذا ، يعلن الدستور اليوغوسلافي في مقدمته بكل هدوء : **ان يوغوسلافيا تثق بحركة الاشتراكية الدولية .** تعلن هذا النص المختصر في انشاء مترسل يبدأ بالتصريح الكبير **بأن التعايش السلمي والتعاون الايجابي هما شرط ضروري للسلام - بل ايضاً - التقدم الاجتماعي في العالم -**

- وعلى هذا الاساس لن تتدخل يوغوسلافيا في الشؤون الداخلية للدول الاخرى .

- تعلن احترام السيادة القومية والمساواة في الحقوق بين الدول والشعوب .

- بل تطالب بانماء جميع صور التعاون الدولي التي تسهم في خدمة السلام ، وبدعم الاحترام المتبادل والتقارب بين الدول والشعوب **مع توسيع التبادل الحر للثروات المادية والمعنوية ، والمعلومات .. وجميع انواع العلاقات** ، من اجل تحقيق الازدهار الاقتصادي والثقافي ، وسوى ذلك من مصالح مشتركة .

ARCHIVE
archivebeta.Sakhrit.com

نموذج من النقد الماركسي – اللينيني للاشتراكية اليوغوسلافية

فيما يبقى لنا من مجال قليل ، سنورد بعض وجوه التشاد المنيف بـــين الصين الشعبية ، ويوغوسلافيا ، ولايعنينا تفصيل التجهم السياسي والاعلامي بين الدولتين ، الا بقدر مايساعدنا الحوار على توضيح ملامح التناقضات الحادة التي تواجهها الحركات الاشتراكية ، بل بقدرمايفيدنا ذلك ، على الغالب ، في تكوين دائرة كاملة من الاحاطة بملامح التحول الاشتراكي في يوغوسلافيا ، وهو موضوعنا الاساسي .

لمحة تاريخية عابرة ، تطلعنا على ان المعركة العقائدية السياسية ، على اشدها بين الدولتين منذ قيام جمهورية الصين الشعبية في تشرين الاول عام ١٩٤٩ حتى اليوم . كانت الصين الشعبية منذ نشوئها ، وفي حياة ستالين ، الى جانب الاتحاد السوفييتي ، والأحزاب الشيوعية في العالم ، اثر الانشقاق اليوغسلافي ، على القيادة العالمية ، وقد امتدت حالة الحصارهذه حتى بعد وفاة ستالين بقليل . وفي عام ١٩٥٥ عـــاد الصفاء ، مع التمثيل الدبلوماسي ، والتعاون الاقتصادي والثقافي بين الصين ويوغوسلافيا ، حتى عام ١٩٥٨ حيث استأنفت الصين حملتها العنيفة ومازالت ماضية بها مع الفارق اليوم أن يوغوسلافيا ، غدت في الاعتبار السوفيتي ، ومعسكره ، دولة اشتراكية راقية ، ووطناً للعمال عزيزاً ، حيث لا تتم الاشتراكية **باجترار الحديث عن الثورة بل بالبناء الاشتراكي الفعلي** ، كما يقول خروتشوف ممتدحاً يوغوسلافيا ، ومعرضاً بسواها (١)

سياسياً : كانت آخر حجة تمسكت بها الصين لاستئناف حملتها على يوغوسلافيا أن رفضت هذه توقيع (تصريح موسكو) عام ١٩٥٧ الذي وقعته الأحزاب الشيوعية .

عقائدياً : تنعقد الحملة الصينية على أن الدولة اليوغوسلافية : كفرت بالماركسية اللينينية ، فهي دولة الردة والخيانة ـ فتحت اشتراكيتها على سعة للرأسمالية ، و (برجزت) بروليتاريتها ـ حولتها الى بورجوازية ـ واخضعت مقدراتها للرسمالية الامريكية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) ليس ذماً بيوغوسلافيا اومدحاً لها الاقرار بحقيقة أنها دولة اختارت طريقها الخاص في تحقيق ماركسيتها ، وحرصت على (استقلالية) كاملة ، تجاه الحركة الشيوعية العالمية ، والقيادة السوفييتية . فهي من هـذا الجانب ، لم تتبدل . انما الذي تبدل وكان في تبدل دائم بين فترة واخرى منذ عام ١٩٥٦ هو رأي الاتحاد السوفيتي والصين الشعبية في الموقف اليوغوسلافي ومعلوم أن الدولتين التقتا ردحاً من الزمن على خصومة الاشتراكية اليوغوسلافية ، ثم تفردت الصين الشعبية في الخصومة ، ومعها البانيا وبعض الأحزاب الشيوعية .

ومن الانتقاد الصيني في المشادة أن يوغوسلافيا طفقت تزين النظام الرأسمالي وتروجه ، تغازل الدولار ، وتمارس نفوذاً تفسيخياً على الارادة الثورية ، وتخدم مصالح الأمبرياليين .

المآخذ المادية – يصر النقد الماركسي الصيني على ان التطبيق الاشتراكي في يوغوسلافيا ، يوجه المجتمع نحو الرأسمالية الخصوصية . اذ ان بعض النصوص الدستورية او القانونية التي تبيح للمواطنين ، انشاء مؤسسات صغيرة للصناعات الحرفية اليدوية او الآلية التقليدية ، او للتجارة المحدودة ، او الخدمات في بعض مرافق المواصلات وسواها – ان هذه النصوص الاباحية ، قد أدت بالواقع وبالتعامل المادي الى نشوء تجمعات رأسمالية ، تجني الارباح ، وتستأجر العمال او الصناع بأجور ، وتحقق مكاسب غير مشروعة ، ثم تتوسع تحت انف المراقبة ، حتى تغدو قوى اجتماعية سياسية لاشعبية ، ولا اشتراكية .

مثال ذلك أن في يوغوسلافيا ، بحسب احصائيات المصادر الصينية مأخوذة عن امهات يوغوسلافية – نحواً من احد عشر الف مؤسسة للصناعة الحرفية ، ليس كل اصحابها صناع حرف صغيرة ، بل قد غدا بعضهم رأسماليين مرموقين . ان بعض هذه المؤسسات يباح له قانونا ان يستأجر خمسة صناع عمال ، ولكنه يستأجر اكثر من مئة يمارس عليهم الاستغلال الرأسمالي . وبعض اصحاب هذه المصانع الحرفية ، يحقق ربحاً سنوياً لايقل عن مئة الف دولار . . . ! وان في يوغوسلافيا لايمارس الاهلون ، حرفاً حرة فحسب ، بل صناعة وتجارة ، وخدمات ، وصيرفة ربى !

في الزراعة ، يقول النقد الصيني –

إن الاراضي الزراعية تسودها الملكيات الخاصة . وان التعاونيات الزراعية التي بدأت نشاطها في يوغوسلافيا منذ عام ١٩٥٠ قد هبط عددها من نحو من ٦٩٠٠ – ستة الاف وتسعمائة – تعاونية الى ١٤٧ مئة وسبع واربعين – عام ١٩٦٣ اي ان النظام التعاوني يكاد ينقرض وان التوجيه العملي في يوغوسلافيا ، غدا يشجع **المنافسة الحرة** ، لانماء الانتاج الزراعي على اساس ان الجماعية الزراعية قد افلست وفشلت (١) .

---

(١) بالواقع ان التجربة الاشتراكية الفلاحية قد مرت بمراحل شتى ، وتعثرت ، وشغلت بال الايديولوجيين والمخططين ، لافي يوغوسلافيا فحسب ، بل في دول الاشتراكية كلها وخاصة في الاتحاد السوفييتي الذي مارس ضغطاً رهيباً في الريف لتشريك الفلاح دون الحصول على نتائج مقدرة – مما سبق ان فصلنا بعضه في جولة المعرفة العدد ٢٤ –

يبقى القول ان التجربة اليوغوسلافية الفلاحية ، هي اغنى التجارب واحفلها بالعبرة والدروس ، على الاخص بالنسبة لاقتصاديات الشعوب المتخلفة ، التي يجب ان تمشي طريقاً طويلة وشاقة نحو التشريك الزراعي ، عن طريق التوفيق بين التعاونيات والملكيات الزراعية الخاصة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وينصب النقد الصيني من بعد على عدم تطبيق نظام العشرة هكتارات لكل عائلة . اذ ان عدداً كبيرا يملك من عشرين الى ثلاثين . بينما الوف لايملكون الا في حدود الاثنين او الثلاثة . كذلك يأخذ النقد على الرقابة الرسمية تساهلها في التجارة الزراعية المتوسعة ، وفي استئجار عمل العمال الزراعيين ، تماما كما يجري في نظام الزراعة الرأسمالية ، وان هؤلاء الذين يدعون (منتجين) ليسو سوى تجار وأصحاب مشاريع رأسمالية . ويؤكد النقد الصيني أنه يستقي من مصادر رسمية يوغوسلافية ـ جريدتا بوليتيكا وبوربا ـ شكواهما من ان سبعين بالمئة من الفلاحين الذين لايملكون اكثر من هكتاري أرض ، يبيعون عملهم لاصحاب الملكيات الخاصة ، ويعيشون في ضنك وشقاء.

وفي الرسالة المفتوحة من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي ، التي تحمل شهادة الحزب وتزكيته للاشتراكية اليوغوسلافية ، في هذه الرسالة ان الجناح الاشتراكي في الريف اليوغوسلافي قد توسع في الاعوام الاخيرة من ستة الى خمسة عشر بالمئة . ويقول النقد الصيني ان هذه النسبة ليست اشتراكية ـ اولا ـ اما تعاونياتها الزراعية فهي مؤسسات مختلطة اقتصادية ، يسيطر عليها مستغلون رأسماليون ـ ثانيا ـ .

وفي رأي النقد الصيني ، أن بلوغ الزراعة الضخمة غير الفردية ، ليس له سوى طريقين ـ كما قال ستالين بالحرف ـ طريق الاستغلال الرأسمالي رجوعاً وطريق الجماعية الاشتراكية صعوداً . ولا طريق ثالث . فهل الطريق الثالث في العودة الى التملك الفردي المتعدد ـ الكولاك ـ على التقليد الروسى ؟! يعني طريق استئجار عمل الفلاح ، واستغلاله . وهل يستقيم (وجود) الكولاك ، مع (حكم) السوفيت؟! كلا ... ـ يقول ستالين ـ ان التملك الفردي ، هو طريق العودة الى الرأسمالية ، وهذا ماتفعله يوغوسلافيا في ريفها منذ عشر سنوات ..!!

اما النقد الصيني الماركسي ، لأسلوب (الادارة الذاتية) في الاشتراكية اليوغوسلافية ، فيمكن ايجازه عما يلي :

أ ـ ان الادارة الذاتية هي نوع من (رأسمالية الدولة) . ولكن بدلا من أن توضع في نظام (دكتاتورية البروليتاريا) توضع في نظام اداري يشرف عليه بيروقراطيون بورجوازيون جدد خلقهم الحكم التيتوي .

ب ـ ان تسليم المعامل والمناجم ، والمؤسسات التجارية ، والزراعية ، والمرافق العامة وسواها الى ادارات العمال الذاتية ، التي تبيع وتشتري وتتصرف وتوزع الدخل ، ليس هذا بشكل اعلى من اشكال الاشتراكية بل هو تزوير على الماركسية ليس اكثر . **اذ ان شعارات (حكومات العمال الذاتية)و(المعامل**

للعمال) ليست مبادىء ماركسية ، ولم يقل بها ماركس . بل هي من اختراع السنديكاليين الفوضويين ، والاشتراكيين البورجوازيين ، والانتهازيين القدامى .. والرجعيين !!

ـ الترجمة حرفية ـ

ج ـ ان ماركس ، وانجلز في (البيان الشيوعي) اعلنا : « أن البروليتاريا تستعمل تفوقها السياسي ، لتنتزع رأس المال من البورجوازية وتمركز كل وسائل الانتاج في أيدي الدولة .. »

وكتب انجلز في كتابه (أنتي ـــ دهرنغ) : « أن البروليتاريا تستولي على السلطة السياسية ، وتحول وسائل الانتاج الى ملكية الدولة » يعني في ظل دولة دكتاتورية البروليتاريا .

وكذلك فان لينين ، انكر على بعض منظمات العمال مطالبتها بالاستيلاء على المعامل والانتاج ، بقصد (تنظيمه) وخاطب اصحاب الادعاء ان مطلبهم يناقض دكتاتورية البروليتاريا وأن أي تملك للانتاج ووسائله من قبل العمال ، تشويش على سلطة السوفييت وانكار للاشتراكية .

أما النقد الماركسي لسياسة سوق اشتراكية صغيرة ، تجري فيها المنافسة ضمن نطاق محدود ، لمصلحة المواطنين المستهلكين ، بين مختلف ادارات الانتاج ، كما هي الحال في يوغوسلافيا ، او كما يريد بعض الاقتصاديين والنظريين السوفييت ، في عهد الرئيس خروتشوف من تشجيع (الحافز الشخصي) في ادارة المشاريع ـ كما سبق ان اوضحنا في جولة العدد ٢٤ من المعرفة ـ ان النقد الصيني ، لايرحم هذه التفرعات والاشتقاقات والاجتهادات البورجوازية العقلية والمنشأ ، الرأسمالية الخطة والهدف . لأن الاشتراكية تقوم على التخطيط المطلق ، والسير ضمن الخطة التي تضعها الدولة من اجل المجتمع . والاشتراكية ، تنفي جواز الربح الفردي ، والمنافسة الحرة وتنكرهما مهما تكن اعتباراتهما : ـ من تحسين بضاعة الى تجويد عمل ، الى اجتذاب مستهلك ومضاعفة انتاج الى خضوع الاسعار لحتمية العرض والطلب ، وارتفاعها هنا ، وانخفاضها هناك ... الخ الخ ... لاسيما اذا كانت الدولة تجري قروضا لمؤسسات اقتصادية لتلهب فيها روح المنافسة ، بقصد الحصول منها على فوائد اكبر من ارباح متعاظمة . انها طريق الدولة الى اعادة التعامل الرأسمالي . اما اذا كانت الدولة الاشتراكية تقترض من دولة رأسمالية ، وتفتح اسواقها اضطراراً للبضاعة الرأسمالية فذلك أمر وأدهى ، انه تهديد صريح للمجتمع الاشتراكي .

الرد اليوغوسلافي

نحب ان نبدأ بالملاحظة هنا ، ان الاشتراكية اليوغوسلافية ، لو أرادت ان تعود الى اقوال ماركس في اقتصاد العالم ، واوضاعه الأجتماعية منذ مئة

عام ، اوالى اقوال لينين في بدء الثورة البلشفية ، لما وجدت في اقوالهما حقاً مايشد أزر التجوبة اليوغوسلافية الجديدة التي تقوم ، كما نرى ، على ممارسة الاشتراكية لواقع يفرض ظروفه واحكامه ، ولاتقوم على مجرد حروف مرسومة ، واقوال مرقومة ، لوعاد اليها اليوم لينين ، لتصرف فيها واجتهد في اساليب تداولها . ويبدو ان الرئيس خروتشوف بالذات ، لم يقتصر في اعلان ثورته ، على (عبادة الشخص) ، عندما طفق ينفض الرواسب والتقاليد الستالينية ، بل تجاوز ذلك الى (عبادة النصوص) ايضا وقبل كل شيء . ويبدو ، مما يتوافر لدينا من معارف ، ان اعجاب الرئيس خروتشوف بالاشتراكية اليوغوسلافية ، ليس مرده سياسيا ، بل عقائديا . اذ على الصعيد السياسي الدولي ، لم تكن يوغوسلافيا ، كثيرة المجاملة مع الاتحاد السوفييتي ، بل قد احوجت الرجل السوفييتي ، عندما كان الجو صافيا بينهما ، فتعكر ثانية برفض يوغوسلافيا توقيع تصريح عام ٩٥٧.

ومهما يكن من امر ، فان الردود اليوغوسلافية لاتحوم كثيرا حول النصوص الحرفية الماركسية . ولم نلحظ ان الاساليب الانشائية الاشتراكية ، متماثلة عقائديا وفكريا ، بل هي مختلفة متباينة . حتى ان الباحثين اليوغوسلافيين ، كثيراً ما يميزون بين (المذهب) و (التمذهب) ، وبين كرامة المبادىء ، وتصفية العقائد . أن الديموقراطية الاشتراكية اليوغوسلافية ، كما سبق وأشرنا ، تريد أن تترك للتجربة خلق علاقات ديموقراطية انسانية تذهب ابداً صاعدة متوسعة ، في حياة الناس وتعاملهم فيما بينهم . ولا ريب ، مع ذلك ، في أن الاجتهاد اليوغوسلافي في ممارسة الاشتراكية ، خطوة جريئة جداً في تاريخ التحول الاشتراكي ، لايمكن حصر نتائجها ، ورصد مستقبلها بيسر وتخمين ، وان يكن من المقرر أن دول المعسكر الاشتراكي ، تسير في اتجاهات مفتوحة الآفاق في تجاربها الوطنية الخاصة ولا تخضع لقوالب نهائية جبرية ، أو لأقفال مختومة مرصودة . وقد يؤدي هذا السلوك بها ، مجتمعة أو منفردة ، الى تطورات ومضاعفات تطورات ليست تخطر على بال راصد الكون عالماً أو فيلسوفاً في منتصف القرن التاسع عشر .

وعلى هذا ، فيمكن اجمال الرد اليوغوسلافي بالخطوط التالية :

أ ـ احدث هذه الردود ، أن ما سبق أن جرى بالأمس بين يوغوسلافيا وامريكا . قد جرى اليوم بين الصين وفرنسا . بل قد تغدو مضاعفات الحدث الصيني افعل من مضاعفات

الحدث اليوغوسلافي . فكل حجة صينية في أن التعامل مع الدول الرأسمالية ، خضوع لها وتبديد للمجتمع الاشتراكي ، حجة مردودة مرفوضة . ان انفتاح العالم الاشتراكي ، على العالم الرأسمالي سيضيف عوامل دفع جديد للقوى العاملة من أجل السلام والتقدم معاً .

ب ـ أن الصين لاتصدر في حملاتها العنيفة ، عن عقيدة، بل عن سياسة مقررة ، ذات أهداف بعيدة ، ترمي اليها قيادة نزاعة الى التسلط والتفرد بالرأي والتوجيه ، وتفسير احداث الكون . وقد سبق ان اعترف رسميو الصين خلال اعوام ١٩٥٥ — ١٩٥٧ بتقدمية المجتمع الاشتراكي اليوغوسلافي وسلامته ـ بنصوص علنية مشهودة ثم عادوا بعد عام ١٩٥٨ فنقضوا اقوالهم .

ج (١) ـ لايستطيع أحد أن يزعم عصمة الاحزاب الشيوعية وحصانتها ضد الأخطاء الشخصية من أجل هذا ، يجب على السياسة الاشتراكية أن تقيم علاقات اجتماعية ، واجهزة اجتماعية سياسية بوسعها أن تنقل حق القرار في الشؤون العامة الى ملايين العمال : اجهزة ، لايستطيع أحد معها أن يحتكر اختصاصية التوجيه . **أما الفرضية الصينية القائلة بأن (القيادة الحكيمة) هي التي تبني الاشتراكية بمساعدة سلطة الدولة ، فانها فرضية متهافتة لايمسك بها .**

د ـ ان الاسلوب الصيني في الحكم على كل رأي مخالف بالخيانة ، اسلوب غير ماركسي . وان جدار الصين العالي لايستطيع ان يعزل التفكير الماركسي عن الاتصال الخارجي بالتجارب الحديثة التي تجري في الحياة المعاصرة . وان قوة الديالكتيك الماركسية ، يجب ان تبدو ظاهرتها بالحصول على المعارف الجديدة التي تحيط بالعالم المعاصر وبتطوره التقدمي . ان تبادل النظر والرأي ضروري ليس ليشذب الواحد الآخر ، بل لخلق تجربة مشتركة تتطور عبر تفسير هذه المعارف الجديدة . وفي رأي الشيوعيين اليوغوسلافيين ان الاحزاب الشيوعية يجب أن تدعو الى مصطلحات التعاون العالمي ، الذي يدعم النضال من اجل الاشتراكية ، دون محاولة من أي طرف فرض نظره على الطرف الآخر .

وفي آخر آراء الرئيس تيتو ان تطورات الحركة العمالية المعاصرة الى جانب تطور المشكلات وتعقدها ، **تلزم بالاتصالات ، والأحاديث وتبادل الآراء مع احترام مواقف الآخرين . فاذا قام الخلاف فبدلاً من ان تؤدي اساليب الجدل الى التعمية ، يجب ان تسهم في معالجة المشاكل معالجة هادئة وبناءة . ان النضال من أجل الاشتراكية يغدو**

(١) نلاحظ ان المقاطع التالية بدءاً من هذه الفقرة ، مترجمة حرفياً تقريباً عن مراجعها الرسمية .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

اكثر شمولاً وعمومية ، وبالتالي اكثر تعدداً وتنوعاً - كما يقـــول الرئيس تيتو - ولنا ان نرتقب مشاكل اكثر تعدداً ، وآراء اكثر اختلافاً .

ان أصحاب أي رأي ، لا يستطيعون أن يبيدوا أصحاب رأي آخر .

وإن ما يميز النضال من اجل الاشتراكية ، هو تلاحم الآراء ، لإمكان التنسيق بينها . فاذا لم تتلاحم ، تبددت جميعها . « . . فاذا كان التفكير الاعتباطي والشخصي ، الغريب عن الفكر الماركسي ، يمارسه مسؤولون في دسوت الحكم ، كان الأمر أدعى الى التهيب والتشاؤم ، وظهور العواقب الوخيمة . لأن الجهاز الاجتماعي الذي يقومون عليه ، ويسألون عنه ، وعلى الأخص **جهاز القهر والقسر ، سيوظع حتماً تحت الاستعمال للدفـاع عن نظرياتهم الاعتباطية . وعندئذ سيدخلون شيئاً فشيئاً وبعنف في نزاع مـع الحقيقة ، مع الحياة الحقيقية . . . »**

ولسنا بحاجة ، بعـد عرض نماذج هـــذه المفارقات ، الى تأكيد البون الشاسع بين تفسيري العقيدة الماركسية ، على طريقـة الرئيس تيتو ، وعلى طريقة الرئيس ماوتسي تونغ . فواضح ، ان الماركسية ، تجتاز أحرج مآزقها بـين طرفي نقيض يتجاذبانها ويدعي كل منهما شرف الانتساب اليها ، والحرص على عقيدتها ، ولعل أعنف ما في هذا التجاذب ، أن الجانب اليوغوسلافي طفق يمارس **ديموقراطية صناعية** أن تكن قاعدتها الشعب العامل ، فقد توسعت أفقياً لتشمل **جميع المواطنين** بل قـــد طورت نظرتها في مفهومي الرأي والتسامح حتى لتعتبر كل اكراه او عنف تناقضاً مع الاشتراكية ، ومع الحقيقـة المطلقة . بينما الجانب الآخر ، يعتقد ان عملية الديمقراطية هذه خيانة للدولة ، دولة دكتاتورية البروليتاريا ، حيث التسامح لا ينم إلا عن تميـع عاطفي لا يلبث أن يسفر عن عودة البورجوازيـة الى المسرح الاجتماعي ، وحيث تغدو ممارسة العمال اداراتهم الذاتية ، توهيناً لسلطة الدولة ومركزية التخطيط الاقتصادي والتوجيه الاجتماعي .

ويبدو لنا ان تعليل هـذا التشاد على الصعيد العقائدي لا يمكن فهم اطواره الغريبـة إلا إذا أدركنا نوعية الماركسية التي يلتزمها كل من الطرفين.

فالنوعية التيتوية ، تتخطى المراحل لتبلغ الغاية النهائية من الماركسية وهي زوال الطبقات ، والدولة ، وقيام مجتمع ذي ادارة ذاتية ، والمجتمع اليوغوسلافي لا يفعل سوى توجيه جمهوره نحو هذه المرحلة ، وتعويده عليها ، وتكوين إلفته معها لاعتقاده بضرورتها وباستعداده لها . بينما **النوعية الماوتسيتونغية** ، تتمسك بالظرفية الاشتراكية حيث لا سيادة إلا للبروليتاريا بممارسة بدكتاتورية الدولة ، وهي ظرفية لم ينص ماركس ولا لينين على مدى امتدادها ، وحدود نهايتها . فاذا ما انتهت ، ذات يوم مجهول في ضمير المستقبل ، كان ذلك معناه مجيء المجتمع الشيوعي الأمثل

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

بلا دولة ولا طبقات ولا صراع ، حيث الحرية بأجلى معانيها واكملها . **وقبل ذلـــك ، وخارج حدود هذا المجتمع الأمثل ، لاتقوم حرية، ولا ضرورة للحرية .. وعلى هذا ، فان الحرية اليوغوسلافية، الممنوحة قبل أوانها للشعب العامل ، هي حرية الاشتراكيين البورجوازيين أي الحرية المزيفة (١) .**

نقول : اذا ادركنا افتقاد حلقة الربط بـين المرحلتين في النظرية الماركسية ، ومايرافقها من غموض ، استطعنا أن نضع اليد على سر التناقض والمفارقة بين الماركسيين انفسهم ، وقد اجاز لهم ذلك الغموض ، اللجوء الى الاجتهاد والتخريج. ونستطيــع القول ان (التيتوية) هي محاولة ايجاد الحلقة المفقودة بين الاشتراكية والديموقراطيـة اي ان ديموقراطية الادارة الذاتية ، كما يمارسها الشعب العامل ، هي الوسطية بين نظامي دكتاتورية البروليتاريا ، وديموقراطية المواطن السياسي ، كما هي ممارسة في الديموقراطيات الغربية .

الى هنا ، ونحسب ان قد توضحت لنا ملامح التحول في المجتمع الاشتراكي اليوغوسلافي على الأخص عبر الشادة السياسية والعقائدية التي المنا ببعض اطرافها ، على ان الدخول في تفاصيـــل المجتمع اليوغوسلافي كما يعيش يوميا تجربته الاشتراكية الديموقراطية ، بين سلطة الدولة ، وسلطة الحزب ، وممارسة الادارة الذاتية ـ ان هذا الدخول التنقيبي قـد يكون من امتع البحوث والدراسات ، التي تهم الاقتصاديين ، والمخططين ، ودارسي انظمـــة الحـكم بين النظريات والعمليات لاسيما وان المجتمع اليوغوسلافي قريب السمات من مجتمعات هـذا الشرق ، وقد أتيح له أن يتفرد بتجارب اجتماعية وسياسيـــة جريئة ، لفتت نحوه انظار العالم ، شرقاً وغرباً .

الجولات القادمة

وبعد هذا ، فان جولاتنا القادمة ، ستتناول مجتمعات الشعوب المتخلفة والمستقلة حديثاً ، حيث الاضطراب والتأرجح بين العديد المتنـاقض من الأفكار ، والعقائد وانظمـــة الحـكم ، وحيث المعارف الواضحة عن التكون الاجتماعي تنقص الباحثين والمحاولين لاسيما وان معظم تلك الشعوب يعيش وكأنه في مدار عاصفة ، فـلا يظهر من ملامحه سوى الخطوط المتكسرة والألوان المتموجة المتداخلة .

---

(١) كثيراً مايلجأ الاشتراكيون غير الماركسيين ، الى نعت خصومهم ، خصوم اشتراكيتهم ، بأنهم اصحاب عقليـــة بورجوازية . وبالواقع ، فانهم هم انفسهم ـ ماركسياً ـ بورجوازيون وخطرون، طالما حذر ماركس ولينين منهم ، لأنهم بوسعهم خلق الشبه الاشتراكي لخداع الجماهير .